صِفات اللّه

مُقدِّمة

د. جيرالد برِاي

دراسات قصيرة
في اللاهوت النظاميّ

المُحرِّران: جراهام كول وأورِن مارتن

صفات الله؛ مُقدِّمة

The Attributes Of God: An Introduction

تأليف

د. جيرالد برِاي

Authored by

Gerald L. Bray

ترجمة

صموئيل ناجي نعمان

Translated by

Samuel N. Naaman

Published in Arabic by الناشر في العربيَّة

Equipping Pastors International

جميع حقوق الطبع في النسخة العربيَّة محفوظة للناشر، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيِّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأيِّ شكل من الأشكال، دون إذنٍ خطِّيٍّ مُسبَّق من الناشر. ومن يخالف ذلك يضع نفسه تحت طائلة القانون.

الكتاب: صفات الله؛ مُقدِّمة (الإصدار العربيّ).

Book: The Attributes of God: An Introduction (Arabic Edition).

الكاتب: جيرالد برِاي.

Author: Gerald L. Bray.

ترجمة وتدقيق لغويّ: صموئيل ناجي نعمان.

Translation & Proofreading: Samuel N. Naaman.

ساعد في التدقيق: بيتر عادل ثابت.

Proofreading Assistant: Peter A. Thabet.

الإخراج الفنِّيّ والغلاف: صموئيل ناجي نعمان.

Internal design and Cover: Samuel N. Naaman.

الناشِر في العربيَّة: EPI.

Arabic Publisher: Equipping Pastors International.

إداريَّات: كارمن اسطفانوس.

Administrative affairs: Carmen Estaphanous.

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٧٤٦٩

ISBN: 978-977-94-1162-5

Originally published in English under the title: *The Attributes of God: An Introduction*

Copyright ©2021 by Gerald L. Bray

Published by Crossway

a publishing ministry of Good News Publishers

Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

This edition published by arrangement

with Crossway.

All rights reserved.

تمَّت الطباعة بمطبعة سان مارك – ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

«مؤخَّـرًا، أظهـر اللاهوتيُّـون الإنجيليُّـون اهتمامًـا متجـدِّدًا ومأثـورًا بشـأن العقيـدة الكتابيَّـة الكلاسـيكيَّة عـن شـخصيَّة الله؛ ولكـن بالنسـبة للأشـخاص العاديِّين، تبـدو تلـك المناقشـات مثقَّلـة بالمصطلحـات الفنيَّـة والغمـوض التاريخـيِّ. والنتيجـة هـي أنَّ الأهمِّيَّـة العمليَّـة لهـذه النهضـة اللاهوتيَّـة في التسـبيح والصـلاة والحيـاة اليوميَّـة غالبًـا مـا يتـمُّ خسـارتها. إنَّ المُلخَّـص المفيـد الـذي قدَّمـه جيرالـد بـراي لطبيعـة صفـات الله يُعـدُّ إضافـةً مأثـورة إلى البنـاء الأدبيِّ المتنامـيِّ في هـذا السـياق، إذ يقـدِّم عرضًـا واضحًـا وتطبيقًـا عمليًّـا في أطـار تقليـد الأجـداد مثـل سـتيفن تشـارنوك Stephen Charnock. بالإضافـة إلى ذلـك، فـإنَّ الملحـق المفيـد يتيـح للقـارئ تحديـدَ موقـع المناقشـة اللاهوتيَّـة المعـاصرة عـلى خلفيَّـة المناقشـات الجامعـة منـذ عـصر الكنيسـة الأولى وحـتَّى اليـوم».

كارل ترومـان **Carl R. Trueman**، أسـتاذ الدراسـات الكتابيَّـة والدينيَّـة، كليَّـة غـروف سـيتي Grove City College.

«إنَّ اللاهـوت المسـيحيَّ يصبـح ثقافيًّـا ولاهوتيًّـا عـلى أكـثر مـا يمكـن عندمـا يجـري الحديـث عـن صفـات الله؛ فصفـات الله تتحـدَّى أفـكار الإنسـانيَّة عـن الكمـال الإلهـيِّ، وهـي أفـكار تتَّسـم بالضعـف والوثنيَّـة في كثـير مـن الأحيـان. يقـدِّم بـراي مسـاهمة موجـزة ولكنَّهـا مهمَّـة في هـذا المـشروع مـن خـلال التميـيز بـين صفـات الله الجوهريَّـة والعلائقيَّـة، ومـن خـلال إظهـار كيـف يحافظ هـذا التميـيز عـلى سـلامة علاقتنـا بالإلـه الواحـد الحقيقـيِّ. يمكـن

للمسـيحيِّين أن يدرِّبـوا أنفسـهم للتقـوى (تيموثـاوس الأولى ٤: ٧) وأن يُعلِّمـوا بطـرق تتوافـق مـع التقـوى (تيموثـاوس الأولى ٦: ٣) فقـط إذا كانـت لديهـم فكـرة عـن ماهيَّـة الله. في الواقـع، إذا كان كالفِـن عـلى حـقٍّ، فـلا يمكننـا بلـوغ معرفـة أنفسـنا إلاَّ مـن خـلال فهـم مـن هـو الله، لأنَّ البـشر مخلوقـون عـلى صورتـه. لـكلِّ هـذه الأسـباب، فـإنَّ هـذا الكتـاب هـو أمثـل نمـوذج لمناقشـةٍ مجـرَّدة عـن كينونـة الله. وأنـا أنصـح بـه بشـده.»

كِفِـن فانهـوزر Kevin J. Vanhoozer، أسـتاذ البحـث في علـم اللاهـوت النظامـيِّ، مدرسـة ترينيـتي اللاهوتيّـة الإنجيليَّـة Trinity Evangelical Divinity School.

«إنَّ هـذا الكتـاب واضـح وعميـق ومختـصر ومـليء بالتبـصُّرات؛ وهـو إنجـاز رائـع! لا تـدع حجمـه يخدعـك. فنحـن أمـام مؤلِّـفٍ هـو واحـد مـن أفضـل علمـاء اللاهـوت الإنجيليِّـين، وهـو يرشـدنا بحكمـة عـبر التضاريـس الصعبـة -لكـن المذهلـة- لصفـات إلهنـا».

كريسـتوفر مورغـان Christopher W. Morgan، عميـد مدرسـة الخدمـات المسـيحيَّة، جامعـة كاليفورنيـا المعمدانيَّـة California Baptist University.

«لـن يُفَاجـأ أولئـك الذيـن هـم عـلى درايـة بعمـل جيرالـد بـرِاي عندمـا يكتشـفون أنَّـه يتعاطى مـع المسـألة المعقَّـدة للغايـة

المتعلِّقة بصفات الله بمهارة ودقَّة كبيرين، بينما في الوقت نفسه يضع غير المتخصِّصين في الاعتبار. أحد الجوانب الأكثر فائدة في الكتاب هي الطريقة التَّي يحدِّد بها بوضوح الفرق بين صفات الله ‹الجوهريَّة› و ‹العلائقيَّة› ويوضِّح أنَّ العديد من المشكلات التي نشأت في المناقشات اللاهوتيَّة حول الصفات الإلهيَّة قد ظهرت بسبب الخلط بين الاثنين. بالمناسبة، سيكون من المفيد شراء الكتاب ولو من أجل الملحق فقط، المكوَّن من خمسة وأربعين صفحة والذي يقدِّم فيه برِاي تاريخ معالجة موضوع صفات الله في اللاهوت المسيحيِّ! »

أندرو مَكجوِين A. T. B. McGowan، مدير مركز رَذرفورد للاَّهوت المُصلَح Rutherford Centre for Reformed Theology؛ أستاذ اللاَّهوت، جامعة The Highlands and Islands.

«يقدِّم هذا الكتاب الرائع صفات الله بطريقة سهلة التناوُل ولكنَّها دقيقة ومفيدة دون أن تكون مُتحذلِقة. وكما هو متوقَّع من جيرالد برِاي، فإنَّ هذا العمل متوازن بشكل جيِّد للغاية، حيث يجمع بين معرفته الكتابيَّة العميقة ومنظوره التاريخيِّ جنبًا إلى جنب مع تطبيق مدروس ولطيف ورعويٍّ ليومنا هذا.»

سكوت مانور T. Scott Manor، رئيس كليَّة نوكس اللاهوتيَّة Knox Theological Seminary.

صدر بالعربيَّة من سلسلة

«دراسات قصيرة في اللاهوت النظاميِّ»:

• الثالوث؛ مُقدِّمة

• شخص المسيح؛ مُقدِّمة

المحتويات

تقديم السلسلة ١١
تمهيد ١٥

١. كينونة الله وصفاته ٢١
٢. صفات الله الجوهريَّة ٣٣
٣. صفات الله العلائقيَّة ٩٩
٤. علاقة صفات الله بنا اليوم ١٣٣
ملحق: صفات الله في التقليد المسيحيِّ ١٤٣

لمزيد من القراءة ١٨٩
الفهرس العام ١٩٣

تقديم السلسلة

قال المفكِّر اليونانيُّ القديم هيراقليطس إنَّ على المفكِّر أن يستمع إلى جوهر الأشياء. وتحتاج سلسلة من الدراسات اللاهوتيَّة التي تتناول الموضوعات التقليديَّة التي تشكِّل علم اللاهوت النظاميِّ إلى القيام بذلك عينه. وعليه، في هذه الدراسات، يتناول اللاهوتيُّون جوهر العقيدة. تهدف هذه السلسلة إلى تقديم دراسات قصيرة في علم اللاهوت تتوافق مع كلٍّ من التقليد المسيحيِّ واللاهوت المعاصر من أجل تجهيز الكنيسة لِأَن تفهم وتحب وتعلِّم وتطبِّق ما أوحى به الله في الكتاب المقدَّس حول مجموعة متنوِّعة من الموضوعات. وما قد يُفقد في سعينا إلى المعالجة الشاملة للمُحتوى يمكن أن يُكتَسَب عبرَ ما يُسمِّيه جون كالفِن John Calvin «الإيجاز الواضح Lucid brevity»، على حدِّ وصفه في رسالة الإهداء على تفسيره لرسالة رومية.

بالطبع، ستكون الدراسة الشاملة لأيَّة عقيدة أطول لا أقصر،

إذ أنَّنا بصدد التفاعل مع ألفَي عامٍ من إقرارات الإيمان والمناقشة والجدال. نتيجةً لذلك، يجب أن تكون الدراسة القصيرة أكثر انتقائيَّة ولكنَّها يجب أن تنتقي ببراعة. وحمدًا لله، فإنَّ المساهمين في هذه السلسلة لديهم القدرة على الإيجاز والدِقَّة. الهدف الرئيسيُّ هو ألاَّ يتحوَّل التبسيط إلى إخلال. والامتحان الحقيقيُّ هو ما إذا كان موضوع الدراسة القصيرة يقتضي التخلِّي عن بعض ما تعلَّمته مَتَى أردتَ الاستزادة من الدراسة المتعمِّقة. إذ يمكن التوسُّع فيما هو بسيط. لكنَّ الإخلال يحتاج إلى تصحيح. بصفتنا محرِّرَين، نعتقد أنَّ أجزاء هذه السلسلة تجتاز ذلك الامتحان.

وبينما يختلف التركيز في كلِّ جزءٍ، إلاَّ أنَّ جميعها (١) يمثِّل مقدِّمةً للعقيدة موضوع الجزء، (٢) يضعها في سياقها، (٣) يصيغها ويطوِّرها بناءً على الكتاب المقدَّس، (٤) يجمع الخيوط المتناثرة معًا، (٥) ويأتي بها إلى حيِّز التأثير على الحياة المسيحيَّة. صلاتنا إذًا أن تساعد هذه السلسلة الكنيسة على أن تتلذَّذ بإلهها الثالوث عن طريق التفكير إِثْرَ أفكاره -التي يعلنها بجزيل نعمته في كلمته المكتوبة، والتي تشهد لكلمته الحيَّة، يسوع المسيح- من خلال العمل القويِّ الذي لروحه القدُّوس.

غراهام كول Graham A. Cole وأورِن مارتن Oren R. Martin

تمهيد

قبل قرن من الزمان، كان من الشائع فيما كان يُعرف آنذاك باللاهوت «الحديث» أنَّ المسيحيَّة قد أُفسِدت في العصور القديمة بسبب غزو الفكر الهلنستيِّ. وزُعِمَ أنَّ المفاهيم الفلسفيَّة الوثنيَّة قد حوَّلت إنجيل يسوع البسيط إلى ديانةٍ غريبة فقدت الاتِّصال بأصولها تقريبًا بالكامل. لم تعد هذه الأطروحة شائعة كما كانت من قبل، واليوم يرفضها معظم العلماء. ومع ذلك، عندما يتعلَّق الأمر بمسألة صفات الله، تظلُّ حجَّة قبول التأثير الكبير للفكر اليونانيِّ على اللاهوت المسيحيِّ قويَّة. هذا لأنَّه في العالم اليونانيِّ ما قبل المسيحيَّة حاول الفلاسفة أوَّلاً تحليل الكَوْن إلى فئات مختلفة من الكينونة، والتي خصَّصوا لها سمات يمكن من خلالها التعرُّف على الأنماط المختلفة. وعندما بدأت البشارة المسيحيَّة في الانتشار بين الأمم، كان على المبشِّرين بها مواجهة طريقة التفكير

هـذه، وقـد فعلـوا ذلـك مـن خـلال تكييـف أسـاليبها ومصطلحاتها للاسـتخدام المسـيحيِّ.

لـم يكـن هـذا التكيُّـف بسـيطًا أو مباشـرًا بـأيِّ حـال مـن الأحـوال، ولـم يكـن بالتأكيـد استسـلامًا لطريقـة تفكيـر غريبـة. فلقـد أدرك المسـيحيُّون بسـرعة أنَّ الله ليـس كائنًـا على النحـو الذي يكـون عليـه الشـيء المـاديُّ، وأصـرُّوا على أنَّـه إذا كانـت لغـة علـم الطبيعـة ستُسـتخدم فـي علـم اللاهـوت، فإنَّـه يجـب نقلهـا إلـى بُعـد مختلـف. لقـد اعتقـدوا أنَّ هـذا التكييـف كان ممكنًـا لأنَّ الله موجـود، علـى الرغـم مـن اختـلاف وجـوده تمامًـا عـن وجـود أيِّ شـيء آخـر. بالنسـبة لهـم، كان التمييـز الرئيسـيُّ هـو بيـن الخالـق والخليقـة. فلقـد تـمَّ تصميـم الاصطـلاح الفلسـفيِّ لشـرح مـا يسـمِّيه المسـيحيُّون النظـام المخلـوق The created order. وإذا كان سـيتمُّ اسـتخدام المصطلحـات الفلسـفيَّة للـكلام عـن الله، فإنَّـه يجـب تحريرهـا مـن قيـود الزمـان والمـكان التـي تقيِّـد الأشـياء المخلوقـة. فـي كثيـر مـن الأحيـان كانـت النتيجـة أنَّـه لا يمكـن وصـف الله إلاَّ مـن خـلال مـا هـو ليـس فـي كينونتـه، لأنَّ الكلمـات البشـريَّة المحـدودة ليسـت مصمَّمـة للتعبيـر عـن مفاهيـم كينونتـه اللانهائيَّـة.

يمكـن العثـور علـى بدايـات هـذا التطـوُّر فـي العهـد الجديـد، حيـث يوصـف الله أحيانًـا بأنَّـه «مـن لا يفنـى» أو «من لا يُـرى»، ولكن لا يمكـن اعتبـار هـذا غـزوًا مـن الأفـكار الهلنسـتيَّة للرؤيـة الكونيَّـة الكتابيَّـة. فحتَّـى القـراءة الأكثـر سـطحيَّة للعهـد القديـم سـتظهر أنَّ الحقائـق الكامنـة وراء هـذه الكلمـات قـد اعتـرف بهـا الإسـرائيليُّون

كليًّا، حتَّى لو عبَّروا عنها بشكل مختلف. وقد كان المسيحيُّون الأوائل حريصين على البقاء بالقرب من الكتاب المقدَّس قدر استطاعتهم. وفقط في العصور الوسطى بدأوا في قول أشياء مثل «الله يمتلك الخفاء»، بدلاً من «الله لا يُرى»، وأدَّى التغيير في النهاية إلى إعادة صياغة كاملة للاهوت الكنيسة من أجل تحقيق إنصاف أفضل للوحي الكتابيِّ. ركَّز الإصلاح البروتستانتيُّ على العلاقة الشخصيَّة التي أقامها الله مع شعبه. ونتيجة لذلك، برزت صفات مثل قداسته وبرِّه وصلاحه بطريقة لم يسبق لها مثيل، وتطوَّر اللاهوت في اتِّجاه مختلف، على الرغم من أنَّ الهيكل الكلاسيكيَّ لصفات الله الأساسيَّة لم يتمَّ إنكاره أو تجاهله.

في القرون التي تلت الإصلاح، أصبحت صفات الله الشخصيَّة أو العلائقيَّة أكثر أهميَّة بشكل ثابت، ويفصل جميع اللاهوتيِّين تقريبًا الآن الصفات الإلهيَّة إلى فئتين؛ تلك التي تنتمي إلى جوهر الله الذي لا يمكن تَشَارُكه، وتلك التي تعبِّر عن علاقته بالبشر ولذلك تعتبر «تشارُكيَّة/قابلة للتَشَارُك». اختلفت المصطلحات المستخدمة لوصف هذا التمييز من كاتب إلى آخر، وكذلك تصنيف الصفات نفسها. في الوقت الحاضر، من العدل أن نقول إنَّ ارتباكًا كبيرًا يسود في هذا المجال، الذي لم يحظَ بالاهتمام المنهجيِّ الذي يستحقُّه.

لقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أوضِّح ما هي صفات الله وأن أعرضها بطريقة يمكن أن تحظى بالموافقة العامَّة. فلقد احترمتُ التقسيم الأساسيَّ للصفات الإلهيَّة إلى فئتين أطلقتُ

عليهما الصفات **الجوهريَّة** والصفات **العلائقيَّة**، وسعيت إلى تقديم كلٍّ من الفئتين بطريقة منهجيَّة ومترابطة منطقيًّا. بالنسبة للصفات الجوهريَّة، فقد بنيت على التصنيفات التي قدَّمها يوحنَّا الدمشقيُّ (حوالي ٦٧٥ - ٧٤٩)، على الرغم من أنَّني قمت بتغيير الترتيب لاستيعاب الفكر اللاحق وإضافة قسم يتناول الطريقة التي تُستَوعَب بها هذه الصفات من خلال عمل الله في العالم. بالنسبة للصفات العلائقيَّة، كان عليَّ أن أدلي بدلوي إلى حدٍّ كبير، وأظهرت أنَّ العديد من الصفات المزعومة التي يتمُّ وضعها بانتظام في هذه الفئة قد أُسِيء فهمها وأُسِيء تفسيرها. لكن بدلاً من رفض مفاهيم مثل القداسة والاستقامة على أساس أنَّها ليست من صفات الله حقًّا، فقد استوعبتها في إطار أوسع يسمح لنا برؤية كيف ينبغي فهمها.

حاولت في كلِّ موقف أن أوضِّح كيف تُقدَّم صفات الله في الكتاب المقدَّس وأن أشرح سبب أهميَّتها لنا اليوم. يجب على القرَّاء المهتمين بدراسة كلِّ صفة على حدى أن يبدأوا بقائمة المراجع لمزيد من القراءة، والمضيُّ قدمًا من هناك. لم أكُن أهدف إلى تقديم وصف شامل لكلِّ ما يقال أو يمكن أن يقال عن صفات الله، بل أن أعطي القرَّاء إطارًا لوضع وتقييم الأسئلة التي تنشأ عن تلك الصفات. لن يترك أحدٌ هذه الصفحات وهو يعلم كلَّ ما يمكن معرفته عن صفات الله، ولكن يجب على القرَّاء أن يأخذوا معهم المعدَّات الفكريَّة التي سيحتاجون إليها للتنقُّل في المياه العميقة لعلم اللاهوت بأنفسهم. فإذا تمكَّنوا من استخدام هذا الكتاب لدراسة الصفات الإلهيَّة

وتجنُّب الغرق في البحار المجهولة، فسيكون قد حقَّق الغرض الذي كُتبَ من أجله.

١

كينونة الله وصفاته

تعريف المصطلحات

هناك قلَّة من الناس يشكِّكون في أنَّ الله كائن. لكن يتَّفق كلٌّ من اليهود والمسيحيِّين على أنَّ الله قد كشف اسمه لنا؛ يَهوَه (يُنطق عادةً «يَهوِه»)، المرتبط بالفعل العبريِّ «يكون» وعادةً ما تتمُّ ترجمته على أنَّه «هو» أو «أنا» (الخروج ٣: ١٤).[١] هكذا يعرِّف الله نفسه على أنَّه «كائن»، لكنَّه لا يقول شيئًا عن طبيعته أو صفاته. عندما يتمُّ ذكر الموضوع في الكتاب المقدَّس، يكون التركيز على تمايز الله؛ فهو مختلف تمامًا عن أيِّ شيء نختبره في العالم. هذا لأنَّه هو الخالق وهو قد صنع كلَّ شيء آخر.

١ أحيانًا ما يكون هذا الارتباط محلَّ نزاع، لكنَّه كان مقبولاً دائمًا من قبل التقليد اللاهوتيِّ الرئيسيِّ.

قـد يكـون هنـاك تشـابه بينـه وبيـن بعـض مخلوقاتـه، ولا سـيَّما البشـر الذيـن خُلقـوا علـى صورتـه ومثالـه (التكويـن ١: ٢٦-٢٧)، لكنَّـه فـي النهايـة تشـابه نسـبيٌّ وليـس مطلقًـا. فـالله لـه عقـل وقـد أعطانـا العقـول أيضًـا، لكـنَّ أفـكاره تفـوق بكثيـر أفكارنـا وتتجاوزهـا لدرجـة أنَّـه مـن الصعـب القـول إنَّ الاثنيـن متماثـلان (إشـعياء ٥٥: ٨-٩).

إنَّ الاختـلاف بيننـا ليـس مجـرَّد اختـلاف فـي الدرجـة بـل هـو اختـلاف فـي النـوع. فبصفتـه خالقنـا، فـإنَّ الله كائـن مطلـق وفريـد لا يمكـن مقارنتـه بـأيٍّ مـن مخلوقاتـه. علـى سـبيل المثـال، الحيـاة السـرمديَّة لـدى الله ليـس لهـا بدايـة أو نهايـة، فـي حيـن أنَّ الحيـاة الأبديَّـة للشـخص المسـيحيِّ هـي هبـة منـه لهـا بدايـة وبالتالـي فهـي أبديَّـة نسـبيًّا وليسـت سـرمديَّة بشـكلٍ مُطلـق.

إنَّ مفاهيمنـا عـن الوجـود مسـتمدَّة مـن الفلسـفة اليونانيَّـة القديمـة، التـي اعتقـدت أنَّ الوجـود مـادَّة يمكـن تعريفهـا وتحليلهـا. وسـعى المسـيحيُّون الأوائـل إلـى شـرح إلـه الكتـاب المقـدَّس باسـتخدام مفاهيـم وثنيَّـة فـي الأصـل، وقـد ورثنـا نحـن هـذا التقليـد. لقـد أدرك معظمهـم أنَّ فكرتهـم عـن الوجـود كانـت محـدودة بـإدراكات محـدودة للواقـع، وهـي لا تلائـم الله. لذلـك خلصـوا إلـى أنَّ الله يفـوق الوجـود الـذي يمكـن تعريفـه ويتجـاوزه، وأنَّـه لا يوجـد شـيء نقولـه يمكـن أن يصفـه حقًّـا. أشـار كريسـتوفر سـتيد Christopher Stead (١٩١٣ - ٢٠٠٨) إلـى أنَّ المبـرِّر الحقيقـيَّ الوحيـد للاحتفـاظ بكلمـة «كائـن» أو «جوهـر» (*ousia* باليونانيَّـة) فيمـا يتعلَّـق بـالله هـو أن نذكِّـر أنفسـنا بوجـوده الموضوعـيِّ:

> ما هو الهدف من القول بأنَّ الله هو (*ousia*) بالمعنى التصنيفيِّ، أي جوهر؟ إنَّ هذا التصريح هو عامٌّ بما فيه الكفاية؛ حتَّى أنَّه يترك عددًا من الخيارات المتاحة. وفي رأيي، تكمن الأهميَّة الوظيفيَّة الرئيسيَّة لهذا التصريح في أنَّه يبيِّن أنَّ الله ليس مقيَّدًا بما اختبرناه عنه ولا يوصف من هذا المُنطلَق، ولكنَّه موجود في ذاته؛ وفي هذا الصدد، فإنَّه مشابه لجسم ماديٍّ غير معروف، على سبيل المثال نجم غير مُكتَشَف. إذ لا ينشأ النجم باكتشافه؛ والله لا يأتي إلى الوجود من خلال وعينا البشريِّ أو المطاليب الميتافيزيقيَّة.[٢]

إذا كنَّا ندعو الله «كائنًا»، فإنَّنا نستخدم الكلمة بمعنى مختلف عن الطريقة التي تُستخدم بها لتعريف مخلوقاته، وبالتالي يجب تفسير الصفات المُرتبطة بتلك الكلمة وفقًا لذلك. غالبًا ما يجب التعبير عنها بصيغة النفي («مَن لا يموت»، «مَن لا يُرى»، إلخ.) لأنَّ عقولنا المحدودة غير قادرة على فهم اللانهاية. لكنَّ العديد من صفات الله هي استنتاجات منطقيَّة تستند إلى أفعاله كما هي مسجَّلة في الكتاب المقدَّس. وهكذا نقول إنَّه «كليُّ الوجود» و«كليُّ القدرة» و«كليُّ العلم» لأنَّه، لا يمكنه التصرُّف بالطريقة التي يتصرَّف بها إن لم يتَّصِف بتلك الصفات. لم يتمَّ استخدام هذه الكلمات في الأسفار المقدَّسة، ولكنَّ المفاهيم التي تمثِّلها موجودة في كلِّ مكان فيها.

2 Christopher Stead, Divine Substance (Oxford: Clarendon, 1977), 273.

يتواصل الله مع البشر من خلال تشارُك كلٍّ منهما في امتلاك شخصيَّة. هذه الشخصيَّة ليست صفة من صفات الطبيعة البشريَّة أو الإلهيَّة، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى أنَّ هاتين الطبيعتين لا تمتزجان، وجزئيًّا أيضًا لأنَّ الشخصيَّة تتجاوزهما. يمكن للبشر أن يفقدوا طبيعتهم الماديَّة («القابلة للفساد») ويكتسبوا طبيعة (جسدًا) روحانيَّة («غير قابلة للفساد») دون أن يصبحوا أشخاصًا مختلفين (كورنثوس الأولى ١٥: ٤٢-٤٩). يمكن تطبيق صفات الشخصيَّة على كلٍّ من الله والبشر، ولكن يجب احترام الاختلافات الأساسيَّة بيننا. أوَّل هذه الاختلافات متجذِّر في مخلوقيَّتنا [أي كوننا مخلوقين] ويمكن وصفه بالفرق بين اللانهائيِّ والمحدود. فما هو مطلق في الله (وهو لا يمكن إلاَّ أن يكون هكذا) هو نسبيٌّ فينا. الاختلاف الثاني ناتج عن خطيَّة الإنسان، وهي ليست متأصِّلة في طبيعتنا المخلوقة ولكنَّها نتيجة عصياننا لإرادة الله. التأثير العمليُّ لهذا هو أنَّ فهمنا لصفات الله، الذي أصبح ممكنًا من خلال حقيقة أنَّنا خُلقنا على صورته ومثاله، لا يعدو كونه تعبيرًا غير كامل وغير ملائم عن الحقيقة الإلهيَّة.

إله الكتاب المقدَّس

لا يوضِّح الكتاب المقدَّس لماذا خلق الله العالم، إلاَّ أنَّه يستحقُّ كلَّ مجد وإكرام وتسبيح لأنَّه خلق كلَّ الأشياء بمشيئته (الرؤيا ٤: ١١). وهو لم يُجبَر على فعل ذلك بأيَّة ضرورة داخليَّة، ولم ينتجه من داخل كينونته أيضًا. إذا كان هذا هو الحال، فمن

المفترض أنَّه لم تكن هناك مشكلة في محاولة فهم صفات الله، لأنَّها ستكون نفس صفات ما يسمَّى بالخليقة. لكن التفكير للحظة واحدة سيظهر أنَّ ذلك استحالة منطقيَّة. كيف يمكن أن يكون العالم المرئيُّ امتدادًا لكائن غير مرئيٍّ؟ يُصوِّر إله الكتاب المقدَّس على أنَّه موجود في نار أو سحابة، ولكن هذه الصور كانت تهدف إلى التأكيد على عدم إمكانيَّة الوصول إليه؛ إذ لا يمكن للبشر أن يلمسوا النار دون أن تلتهمهم، وكذا يفقدون إحساسهم بالاتِّجاهات عندما تحيطهم سحابة (الخروج ١٣: ٢١). لا يوجد ما يشير إلى أنَّ الله سحابة ناريَّة بطبيعته. فالصورتان متعارضتان، السحابة ترشد شعب إسرائيل في أثناء النهار والنار ترشدهم ليلاً. لقد تبنَّى الله مثل هذه الأشكال عندما أعلن عن نفسه، لكنَّه لم يكن مُلزَمًا بها، وهي لم تحدِّد كيانه.

في أوصاف الكتاب المقدَّس عن الله، ينصبُّ التركيز على مدى اختلافه عنَّا أو عن أيِّ شيء آخر. فهو لا يمكن رؤيته ولا احتوائه أو تقييده. وعند مقارنته بآلهة الأمم الأخرى، فهو قويٌّ وهم ليسوا كذلك. هل آمن الإسرائيليُّون عن وعيٍ أنَّ الله خالد، غير مرئيٍّ، كليُّ القدرة، وما إلى ذلك؟ هل كانوا موحِّدين بالمعنى الحديث، أم أنَّهم قبلوا أنَّ آلهة أخرى كانت موجودة ولكنَّها كانت أدنى من إله إسرائيل؟ يمكن تقديم إجابات مختلفة (وقد تمَّ تقديمها) لأسئلة مثل هذه. لا يتكلَّم الكتاب المقدَّس العبريُّ بمصطلحات فلسفيَّة، لذلك لا تظهر فيه كلمات مثل «من لا يموت». بل فقط في الرسائل اللاحقة من العهد الجديد، الموجَّهة إلى جمهور يونانيٍّ أو على الأقلِّ

إلى جمهور متأثِّر بالثقافة الهلنستيَّة، نجد مثل هذه الأفكار التجريديَّة. وحتَّى عندئذٍ، تأتي في شكل عابر فقط؛ إذ لا يوجد نقاش مطوَّل عمَّا تعنيه.

في الوقت نفسه، من الصعب قراءة النصوص الكتابيَّة والاستنتاج بأنَّ ما تمَّ التعبير عنه لاحقًا بلغة فلسفيَّة لم يكن متضمَّنًا طوال الوقت أصلاً. هل يوجد أيُّ دليل على أنَّ الإسرائيليِّين اعتقدوا أنَّ الله كائن فانٍ [قابل للموت]؟ أو أنَّه كان غير ملائم بشكلٍ أو بآخر لتلبية احتياجاتهم؟ إذا كانوا قد اعتقدوا ذلك، فإنَّ الضغط لتبنِّي شكل من أشكال الشِرك ما كان ليُقاوَم، لأنَّه كان من الضروريِّ حينئذٍ تعويض عيوب ذلك الإله من خلال مناشدة آلهة أخرى يمكنها توفير ما يفتقر إليه. لكنَّ الإسرائيليِّين لم يفعلوا ذلك قطُّ. فالمنطق وراء عبادة إله واحد فقط هو أنَّه كافٍ لجميع احتياجاتنا، وهذا بدوره يجعلنا نفكِّر فيه بطريقة أكثر شمولاً. قد لا يتمُّ التعبير عن تفاصيل ذلك على هذا النحو نفسه في العهد القديم، ولكنَّ الآثار المترتبة على ذلك موجودة. ولا يتردَّد العهد الجديد في البناء عليها والتعبير عن صفات إله إسرائيل بمصطلحات لا نزال نستخدمها اليوم.

إنَّ تحليلنا لكينونة الله وصفاته مستمدٌّ من إعلانه الذاتيِّ لنا في الكتاب المقدَّس ويتمُّ تأكيده من خلال اختبارنا لحقِّه. إنَّه انعكاس حقيقيٌّ لعلاقتنا الشخصيَّة معه، لكنَّه ليس شاملاً أو جامعًا. هناك الكثير عن الله ممَّا لا نعرفه (ولا يمكننا أن نعرفه). لذلك، فإنَّ لاهوت صفات الله هو تعبير واثق عن الإيمان

واعتـراف متواضـع بالجهـل بمـا يتماشـى مـع طبيعـة ومحتـوى إعـلان الله عـن ذاتـه لنـا.

إنَّهـا مفارقـة فـي إعـلان الله عـن نفسـه أنَّـه علـى الرغـم مـن أنَّ صفاتـه هـي أساسـيَّة فـي ذلـك الإعـلان، فإنَّـه نـادرًا مـا يتـمُّ ذكرهـا علـى وجـه التحديـد. إنَّ كـون الله غيـر مرئـيٍّ، علـى سـبيل المثـال، متضمَّـن مـن سـرديَّة الخلـق فـي سـفر التكويـن ومـا بعـده، ومـع ذلـك نـادرًا مـا تُذكَـر تلـك الصفـة بالاسـم فـي الكتـاب المقـدَّس. هـذا لا يعنـي أنَّـه يمكـن تجاهلهـا، أو (ناهيـك عـن) إنكارهـا. وهكـذا، تحريـم صنـع «صـورة منحوتـة، أو أيِّ شـبه لأيِّ شـيء» هـي الوصيَّـة الثانيـة مـن الوصايـا العشـر، والتـي توضِّـح أنَّـه لا يجـب عبـادة الأشـياء المرئيَّـة، لأنَّهـا ليسـت -ولا يمكـن أن تكـون- الله (الخـروج ٢٠: ٤؛ التثنيـة ٥: ٨). إنَّ جوهـر عقيـدة الاحتجـاب الإلهـيِّ موجـود، لكـن لا توجـد كلمـة تسـتخدم لوصـف ذلـك. ولا يوجـد أيُّ تحليـل منهجـيٍّ للمفهـوم مقارِنًـا إيَّـاه بالصفـات الإلهيَّـة الأخـرى، مثـل عـدم المـوت، أو حتَّـى مـع مظاهـر أخـرى لكينونتـه، مثـل كليَّـة وجـوده. هـذه الأشـياء لا تُنكَـر، لكـن يتـمُّ افتراضهـا بـدلاً مـن ذكرهـا. وعندمـا نشـأت الحاجـة إليهـا، تـمَّ التقاطهـا واسـتخدامها لطمأنـة الإسـرائيليِّين أنَّ الله الـذي كان مـع إبراهيـم وإسـحاق ويعقـوب كان معهـم، ولا يـزال موجـودًا فـي السـلطة أينمـا كانـوا، ولكـن لـم يتـمَّ إجـراء أيَّـة محاولـة لتنظيـم مثـل هـذه العبـارات باعتبارهـا صفـات، أو لشـرح ماهيَّتهـا وسـبب أهميَّتهـا. بالنسـبة للإسـرائيليِّين القدمـاء، كان التعـرُّف علـى مـا نسـمِّيه صفـات الله جـزءًا مـن إيمانهـم

بـالله. كان مـن المتوقَّـع أن يفتـرض أولئـك الذيـن لديهـم هـذا الإيمـان حقيقـة أيِّ صفـة إلهيَّـة مطلوبـة لمواجهـة حالـة معيَّنـة، وكان ذلـك كافيًـا.

يكشـف العهـد الجديـد عـن نهـج مماثـل. إذ تعتبـر صفـات الله أمـرًا مفروغًـا منـه ويتـمُّ توظيفهـا للخدمـة عندمـا تقتضـي الحاجـة، ولكـن نـادرًا مـا يتـمُّ لفـت الانتبـاه إليهـا. مـن المثيـر للاهتمـام بشـكلٍ خـاصٍّ ملاحظـة أنَّ غيـر اليهـود الذيـن تحوَّلـوا إلى المسـيحيَّة لـم يكـن مـن الضـروريِّ إخبارهـم عـن شـكل إلـه الكتـاب المقـدَّس. إذ لـم يرغبـوا حتَّـى فـي رسـم (أو نحـت) صـور ليسـوع يمكنهـم تكريمهـا، علـى الرغـم مـن أنَّ هـذا سـيحدث فـي القـرون اللاحقـة. ولـم تصمـد مفاهيمهـم الوثنيَّـة عـن الألوهيَّـة أمـام تحوُّلهـم إلـى المسـيحيَّة، وقـد قبلـوا الفهـم اليهـوديَّ لطبيعـة الله دون أدنـى شـكٍّ. الاسـتثناء الوحيـد (الجزئـيُّ) لهـذا يأتـي فـي سـياق إشـارة مباشـرة إلـى تجسُّـد كلمـة الله. إذ كتـب الرسـول يوحنَّـا عندمـا شـرح مغـزى ذلـك: «اَللهُ لَـمْ يَـرَهُ أَحَـدٌ قَـطُّ. اَلابْـنُ الْوَحِيـدُ الَّـذِي هُـوَ فِـي حِضْـنِ الآبِ هُـوَ خَبَّـرَ.» (يوحنَّـا ١: ١٨).

لـم يقـل يوحنَّـا **كيـف** خبَّـر يسـوع عـن الله (أيْ جعلـه معروفًـا) لكنَّـه شـدَّد علـى أنَّـه لكَـوْن الله غيـر مرئـيٍّ، فـلا يمكـن أن يُعـرف بمعـزل عـن تجسُّـد الكلمـة علـى أنَّـه يسـوع المسـيح. لـم يتغيَّـر الله، وإذا كان يسـوع قـد جعلـه معروفًـا، فقـد فعـل ذلـك فـي بشـريَّته ومـن خلالهـا (كولوسـي ٢: ٩؛ تيموثـاوس الأولـى ٢: ٥-٦). تظـلُّ صفـات طبيعـة الله خفيَّـة وغامضـة كمـا كانـت دائمًـا. لذلـك يجـب أن تكـون صفـات الله الشـخصيَّة أو «القابلـة للتشـارُك» هـي

التي يكشف عنها يسوع، وهذا بالضبط ما نجده في الأناجيل.

بعد قولي هذا، تظهر بعض المصطلحات المجرَّدة التي نستخدمها الآن لوصف صفات الله في العهد الجديد. النصُّ الرئيسيُّ هو تيموثاوس الأولى ١: ١٧، حيث يوصف الله بأنَّه «من لا يموت» و«من لا يُرى». من بين هذين المصطلحين، يأتي الثاني أكثر تكرارًا، كما يحدث في رومية ١: ٢٠؛ وكولوسي ١: ١٥-١٦، والعبرانيِّين ١١: ٢٧ أيضًا. ويتمُّ التعبير عن عدم قابليَّة الله للتغيُّر بشكل غير مباشر، ولكنَّها موجودة مع ذلك، كما سيوضِّح المثال التالي:

> فَلِذلِكَ إِذْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيرًا لِوَرَثَةِ الْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغَيُّرِ قَضَائِهِ، تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ، حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَيِ التَّغَيُّرِ، لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا. (العبرانيِّين ٦: ١٧-١٨)

إنَّ قدرة الله المطلقة هي أيضًا موضوع كتابيٌّ يتكرَّر في الكتاب المقدَّس من إحدى دفَّتيه إلى الأخرى. هناك ما لا يقلُّ عن ستَّة تكرارات لكلمة «القدير» في سفر التكوين وتسعة في سفر الرؤيا، ولكنَّها توجد بشكل متكرِّر في أيُّوب، حيث تظهر ما لا يقلُّ عن واحد وثلاثين مرَّة. وبالنظر إلى أنَّ سفر أيُّوب هو تأمُّل ممتدٌّ في ترتيب الله للعناية الإلهيَّة للكون، فإنَّ ذلك مهمٌّ بشكل خاصٍّ. فبالنسبة لأيُّوب، لم تكن قدرة الله المطلقة مجرَّد واحدة من صفاته من بين العديد من الصفات، بل كانت مفتاحًا لفهم أغراضه الغامضة في عالم غالبًا ما يُدعى

فيه الأبرار إلى المعاناة دون سبب واضح.

نَهْجُنا

عند فحص صفات الله، نبدأ بتلك المعتَبَرة **جوهريَّةً** في كينونته وهذا ما يفوق إدراكنا. إنَّنا نعلم أنَّه لا بُدَّ من وجود تلك الصفات لأنَّ الطريقة التي يعمل بها الله تعتمد عليها. وغالبًا ما تُعتبر مجريات الصفات الإلهيَّة الجوهريَّة صفات قائمة بذاتها، ولذا سأعاملها على أنَّها فئة فرعيَّة مميَّزة مُستقلَّة بنفسها. ثانيًا، هناك صفات **علائقيَّة** في الله. وهذه هي أوصاف له من حيث علاقته بنا، لكن تظلُّ كينونته متفرِّدة بتلك الصفات، وتتمُّ مشاركتها معنا فقط من حيث التشابه. ببساطة، فالله قدُّوس وبارٌّ وصالح بالمعنى المطلق، في حين أنَّنا يمكن أن نكون مقدَّسين وأبرارًا وصالحين فقط في حدود طبيعتنا المحدودة. ومهما أظهرنا هذه الصفات، لا يمكننا أبدًا أن نأمل في امتلاكها بالطريقة التي يمتلكها الله. فبالمقارنة معه، تُصبح «كَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا»، كما قال النبيُّ إشعياء، ولا يمكن لأيِّ إنجاز بشريٍّ في هذا المجال أن يحلَّ محلَّ هبة الله الكريمة بنفسه لنا (إشعياء ٦٤: ٦).

المخطَّط الناتج للفصلين التاليين هو كما يلي:

٢. صفات الله الجوهريَّة
أ. صفات الله الجوهريَّة كما هي في حدِّ ذاتها
(١) صفات تصف ماهيَّة الله

(٢) صفات تصف كيف يبدو الله
(٣) صفات تُناقِض الزمان
(٤) صفات تُناقِض المكان
ب. صفات الله الجوهريَّة كما ندركها
(١) الوجود المُطلَق
(٢) القدرة المُطلَقة
(٣) العلم المُطلَق
٣. صفات الله العلائقيَّة
أ. صفات الله العلائقيَّة كما هي في حدِّ ذاتها
(١) الله ككائن شخصيٍّ
(٢) الله ككائن عقلانيٍّ
ب. صفات الله العلائقيَّة كما ندركها
(١) القداسة
(٢) البرُّ
(٣) الصلاح

آمل أن يقدِّم هذا المخطَّط نظرة عامَّة شاملة عن صفات الله، مرتَّبة بطريقة منطقيَّة، والتي من شأنها أن تعطي أدلَّة الكتاب المقدَّس حقَّها الواجب، وشهادة التقليد المسيحيِّ السائد، واهتمامات الوقت الحاضر.

٢

صفات الله الجوهريَّـة

صفات الله الجوهريَّة كما هي في حدِّ ذاتها

عـرف المسـيحيُّون الأوائـل أنَّ الله ليـس «كائنًـا» بالمعنـى المعتـاد للكلمـة. كانـوا يدركـون أنَّ الفلاسـفة اليونانيِّيـن قـد ابتكـروا مصطلحـات مثـل *ousia* (الجوهـر) و *hypostasis* (الشـخص) فـي محاولـة منهـم لفهـم العالـم مـن حولهـم، لكنَّهـم عندمـا وصفـوا الله بأنَّـه ثلاثـة أقانيم/أشـخاص فـي جوهر واحـد، كانوا يسـتخدمون هـذه الكلمـات لنقـل نمـط التفكيـر الموجـود فـي الكتـاب المقـدَّس، مضيفيـن أبعـادًا لهـا معنـى لـم يعرفهـا اليونانيُّـون القدمـاء. كان كاتـب العبرانيِّيـن قـد وصـف الابـن بأنَّـه رَسْـمُ طبيعـةِ (*hypostasis*) الآب، وهكـذا بـدا للمسـيحيِّين الأوائـل أنَّ *hypostasis* هـي الطريقـة

الصحيحة للتعبير عمَّا نسمِّيه الهويَّة «الشخصيَّة» (العبرانيِّين ١: ٣).[١] أمَّا بالنسبة لـ *ousia*، فهي مشتقَّة من فعل «يكون» وتتوافق مع إعلان الله الذاتيِّ لموسى على أنَّه «أهية/أنا هو» (الخروج ٣: ١٤). وفي العهد الجديد، يظهر ذلك في الترجمة الحرفيَّة (ايجو إيمي *egō eimi*) وباعتباره اسم فاعل (كائن *ho ōn*) (يوحنَّا ٨: ٥٨؛ الرؤيا ١: ٨).[٢] يستخدم الله هذه اللغة الخاصَّة به لأنَّه يريدنا أن نفهم أنَّه موجود بالفعل. إنَّه ليس نسجًا من خيالنا أو فكرة مجرَّدة، ولكنَّه كائن حيٌّ فاعل نشِط في الكون الذي خلقه، على الرغم من أنَّه ليس جزءًا أصيلاً منه.

ما أطلق عليه المسيحيُّون الأوائل الكينونة المطلقة هو ما يمكن أن نصفه الآن بـ «التسامي»، أي القدرة (أو، في حالة الله، الضرورة) على تجاوز حدود الزمان والمكان. إنَّنا لا نستطيع «الصعود إلى السماء» كما يقول الكتاب المقدَّس، ولكن لا يوجد ما يمنع الله المتسامي من النزول من السماء والتواصل معنا.[٣] أولئك الذين يزعمون أنَّ البشر غير قادرين على التحدُّث عن الله لأنَّ المحدود لا يمكن أن يحتوي اللامحدود يعبِّرون عن نصفِ حقيقةٍ مضللٍّ. نعم، لا يمكن فعلاً أن يحيط المحدود بما هو غير محدود، لكنَّ اللامحدود يمكنه (وبحكم طبيعته يجب) أن يخترق المحدود ويكون حاضرًا فيه. إنَّ كشف الذات الإلهيَّة عن نفسها في النظام المخلوق -أو «المحايثة Immanence» إن

١ تضع ترجمة ESV العبارة بهذا الشكل: «البصمة الدقيقة لطبيعته [أي، طبيعة الآب].»

٢ تستخدم اللغة الإنجليزيَّة كلمة «كيان/كينونة being» كفعل وكاسم. بينما في لغات أخرى، مثل الروسيَّة، ليس لها صيغة مضارع «يكون to be»، وبالتالي يتمُّ اختزالها إلى قول «أنا الله»، مع حذف الفعل تمامًا [ربَّما كما في العربيَّة بشكلٍ ما؛ (المُتَرجِم)].

٣ قال يسوع لنيقوديموس في يوحنَّا ٣: ١٣ إنَّ الابن «نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ».

أردنا استخدام المصطلح التقنيِّ لها- هو بالتالي أمرٌ ممكنٌ وذو مغزى. إنَّ الله هو الربُّ فوقنا وبعيدًا عنَّا، لكنَّه قرَّر أن يكون معنا.

صفات تصف ماهيَّة الله

البساطة. إنَّ السمة الأساسيَّة لكيان الله هي بساطته.[٤] إنَّ الله «بسيط» بمعنى الكلمة المستخدمة في الكيمياء؛ أي أنَّ طبيعته ليست مركَّبة من عناصر مختلفة. قد يساعدنا التشبيه بالماء على فهم معنى ذلك وسبب أهميَّته. فالماء مادَّة مركَّبة تتكوَّن من الهيدروجين والأكسجين، ويمكن فصلها إلى أجزائها المكوِّنة. لكنَّ الله ليس مركَّبًا. فإذا كان كذلك، لن يمكن له أن يظلَّ ذلك الكائن المطلق. فمنطقيًّا، ستكون كلُّ أجزائه المكوِّنة سابقة له. من المفترض أن يكون هناك أيضًا قوَّة ما أنتجت «الإله» من تلك الأجزاء المختلفة، وهذه القوَّة ستكون أيضًا كائنًا أعظم من «الإله» الناتج. مثل هذا الكائن غير موجود ولا يمكن أن يوجد، وبالتالي علينا أن نقول إنَّ الله «بسيط»؛ أي إنَّه هو ما هو، وهذا كلُّ ما في الأمر.

تعني البساطة الإلهيَّة أنَّ كلَّ ما نقوله عن الله ينطبق على كيانه الكليِّ. فالله ليس غير مرئيٍّ جزئيًّا أو غير خالد جزئيًّا. عندما نلتقي بالله، يجب أن نلتقي به في ملء كيانه، لأنَّه لا يمكن أن يكون أقلَّ من ذلك. إنَّنا لا نعرف الكثير عن الله، لكن

٤ لمناقشة أوسع حول هذا الموضوع، انظر:
James E. Dolezal, *God without Parts: Divine Simplicity and the Metaphysics of God's Absoluteness* (Eugene, OR: Pickwick, 2011).

يمكننا أن نكون على يقين من أنَّ كلَّ ما يخفى عن أعيننا يتوافق مع ما أُعلن لنا. قال بولس لأهل كورنثوس: «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» (كورنثوس الأولى ١٣: ١٢). بعبارة أخرى، لدينا معرفة جزئيَّة بملء الله، وليس معرفة كاملة بجزء منه فقط. وهذه المعرفة سوف تتَّسع، ولكن كما هو الحال مع صورة في مرآة، ستصبح أكثر وضوحًا وتركيزًا بالتدريج، لكنَّها لن تكون شيئًا مختلفًا تمامًا عمَّا نعرفه بالفعل.

تعني البساطة الإلهيَّة أيضًا أنَّ صفات الله تخترق بعضها البعض. إنَّ التحليل النظريَّ مفيد لأنَّه يسمح لنا بالتركيز على جوانب مختلفة من كيان الله، لكن لا يمكننا استخراج صفة واحدة، مثل الاحتجاب، والتعامل معها وكأنَّها لا علاقة لها بالصفات الأخرى. سواء كنَّا نفكِّر في الله على أنَّه عديم الموت أو غير قابل للتألُّم أو سرمديٌّ، فإنَّ ما نقوله عنه ينطبق على كلِّ شيء فيه. إذا كان الله بارًّا، فهو بارٌّ أبديًّا بلا فناء. وإذا كان غير مرئيٍّ وغير قابل للتغيُّر، فإنَّ برَّه أيضًا غير مرئيٍّ وغير قابل للتغيُّر.

تمنعنا البساطة الإلهيَّة من تسمية الشخصيَّة بأنَّها صفة إلهيَّة. فإذا كان الأمر كذلك، فلن يكون هناك سوى شخص واحد في الله، وليس ثلاثة أشخاص. تجعل البساطة أيضًا من المستحيل القول إنَّ الله غاضب بطبيعته. فالغضب هو الطريقة التي يختبر بها العصاة عدل الله، لكنَّه ليس صفة إلهيَّة. لو كان الأمر كذلك، لكان الله غاضبًا على الجميع طوال الوقت. بهذه

الطرق وغيرها من الطرق المماثلة، تُعدُّ البساطة بمثابة فحص لتحليلنا لكينونة الله وتساعدنا على فهم ما يمكن (وما لا يمكن) تصنيفه ضمن صفاته.

إنَّ بساطة الله ليست مذكورة صراحةً على هذا النحو في الكتاب المقدَّس، لكنَّها تتَّفق مع ما يقوله يعقوب عن أبي الأنوار: «الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ.» (يعقوب ١: ١٧). يتحدَّث يعقوب في المقام الأوَّل عن اتِّساق الله في تقديم المواهب لشعبه، والتي لن يتمَّ تقليصها أو سحبها أبدًا، لكنَّه يبرِّر هذه العبارة بالإشارة إلى طبيعة الله، التي تتَّسق مع نفسها. يمكن أيضًا لتلك العقيدة أن تستمدَّ الدعم من عدد من المقاطع الكتابيَّة التي تقول أشياء مثل: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.» (التثنية ٦: ٤، اقتبسها يسوع أيضًا في مرقس ١٢: ٢٩). يذهب إشعياء ٤٤: ٦ إلى ما هو أبعد من ذلك ويقول:

«أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي.»

يتردَّد صدى هذه العبارة في الرؤيا ١: ٨، حيث يكشف الله عن نفسه ليوحنَّا باعتباره الألف والياء، الأوَّل والآخِر. آية أخرى مهمَّة هي أفسس ٤: ٦: «إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ.» لا يتكلَّم أيٌّ من هذه النصوص مباشرة عن البساطة الإلهيَّة، لكنَّها جميعًا تشهد على وحدانيَّة الله وتفرُّده؛ فلا يوجد إله آخر سواه. تُغطِّي كلمة «البساطة»، متى فُهِمَت بشكل صحيح، كُلاًّ من «الوحدة» و«الكمال»، وهما مصطلحان يُستخدمان أحيانًا للإشارة إلى صفات إلهيَّة يُعتقَد أنَّها يمكن تمييزها عن البساطة. وفي الواقع، تقترِن تلك الصفات معًا. إذا كان الله هو من يقول

عـن نفسـه إنَّـه هـو، فـإنَّ بسـاطته تربـط كلَّ شـيء معًـا، وكمـا قـال يعقـوب، لا يوجـد فيـه تفـاوت أو تغيير.

تعنـي البسـاطة الإلهيَّـة أيضًـا أنَّ طبيعـة الله لا يمكـن أن تترافـق بالتركيـب مـع أيِّ شـيء آخـر. عندمـا أصبـح ابـن الله إنسـانًا، اجتمـع لاهوتـه وناسـوته، ولكـن كانـت هنـاك أطروحـات عظيمـة فـي الكنيسـة الأولـى بشـأن كيفيَّـة حـدوث ذلـك. اعتقـدت إحـدى المـدارس الفكريَّـة، المرتبطـة بكنيسـة الإسـكندريَّة فـي مصـر، أنَّ هنـاك اندماجًـا بيـن الاثنيـن، ممَّـا يعنـي أنَّ الناسـوت اندمـج فـي الألوهيَّـة، ولكـن فـي عـام ٤٥١ بعـد الميـلاد، حكـم مجمـع كنسـيٌّ عُقِـد فـي خلقيدونيـة (مقابـل القسـطنطينيَّة) أنَّ المسـيح المتجسِّـد كان شـخصًا إلهيًّـا واحـدًا فـي طبيعتيـن، ولـم تتأثَّـر أيٌّ مـن الطبيعتيـن بـأيِّ شـكل مـن الأشـكال بالطبيعـة الأخـرى. رفضـت كنيسـة الإسـكندريَّة هـذه الصيغـة، وكانـت النتيجـة مـا نسـمِّيه الآن بدعـة الطبيعـة الواحـدة، التـي تُصـرُّ علـى وجـود طبيعـة واحـدة فقـط فـي المسـيح بعـد التجسُّـد.[٥] بالنسـبة للعقـل الخلقيدونـيِّ، لا يمكـن لهـذا إلاَّ أن يعنـي أنَّ ألوهيَّـة الابـن قـد أضافـت الطبيعـة البشـريَّة إلـى نفسـها، وبالتالـي عرَّضـت بسـاطتها للخطـر. فـي القـرن السـادس عشـر، أُثيـر السـؤال مـرَّة أخـرى، لكـن هـذه المـرَّة فـي شـكل عقيـدة وجـود جسـد المسـيح فـي كلِّ مـكان Ubiquity، والتـي كان ينـادي بهـا بعـض اللاهوتيِّيـن اللوثريِّيـن. وفقًـا لهـم، عندمـا صعـد المسـيح إلـى السـماء، لـم يأخـذ جسـده معـه

٥ تُعتَبـر الكنائـس القديمـة فـي مصـر وإثيوبيـا وسـوريا وأرمينيـا كنائـس تنـادي بالطبيعـة الواحـدة بهـذا المعنـى، علـى الرغـم مـن أنَّ معظـم علمـاء اللاهـوت المعاصريـن يقبلـون أنَّ المشـكلة تكمـن فـي الطريقـة المختلفـة التـي يسـتخدمون بهـا مصطلـح «الطبيعـة» (*physis*) وليـس فـي جوهـر عقيدتهـم التـي هـي أرثوذكسـيَّة بالكامـل.

فحسب، بل امتصَّه أيضًا في لاهوته، بحيث أينما كان حاضرًا روحانيًّا، فإنَّ جسده هناك أيضًا. كان هذا صحيحًا بشكل خاص بشأن القربان المقدَّس، إذ اعتقد اللوثريُّون أنَّ جسد المسيح كان حاضرًا «في، ومع، وتحت» عناصر الخبز والخمر. بالنسبة إلى البروتستانت الآخرين، بدا هذا بشكل خطير كنوع من القول بالطبيعة الواحدة، ولم يتباطأ جون كالفِن في إدانة ذلك.[6] لقد تلاشى خطر الانتكاس إلى هذا النوع من الخطأ، لكنَّه لم يختفِ، ويجب أن نكون حذرين من أيِّ إيحاء بأنَّ طبيعة المسيح الإلهيَّة قد تعرَّضت للاختلال بإضافة عنصرٍ بشريٍّ غريب عنها إليها.

اللاجسدانيَّة Incorporeality. إنَّ الله عديم الجسد. غالبًا ما يفضِّل اللاهوتيُّون المحدثون مصطلح «الروحانيَّة»، والذي قد يبدو أفضل ولكنَّه في الواقع أقلُّ ملاءمة. هناك كائنات روحيَّة لها أجساد وبالتالي فهي محدودة بطريقة ما. قال بولس لأهل كورنثوس إنَّه في القيامة سيكون لدينا «أجساد روحانيَّة»، وعلَّم يسوع تلاميذه أنَّهم سيكونون مثل الملائكة، لذلك نستنتج من هذا الدليل أنَّ الملائكة لهم أجساد روحانيَّة أيضًا (متَّى ٢٢: ٣٠؛ كورنثوس الأولى ١٥: ٤٤). إنَّنا لا نعرف بالضبط ما هي تلك الأجساد، إلاَّ أنَّها تبدو عديمة الموت، مثل الله (بخلاف أنَّه أزليٌّ). أمَّا فيما يتعلَّق بالله، فهو روحانيٌّ ولكن ليس له جسد. إنَّنا لا نعرف كيف يتواصل مع مخلوقاته الروحيَّة، ولكن هناك الكثير من الأدلَّة على أنَّه يتواصل معهم

6 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, 4.17.30.
يحقُّ أن يُقال أنَّ اللوثريِّين المُحدثين يرفضون هذا التفسير.

بالفعل، وهم «يرونه» بمعنى ما (متّى ١٨: ١٠).

إنَّ الروحانيَّة شيء مشترك بين الله والملائكة والشياطين (الأرواح الشريرة) وكذلك البشر، لكنَّ الطبيعة اللاجسدانيَّة هي ملك لله وحده. واللاجسدانيَّة تعني أنَّ الله غير محدود. ليس له جسد وبالتالي ليس له حدود لكيانه. وهذا يعني أيضًا أنَّه موجود في كلِّ مكان لنفس السبب. علينا أن نؤكِّد هذا لأنَّ الكتاب المقدَّس غالبًا ما يستخدم الاستعارات الجسديَّة لوصف الله. فنقرأ عن «يده» و«عينيه»، على الرغم من أنَّه يتَّضح من إدانته لعبادة الأصنام أنَّه في الواقع ليس لدى الله أيٌّ من هذين الأمرين (أخبار الأيَّام الثاني ١٦: ٩؛ إشعياء ٥٩: ١).

إنَّ التحريم المستمرَّ المُوَجَّه ضدَّ عبادة الأصنام في العهد القديم يجعل من غير الضروريِّ القول بأنَّ لاجسدانيَّة الله هي عقيدة كتابية -فمن الواضح أنَّها كذلك- لكنَّها تُعطي وزنًا إضافيًّا للطبيعة المتناقضة ظاهريًّا لما يقوله بولس عن يسوع في كولوسي ٢: ٩: «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» أولئك الذين سمعوا هذه الكلمات لأوَّل مرَّة، خاصَّة إذا كانوا يهودًا، لا بدَّ وأنَّهم قد صُدموا من التناقض الواضح في المصطلحات، وهو ردٌّ فعل لا يؤدِّي إلاَّ إلى تسليط المزيد من الضوء على مدى تفرُّد تجسُّد الابن وعدم توقُّعه. إنَّ الله اللاجسدانيَّ، الذي لا يمكن تصوُّره بسبب لانهائيَّته، قد دخل الحياة البشريَّة كإنسان بجسد يمكن رؤيته ولمسه والتعامل معه باعتباره كلمة الحياة (يوحنَّا الأولى ١: ١). لكنَّ الجسد الذي اتَّخذه لم يَصِر إلهًا؛ بل لقد كان ولا يزال جسدَ إنسانٍ. عندما

صعـد يسـوع إلـى السـماء، أخـذ ذلـك الجسـد معـه، ولكـن علـى الرغـم مـن تمجيـده، فإنَّـه لـم يُبتلـع فـي داخـل الكينونـة الإلهيَّـة التـي يتشـاركها الابـن مـع الآب والـروح القـدس. فـي المسـيح القائم سـنرى الله وسـنتَّحد بـه فـي السـماء، وليـس مـن خـلال المشـاركة فـي تلـك الطبيعـة اللاجسـدانيَّة التـي تفـوق فهمنـا.

الثبـات Stability. اعتقـدت بعـض أشـكال الفلسـفة اليونانيَّـة القديمـة أنَّ الواقـع كلَّـه يعتريـه تغيُّـر مسـتمرٌّ، ويتشـكَّل فـي أشـكال جسـديَّة فقـط ليتحلَّـل فـي التدفُّـق الأبـديِّ للـذرَّات قبـل أن يتـمَّ إعـادة تشـكُّله بطريقـة أخـرى. كان هـذا التحلُّـل وإعـادة البعـث يسـتمرُّ إلـى الأبـد ومـن شـأنه أن يضمـن أنَّـه لا يمكـن أن يكـون هنـاك ثبـات أو اسـتقرار فـي الكـون.

كان علـى المسـيحيِّين الإصـرار علـى أنَّ الله ليـس كذلـك. أيًّـا كان مـا قـد يتكـوَّن منـه «جوهـره»، فإنَّـه لا ينحسـر ويتدفَّـق؛ بـل إنَّ كيانـه مسـتقرٌّ. يتَّفـق المسـيحيُّون علـى أنَّ الله يعمـل فـي العالـم، لكنَّـه ليـس جـزءًا منـه بالضـرورة. إذ قـد يتبـدَّل النظـام المخلـوق ويتغيَّـر، لكـنَّ الله لا يتغيَّـر. وهـذا لـه عواقـب مهمَّـة ليـس فقـط علـى معتقداتنـا ولكـن أيضًـا علـى أخلاقنـا. علـى سـبيل المثـال، قـد يميـل المسـيحيُّون إلـى الاعتقـاد أنَّـه مـع تغيُّـر العالـم، كذلـك يتغيَّـر الله ومعاييـره الأخلاقيَّـة.[٧] هـذا الميـل ليـس مـن المسـيحيَّة

٧ يبـدو أنَّ هـذا هـو الحـال مـع عالـم لاهـوت الصيـرورة Process Theology نورمـان بيتنغـر Norman Pittenger (١٩٠٥ - ١٩٩٧)، الـذي «كان مـن أوائـل علمـاء اللاهـوت الذيـن أكَّـدوا أنَّ المثليَّـة والعلاقـات الجنسـيَّة المثليَّـة تتَّفـق مـع الإيمـان المسـيحيّ». وبنـاءً علـى ذلـك، فـإنَّ «هـدف الله للجمـال، المرتبـط ارتباطًـا وثيقًـا بتعقيـد التجربـة وحيويَّتهـا، يشـمل التنـوُّع فـي الحيـاة الجنسـيَّة، والعلاقـة الحميمـة، والإبـداع فـي العالـم البشـريِّ وغيـر البشـريِّ.»
Bruce G. Epperly, *Process Theology: A Guide for the Perplexed* (London: T&T Clark, 2011), 14.

في شيء، بل هو وثنيَّةٌ أُعيد إحياؤها في شكل جديد. فالجواب المسيحيُّ على ذلك هو أنَّ «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ.» (العبرانيِّين ١٣: ٨)، وأنَّ الله «لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ.» (يعقوب ١: ١٧). يجيء العالم ويروح، ولكن كما قال إشعياء النبيُّ: «يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ.» (إشعياء ٤٠: ٨؛ انظر أيضًا بطرس الأولى ١: ٢٤-٢٥).

إنَّ ثبات الله يعني أن يثق به شعبه.

صفات تصف كيف يبدو الله

عندما ننتقل من كيان الله إلى الصفات التي تصف كيانه، فإنَّنا ننتقل إلى مستوى ثانويٍّ من الصفات الإلهيَّة. هذه الصفات مقصورة على الله مثلها كمثل الصفات الأوَّليَّة، لكنَّها تتعلَّق بالصفات التي تناولناها أعلاه من حيث أنَّها لا تصحُّ بالعكس. على سبيل المثال، من المنطقيِّ أن نفترض أنَّ الإله البسيط سيكون أيضًا غير قابل للتغيُّر، ولكن ليس من الواضح أنَّ الكائن غير القابل للتغيُّر يجب أن يكون بسيطًا أيضًا. أمَّا مسألة ما إذا كان ينبغي تسمية هذه السمات الثانويَّة صفات في حدِّ ذاتها أو لا، فذلك أمر يختصُّ بالتعريف إلى حدٍّ كبير. فلطالما دعاها التقليد اللاهوتيُّ صفاتٍ، وقد اخترت اتِّباع هذا النمط هنا.

الاحتجاب (عدم القابليَّة أن يكون مرئيًّا) Invisibility. إنَّ

احتجاب الله هو نتيجة لكونه لاجسدانيًّا. فإذا لم يكن لديه جسد، فإنَّ كيانه ليس له تعريف حسِّيٌّ وبالتالي من المستحيل اكتشافه. في العصور القديمة، عندما تكاثرت أصنام الآلهة الوثنيَّة، كان هذا المفهوم ليُعتبَر لافتًا للنظر ومُلهِمًا، لكنَّنا اليوم نأخذه كأمرٍ مسلَّم به. يتبنَّى العهد الجديد موقفًا لا لبس فيه بشأن هذا الموضوع: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ [الذي هو الله *monogens theos*]، الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يوحنَّا ١: ١٨).

أمَّا العهد القديم فلم يكن مباشرًا بنفس القدر، لكنَّ الله أخبر موسى أنَّه لا يستطيع أن يرى وجه الله: «لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (الخروج ٣٣: ٢٠). يقول الله بعد ذلك ببضع آيات: «فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى» (الخروج ٣٣: ٢٣). تصبح الأمور أكثر تعقيدًا إلى حدٍّ ما عندما يخبرنا المؤرِّخ بعد موت موسى أنَّ الربَّ عرفه «وَجْهًا لِوَجْهٍ» (التثنية ٣٤: ١٠). ماذا ينبغي أن نعتبر من ذلك؟ تصف عبارة «وَجْهًا لِوَجْهٍ» ما نسمِّيه الآن علاقة شخصيَّة مع الله. هذا لا يعني أنَّ موسى رأى الله جسديًّا ولكنَّه كان يتواصل مع الله بدون وسيط. على عكس بقيَّة بني إسرائيل، لم يكن موسى بحاجة إلى كاهن للتوسُّط أو لتقديم الذبيحة نيابةً عنه.

يعني احتجاب الله أنَّه، بمعزل عن الإعلان العام في الطبيعة، يجب أن يتواصل مع البشر بالكلمات وليس بالصور. وبالمعنى الدقيق للكلمة، ليس لدى الله صوت بقدر ما ليس له جسد، ولكن الصوت هو الحاسَّة الأقلُّ من الناحية الماديَّة، وبالتالي هو الأكثر ملاءمة لشرح كيفيَّة تواصل الله مع خليقته.

يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّ الله خلق العالم بالتكلُّم؛ إذ قال «لِيَكُنْ نُورٌ»، فكان نور (التكوين ١: ٣؛ انظر أيضًا المزامير ٣٣: ٩). كما يتناول يوحنَّا الموضوع في بداية إنجيله: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» (بشارة يوحنَّا ١: ١). علاوةً على ذلك، فإنَّ السمع، وليس الرؤية، هو ما يؤمن من خلاله البشر. كما يعلنها بولس: «إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.» (رومية ١٠: ١٧).[٨] لقد علِم بولس ذلك من خلال اختبار اهتدائه للإيمان، إذ قيل لنا: «وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا. فَنَهَضَ شَاوُلُ عَنِ الأَرْضِ، وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لاَ يُبْصِرُ أَحَدًا.» (أعمال الرسل ٩: ٧-٨).

يقول التقليد الممتدُّ في الفكر المسيحيِّ إنَّ الملائكة والقديسين في السماء يتمتَّعون بـ «رؤية الله البهيَّة». يعتمد هذا التقليد على آيات الكتاب المقدَّس مثل إشعياء ٦: ١ وكورنثوس الثانية ١٢: ١، التي تتكلَّم عن «رؤية الله»، ولكن ما تتكوَّن منه هذه الرؤية هو موضوع خلاف. إذ ادَّعى البعض أنَّه من الممكن لمن هم روحانيُّون بالحقِّ أن يروا جوهر الله بسبب الطبيعة المشتركة التي يتشاركونها معه، ولكن هناك تمييز جذريٌّ بين الخالق والمخلوق يجب احترامه، وهو تمييز ينتصب ضدَّ ذلك التعليم. هناك إمكانيَّة لدى المخلوق الروحانيِّ أن يرى كائنًا آخر من نفس النوع؛ فمحدوديَّتهما المشتركة تجعل التمييز البصريَّ ممكنًا. ولكن في حالة الله،

٨ قارن هذا مع توبيخ يسوع لتوما، التلميذ الذي لن يؤمن بالقيامة إلاَّ إذا رآها (يوحنَّا ٢٠: ٢٩).

فـإنَّ لامحدوديَّتـه ولاجسـدانيَّته اللامتناهيتيـن تعنيـان أنَّـه لا يوجـد شـيء يمكـن رؤيتـه فعليًّـا. كيـف يمكـن لأيِّ شـخص أن يعـرف أنَّ الرؤيـة التـي لديـه كانـت رؤيـة لله؟ مـا هـي حـدود تلـك الرؤيـة، وبالتالـي مـا هـي حـدود الله؟ هـل سـتعني رؤيتـه بمعنـى ماديٍّ أنَّـه فـي مـكان مـا خارجنـا، وبالتالـي فهـو ليـس لانهائيًّـا حقًّـا ولا يسـكن فـي قلوبنـا بالإيمـان؟ إنَّنـا هنـا بصـدد لغـز يمكـن وصفـه فـي لغـة البشـر بأنَّـه «رؤيـة» ولكنَّـه فـي الواقـع تجربـة تتجـاوز أيَّ شـيء يمكـن لعقولنـا المحـدودة فهمـه.

عـدم القابليَّـة للتألُّـم Impassibility. وفقًـا للمسـيحيِّين الأوائـل، فـإنَّ الله لا يمكـن لـه أن يتألَّـم. لـم تـرد الكلمـة فـي الكتاب المقـدَّس وهـي نـادرة بشـكل مدهـش فـي الأدب اليونانـيِّ القديـم، علـى الرغـم مـن أنَّهـا كانـت عقيـدة رئيسـيَّة فـي الفلسـفة الرواقيَّـة. بالنسـبة للرواقيِّيـن، يعتبـر تجـاوز المشـاعر هـو ذروة الفضيلـة. كان هـذا هـو المفتـاح لعيـش حيـاةٍ تمتـاز بأنَّهـا ليسـت عرضـة لتقلُّبـات العاطفـة، ويمكـن أن تقبـل كلَّ شـيء، بمـا فـي ذلـك المـوت، بـروح الاستسـلام.[٩] بالنسـبة لأولئـك الذيـن انجذبـوا إليهـا، كانـت الرواقيَّـة نوعًـا مـن البطولـة. غيـر أنَّ آخريـن أخـذوا نظـرة أكثـر سـلبيَّة عنهـا، معتبريـن أنَّ اللامبـالاة ليسـت حالـة مـن النعمـة بـل هـي شـكل مـن أشـكال القصـور الذاتـيِّ بـل وحتَّـى انعـدام المسـؤوليَّة.

علـى الرغـم مـن ندرتهـا النسـبيَّة فـي الكتابـات الوثنيَّـة القديمـة، فقـد اسـتخدم المسـيحيُّون مصطلـح «غيـر قابـل للتأثُّـر

٩ مـا زلنـا نقـول عـن الأشـخاص الذيـن يتحمَّلـون المصائـب بانهزاميَّـة إنَّهـم «رواقيُّـون» فـي سـلوكهم، علـى الرغـم مـن أنَّهـم فـي معظـم الحـالات ربَّمـا لا علاقـة لهـم (أو لديهـم معرفـة) بالفلسـفة اليونانيَّـة القديمـة التـي تحمـل هـذا الاسـم.

بالألـم» غالبًـا فـي وصفهـم لله؛ وفـي كثيـر مـن الأحيـان فـي الواقـع، اسـتخدموها أكثـر مـن أيَّـة كلمـة أخـرى مماثلـة تقريبًـا. لـم يكـن هـذا لأنَّ المسـيحيِّين الأوائـل اعتقـدوا أنَّ الله كان رواقيًّـا، أو بـاردًا مـن الناحيـة العاطفيَّـة وغيـر مبـالٍ بالمـأزق البشـريِّ. بـل إنَّ الاسـتخدام المتكـرِّر للمصطلـح مـن قبـل آبـاء الكنيسـة تمَّـت موازنتـه بتأكيدهـم الشـائع أيضًـا أنَّ المسـيح عانـى ومـات مـن أجـل خطايانـا. فـي الواقـع، كان مفهـوم المعانـاة قويًّـا لدرجـة أنَّـه فـي قانـون الإيمـان النيقيـويِّ لـم يتـمَّ ذكـر مـوت المسـيح. تقـول العقيـدة فقـط إنَّـه «تألَّـم وقُبِـر»، الأمـر الـذي يبـدو وكأنَّـه قـد دُفن حيًّـا، ولكـن مـن الواضـح أنَّ هـذا ليـس المقصـود منـه. بالنسـبة إلى واضعـي صياغـة قانـون الإيمـان، يتلاقـى المـوت والمعانـاة معًـا؛ كانـت الأخيـرة مجـرَّد مقدِّمـة لـلأوَّل، وهـو مـا كان نتيجتهـا الحتميَّـة.

ليـس مـن قبيـل المصادفـة أن تتـمَّ مناقشـة عـدم القابليَّـة الإلهيَّـة للتألُّـم فـي أغلـب الأحيـان فـي سـياق معانـاة ومـوت المسـيح. إنَّ القـول بـأنَّ هنـاك إلهًـا فـي السـماء يفـوق المشـاعر البشـريَّة ويتجاوزهـا، هـو أمـر مختلـف تمامًـا عـن أن نعتـرف بـأنَّ نفـس الإلـه أصبـح إنسـانًا وتكبَّـد المعانـاة والمـوت ليدفـع ثمـن خطايانـا. تتَّضـح أهميَّـة ذلـك مـن العهـد الجديـد، إذ يُظهـر كاتـب العبرانيِّيـن تباينًـا حـادًّا بيـن رئيـس الكهنـة اليهـوديِّ ويسـوع المسـيح: «لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.» (العبرانيِّيـن ٤: ١٥-١٦).

مـن هـذا يتَّضـح ليـس فقـط أنَّ ابـن الله يعـرف مـا يعنيـه أن يتألَّـم كإنسـان ولكـن أيضًـا، بسـبب مـا تحمَّلـه، يكـون قـادرًا علـى مسـاعدتنا عندمـا نجـد أنفسـنا فـي مواقـف مشـابهة لتلـك التـي مـرَّ هـو بهـا. لقـول ذلـك بلغـة حديثـة، يعـرف يسـوع مـا نشـعر بـه لأنَّـه أخـذ مكاننـا، لذلـك يمكننـا الوثـوق بـه أن يفهـم مـن أيـن أتينـا وأن يقـدِّم المسـاعدة التـي نحتاجهـا. غالبًـا مـا يرفـض اللاهوتيُّـون المعاصـرون عـدم قابليَّـة الله للتألُّـم علـى أسـاس أنَّهـا تبعـده عنَّـا وتجعـل العلاقـة الشـخصيَّة معـه بمثابـة مشـكلة، إن لـم تكـن مسـتحيلة. بالنسـبة لهـم، فـإنَّ هـذه العقيـدة، أكثـر مـن أيَّـة عقيـدة أخـرى، هـي دليـل علـى أنَّ الأرثوذكسـيا المسـيحيَّة التقليديَّـة، أو «الإيمـان الكلاسـيكيّ» كمـا يُطلـق عليـه أحيانًـا، قـد انحرفـت عـن جذورهـا الكتابيَّـة ويجـب أن يتـمَّ نقضهـا إذا أردنـا أن نكـون مخلصيـن حقًّـا لإعـلان الله عـن نفسـه.[١٠]

يؤمـن المسـيحيُّون أنَّ الله غيـر القابـل للتألُّـم والمـوت قـد تألَّـم ومـات فـي يسـوع المسـيح. لكـن طـوال التاريـخ المسـيحيِّ، كان التحـدِّي يتمثَّـل فـي شـرح كيـف يكـون مثـل هـذا الشـيء ممكنًـا. إنَّ الجـواب التقليـديَّ هـو أنَّ ابـن الله، الـذي يريـد أن يفعل مشـيئة أبيـه، اختـار أن يصيـر إنسـانًا حتَّـى يتألَّـم ويمـوت فـي طبيعتـه

١٠ يعتبر

Thomas G. Weinandy, *Does God Suffer?* (Edinburgh: T&T Clark, 2000)

هو أفضل دراسة للموضوع باللغة الإنجليزيَّة. انظر أيضًا المجموعة المهمَّة من المقالات المُحرَّرة في:

James F. Keating and Thomas Joseph White, *Divine Impassibility and the Mystery of Human Suffering* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2009).

من الأعمال المهمَّة أيضًا:

Jean Galot, *Dieu souffre-t-il?* (Paris: Editions P. Lethielleux, 1976).

الإنسانيَّة من أجلنا. كان هذا التجسُّد ضروريًّا على وجه التحديد لأنَّ الابن لم يستطع أن يتألَّم ويموت كإله. عندما صار أقنوم الثالوث إنسانًا، تألَّم ومات بطبيعته البشريَّة. بعبارة أخرى، تألَّم الله ومات بالطريقة الوحيدة التي كانت ممكنة؛ باتِّخاذ طبيعة أخرى قادرة على فعل ذلك.

علينا أن نفهم هذا إذا أردنا أن نقدِّر ما قصده القدماء عندما أطلقوا على الله أنَّه غير قابل للتألُّم. إذ لم يدُر بخلدِهم آنذاك ردُّ فعل الله العاطفيُّ تجاه الألم البشريِّ. فبالنسبة إلى أذهانهم، كان الله غير قابل للتألُّم لأنَّه لا يمكن أن يتضرَّر ولا يمكن الإخلال بقوَّته بأيَّة قوَّة خارجيَّة. وبهذا المعنى، فإنَّ عدم قابليَّته للتألُّم هي نتيجة منطقيَّة لعدم قابليَّته للتغيُّر، كما أدرك بلعام النبيُّ الموآبيُّ:

> لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أُبَارِكَ. فَإِنَّهُ قَدْ بَارَكَ فَلاَ أَرُدُّهُ. (العدد ٢٣: ١٩-٢٠)

كان السياق هو أنَّ بالاق، ملك موآب، أراد أن يلعن بلعامُ الإسرائيليِّين، لكنَّ بلعام لم يكن لديه القدرة على تقييد إرادة الله، ناهيك عن نقضها. قدَّم بولس تأكيدًا مشابهًا عندما خاطب فلاسفة أثينا قائلاً: «الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ.» (أعمال الرسل ١٧: ٢٤-٢٥).

لـم يتطـرَّق بولـس مباشـرة إلـى مسـألة عـدم القابليَّـة الإلهيَّـة للتألُّـم، لكنَّهـا النتيجـة المنطقيَّـة لتعليقـه. إذا كان الله قـد خلـق كلَّ مـا هـو موجـود ويحفظـه الآن، وإذا لـم يكـن معتمـدًا علـى أيِّ شـيء آخـر، فمَـن مِـن مخلوقاتـه يمكـن أن يؤذيـه؟ تمَّـت مفاقمـة هـذه القـوَّة الشـاملة فـي المزاميـر:

تُرْجِـعُ الإِنْسَـانَ إِلَـى الْغُبَـارِ وَتَقُـولُ: «ارْجِعُـوا يَـا بَنِـي آدَمَ». ... جَرَفْتَهُـمْ. كَسِـنَةٍ يَكُونُـونَ. بِالْغَـدَاةِ كَعُشْـبٍ يَـزُولُ. ... لأَنَّنَـا قَـدْ فَنِينَـا بِسَـخَطِكَ وَبِغَضَبِـكَ ارْتَعَبْنَـا. (المزاميـر ٩٠: ٣، ٥، ٧)

قـد يظـنُّ الأشـرار أنَّهـم قـادرون علـى الإفـلات بأعمالهـم الشـرِّيرة، لكـنَّ المرنِّـم يقـول بلسـان الله:

هـذِهِ صَنَعْـتَ وَسَـكَتُّ. ظَنَنْـتَ أَنِّـي مِثْلُـكَ. أُوَبِّخُـكَ، وَأَصُـفُّ خَطَايَـاكَ أَمَـامَ عَيْنَيْـكَ. افْهَمُـوا هـذَا يَـا أَيُّهَـا النَّاسُـونَ اللهَ، لِئَـلاَّ أَفْتَرِسَـكُمْ وَلاَ مُنْقِـذَ! (المزاميـر ٥٠: ٢١-٢٢)

لخَّـص بولـس هـذا عندمـا كتـب: «لأَنَّ أُمُـورَهُ غَيْـرَ الْمَنْظُـورَةِ تُـرَى مُنْـذُ خَلْـقِ الْعَالَـمِ مُدْرَكَـةً بِالْمَصْنُوعَـاتِ.» (رومیـة ١: ٢٠).

المنطـق هنـا هـو أنَّ الله صنـع كلَّ شـيء ويحتفـظ بسـيطرته علـى مخلوقاتـه، حتَّـى علـى أولئـك الذين تمـرَّدوا ضـدَّه. لا يمكن لأيٍّ منهـم أن يتصـرَّف بطريقـة تتعـارض مـع إرادتـه السـياديَّة، وبالتالـي لا يمكـن لتلـك المخلوقـات أن تؤذيـه أو تنتقـص منـه. والنتيجـة هـي أنَّ الله غيـر قابـل للتألُّـم. هـذا التأكيـد ضـروريٌّ لصَـون سـيادته وحريَّتـه فـي العمـل. فـإذا كان يمكـن أن يخضـع الله بطريقـة مـا

لقـوَّة غريبـة، فـإنَّ إصـراره علـى خلاصنـا لا يمكـن اعتبـاره نهائيًّـا. مـاذا لـو أضعفـه هجـوم العـدوّ؟ كان القدمـاء يدركـون جيِّـدًا أنَّ المعانـاة الجسـديَّة يمكـن أن تشـوِّه منظـور الشـخص بسـهولة وتـؤدِّي بـه إلـى القيـام بأشـياء غيـر عقلانيَّـة. لقـد عقـدوا العـزم علـى عـدم الإيحـاء بـأنَّ الله قـد يكـون كذلـك، لأنَّـه لـو كان كذلـك، لمـا تمكَّنـوا مـن الوثـوق بـه.

هنـاك أيضًـا حقيقـة أخـرى هـي أنَّ بعـض صفـات الله الأخـرى تجعـل مـن الصعـب جـدًّا تخيُّـل كيـف يمكـن أن يتأثَّـر بقـوَّة خارجيَّـة. إذا كان بسـيطًا ولاجسـدانيًّا، فـلا يوجـد فيـه شـيء يمكـن لقـوَّة غريبـة عنـه أن تمسـك بـه. فمـن أيـن سـيبدأ الهجـوم إذًا؟ وإذا كان الله هـو هـو نفسـه عبـر كيانـه كلِّـه، فأيَّـة معركـة يمكـن أن تكـون بينـه وبيـن مُهاجمـه؟ لقـد تعوَّدنـا علـى فكـرة أنَّ المـرض يبـدأ فـي جـزء واحـد مـن الجسـم وينتشـر، لكـنَّ تفاقمًـا مـن هـذا النـوع لا يمكـن تصـوُّره فـي الله. فإمَّـا أنَّـه سـيتأثَّر كليًّـا، وفـي هـذه الحالـة لـن يكـون هـو الله فيمـا بعـد، أو أنَّـه لـن يتأثَّـر بتاتًـا، وفـي هـذه الحالـة سـيكون عليـه أن يكـون غيـر قابـل للتألُّـم. ليـس مـن المسـتغرَب أنَّ المسـيحيِّين القدمـاء كانـوا مدفوعيـن لتأكيـد عـدم القابليَّـة الإلهيَّـة للتألُّـم.

يمكـن إرجـاع الرفـض الحديـث لعـدم القابليَّـة الإلهيَّـة للتألُّـم إلـى أعمـال بعـض اللاهوتيِّيـن الإنجليـز فـي أواخـر القـرن التاسـع عشـر وأوائـل القـرن العشـرين، الذيـن كانـوا يتفاعلـون مـع المعانـاة التـي سـبَّبتها الثـورة الصناعيَّـة والحـرب العالميَّـة الأولـى. كان برتراند براسـنِت Bertrand Brasnett (١٨٩٣ - ١٩٨٨)، وهـو رجـل

منسيٌّ بالكامل تقريبًا، أحد رواد هذا العصر. كتب براسنِت: «يشعر الناس، وربَّما سيشعرون بشكل متزايد، أنَّ الإله غير القابل للتألُّم، والمُعفى من الألم أو المعاناة، هو إله لا قيمة له بالنسبة للبشريَّة المتألِّمة.»[11] ظلَّت فكرة القابليَّة الإلهيَّة للتألُّم فكرة غير مركزيَّة إلى حدٍّ ما حتَّى حلول الدمار الذي سبَّبته الحرب العالميَّة الثانيَّة، عندما أعادت الإبادةُ الجماعيَّة المروِّعة ليهود أوروبا الفكرةَ إلى الواجهة مرَّة أخرى. أصبحت الهولوكوست (المحرقة اليهوديَّة)، أو «Auschwitz» كما تُعرَف غالبًا في الأوساط اللاهوتيَّة، موضوعًا لكتاب رئيسيٍّ بعنوان «الله المصلوب The Crucified God»، بقلم يورغن مولتمان Jürgen Moltmann (مواليد ١٩٢٦)، وهو ما حدَّد نغمة جميع المناقشات اللاحقة حول الموضوع.[12] كان عرض مولتمان للقضيَّة متحيّزًا وتعرَّض لانتقادات شديدة بسبب تحريف الأدلَّة، لكنَّ هذا لم يمنع أطروحته من اكتساب تأثير واسع النطاق في العالم اللاهوتيِّ.[13]

كان الاحتكام إلى الشواهد العديدة في كلٍّ من العهدين القديم والجديد هو أمر هامٌّ لا سيَّما في هذه المناقشة. يقول توماس وينانـدي Thomas Weinandy تلخيصًا لشواهد العهد القديم:

11 B. R. Brasnett, *The Suffering of the Impassible God* (London: SPCK, 1928), ix.
للحصول على مسح شامل لهذا الاتجاه في اللاهوت البريطانيِّ، انظر:
J. K. Mozley, *The Impassibility of God: A Survey of Christian Thought* (Cambridge: Cambridge University Press, 1926).

12 Jürgen Moltmann, *The Crucified God* (London: SCM, 1974); originally published as *Der gekreuzigte Gott* (München: Chr. Kaiser, 1973).

13 Weinandy, *Does God Suffer?*, 3–4n10.

> إنَّ الحجـج المسـتندة إلـى العهـد القديـم الداعمـة لإلـه متألِّـم تتبـع نمطًـا منطقيًّـا ومقنعًـا للغايـة. إذا كان الله حيًّـا وشـخصيًّا وقبـل كلِّ شـيء محبًّـا، وإذا كان هـذا الإلـه يعمـل فـي الزمـان والتاريـخ وداخـل حيـاة البشـر، فيجـب أن يكـون مثـل هـذا الإلـه، كمـا يُقـال، قابـلاً للتألُّـم وقـادرًا علـى اختبـار المعانـاة.[١٤]

إذا كان هـذا ينطبـق علـى العهـد القديـم، فكـم بالحـريِّ سـيكون صحيحًـا بالنسـبة للعهـد الجديـد، خاصَّـة فيمـا يتعلَّـق بـآلام ومـوت المسـيح علـى الصليـب؟ كان هـذا هـو الموضـوع الرئيسـيُّ لـدى أولئـك الذيـن حاجُّـوا دفاعًـا عـن قابليَّـة الله للتألُّـم، وقـد لخَّـص جـان غالـوت Jean Galot ذلـك جيِّـدًا (١٩١٩ - ٢٠٠٨):

> الابـن وحـده يتألَّـم علـى الصليـب، لكـنَّ الآب، هـو شـخص [أقنـوم] إلهـيٌّ مميَّـز ومتَّحـد بشـكل وثيـق بالابـن، لـذا يتألَّـم معـه. إنَّ معانـاة الآب هـي معانـاة تنبـع مـن التعاطـف، وهـي ذات قـوَّة اسـتثنائيَّة بسـبب وحدتهمـا الكاملـة ... فـي وجـه المخلِّـص المتألِّـم يجـب أن نـرى أيضًـا وجـه الآب المتألِّـم. تمكِّننـا آلام يسـوع البشـريَّة مـن الدخـول فـي سـرِّ آلام الآب الإلهيَّـة.[١٥]

مثـل العديـد مـن اللاهوتيِّيـن الذيـن يشـكِّكون فـي العقيـدة التقليديَّـة الخاصَّـة بعـدم قابليَّـة الآب للتألُّـم، ركَّـز غالـوت علـى العلاقـة بيـن الآب والابـن دون التحقيـق فـي الطبيعـة الإلهيَّـة التـي

14 Weinandy, *Does God Suffer?*, 12.

15 Jean Galot, *Abba, Father* (New York: Alba House, 1992), 138–39.

يشتركان فيها (ودون ذكر الروح القدس أيضًا). هذا الفشل في التمييز بين الأشخاص الإلهيِّين وطبيعتهم الإلهيَّة أو كينونتهم هو المشكلة الأساسيَّة التي تدفع بعض اللاهوتيِّين إلى إنكار عدم قابليَّة الله للتألُّم؛ فهم يستخدمون تصنيفًا خاطئًا لتحليلها. والنتيجة هي ارتباكٌ أثَّر في اللاهوتيِّين الأرثوذكس الذين يريدون تأكيد مشاركة الله في معاناة شعبه. لكن لم يشُكَّ أحدٌ قطُّ في أنَّ الله يهتمُّ بشعبه أو أنَّه يتفهَّم همومهم؛ هذا ليس ما تدور حوله عقيدة عدم القابليَّة الإلهيَّة للتألُّم. يسرد **قاموس أُكسفورد للكنيسة المسيحيَّة The Oxford Dictionary of the Christian Church** ثلاثة أنواع مختلفة من قابليَّة التألُّم على النحو التالي:

١. القابليَّة للتألُّم خارجيًّا، أو القدرة على التصرُّف بناءً عليها من الخارج؛

٢. القابليَّة للتألُّم داخليًّا، أو القدرة على تغيير العواطف من الداخل؛

٣. القابليَّة للتألُّم شعوريًّا، أو القابليَّة للتأثُّر بمشاعر اللذَّة والألم الناجمة عن فعلِ كائن آخر.[16]

عند تقييم هذه التعريفات، يجادل ويناندي بالقول: «الإله غير القابل للتألُّم، وليس الإله القابل للتألُّم، هو الإله الشخصيُّ حقًّا وكليًّا، والمُحبُّ تمامًا ومطلقًا، والقادر تمامًا على

16 *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, ed. E. A. Livingstone, 3rd ed. (Oxford: Oxford University Press, 1997), 823, cited by Weinandy, *Does God Suffer?*, 38.

التفاعل مع الأشخاص البشريِّين في الزمان والتاريخ.»[١٧] وبعد فحصٍ شامل لأدلَّة الكتاب المقدَّس، وشرح المفسِّرين اليهود القدامى مثل فيلو السكندريُّ Philo of Alexandria (توفي ٥٠ م)، والشهادة المشتركة لآباء الكنيسة، خلص ويناندي إلى أنَّه في كلِّ هذه الأمور، فإنَّ التمييز الأساسيَّ هو بين الخالق والمخلوق. فالخالق يهتمُّ بخليقته، ولكن ليس للمخلوق قوَّة للتأثير فيه أو التأثير عليه. إذ يتصرَّف الله بالطريقة التي يعمل بها لأسباب خاصَّة به -إنَّه يحبُّ عمل يديه- وليس بسبب ضرورة ما أو الضغط العاطفيِّ الذي مورس عليه من خارج نفسه.

علاوةً على ذلك، يشير ويناندي إلى أنَّ أقانيم الثالوث غير قابلين للتألُّم، ليس لأنَّهم «جامدون أو خاملون في علاقاتهم، بل لعكس هذا السبب بالتحديد».[١٨] ولأنَّهم منخرطون تمامًا في المحبَّة فيما بينهم، لذا لا توجد إمكانيَّة لمزيد من التطوير. إذ لا يمكنهم الانخراط فيما بينهم أكثر ممَّا هم عليه بالفعل. وهذا بدوره يعني أنَّ نهجهم تجاه النظام المخلوق لا يمكن أن يتغيَّر وفقًا للظروف التي قد يطرحها هذا النظام. يجب أن يتعامل الله مع خطايا الإنسان وعواقبها، والتي تشمل المعاناة والموت، ولكنَّ هذا لا يمكن أن يحدث إلاَّ إذا بقي الله كما هو؛ لا يمكن أن يكون الإله الفادي متفوِّقًا على الإله الخالق أو يختلف عنه بأيِّ شكل من الأشكال. جادل المهرطقون الغنوسيُّون القدامى بأنَّ ذلك ممكن، وقد أدَّى ذلك إلى استنتاج مفاده أنَّ

17 Weinandy, *Does God Suffer?,* 37–38.

18 Weinandy, *Does God Suffer?,* 119.

الخلـق كان غيـر كامـل لأنَّـه تـمَّ إنشـاؤه بواسـطة إلـه أدنـى. لكـن أيًّا كان مـا نقولـه عـن الله، يجـب أن نعتـرف بأنَّـه الخالـق والفـادي عينهمـا فـي الوقـت نفسـه؛ فـي الواقـع، مـن أجـل إنَّـه الخالـق، فهـو الـذي لديـه القـوَّة والسـلطان ليكـون الفـادي أيضًـا.

يجـب التأكيـد علـى هـذا لأنَّ الله الـذي نعبـده ليـس مجـرَّد إلـه يفهـم آلامنـا. بـل هـو أيضًـا إلـهٌ يفعـل شـيئًا تجـاه ذلـك. كمـا يعبِّـر ويناندي:

> فـي حيـن أنَّ الرحمـة لا يمكـن أن تُنسـب إلـى الله بقـدر مـا هـي حالـة عاطفيَّـة قابلـة للتألُّـم كمـا فـي البشـر، إلاَّ إنَّهـا يمكـن أن تُنسـب إليـه بشـكل صحيـح بقـدر مـا تدفعـه محبَّتـه إلـى تبديـد الشـرِّ الـذي هـو سـبب المعانـاة. فـي تبديـد الشـرِّ ومـن ثـمَّ المعانـاة، يُظهِـر الله رحمتـه ورأفتـه علـى النحـو الملائـم ... لأنَّ الله يختلـف وجوديًّـا عـن النظـام المخلـوق، وبالتالـي فهـو غيـر مُحاصَـر فـي الشـرِّ والمعانـاة التـي يتضمَّنهـا هـذا النظـام، ولأنَّ صلاحـه ومحبَّتـه قـد تحقَّقـا بالكامـل، فهـو قـادر علـى التصـرُّف برأفـةٍ داخـل النظـام المخلـوق مـن أجـل تبديـد الشـرِّ والمعانـاة بداخلـه.[١٩]

ربَّمـا يسـاعدنا أحـد التشـبيهات البشـريَّة المعروفـة فـي هـذا الأمـر. إذا كنـت مريضًـا فـي الفـراش ويأتـي طبيبـك لزيارتـك، مـاذا تريـد منـه أن يفعـل؟ هـل تريـده أن يسـتلقي علـى سـرير بجانبـك ويخبـرك أنَّـه يعانـي بجانبـك؟ هـل أنـت مهتـمٌّ بمعرفـة كلِّ أوجاعـه

19 Weinandy, *Does God Suffer?*, 167.

وآلامه حتَّى تعرف أنَّه يفهم ما تشعر به؟ أم تريد طبيبًا يتمتَّع بصحَّة جيِّدة، ومن ثمَّ يقدر تمامًا على علاجك متوقِّعًا أنَّك ستتحسَّن؟ عندما يتمُّ طرح السؤال على هذا النحو، فإنَّ القليل منَّا قد يتردَّد في اتِّخاذ قراره. الاختيار الثاني هو بالضبط ما يفعله الله لنا؛ فهو لا «يتقاسم» آلامنا في طبيعته الإلهيَّة بل يحرِّرنا منها، وهو ما يمكنه فعله فقط إذا لم يكن هو نفسه خاضعًا لتلك الآلام. هذا هو السبب في أنَّه من المهمِّ للغاية بالنسبة لنا أن يكون الله غير قابل للتألُّم، لأنَّه حينئذٍ يمكن أن ينخرط بشكل كامل في التعامل مع معاناتنا وموتنا.

لقد أحبَّ الله العالم كثيرًا لدرجة أنَّه بذل ابنه الوحيد ليتألَّم ويموت من أجلنا (يوحنَّا ٣: ١٦). هذه ليست لامبالاة من طرفٍ خالقٍ غير مبالٍ، بل هي المظهر الأسمى لكلٍّ من محبَّته لنا وكذا استعداده للانخراط في حياتنا. إنَّ الخطأ الذي يرتكبه اللاهوتيُّون المعاصرون الذي يحدث غالبًا عندما يحاولون شرح ذلك هو أنَّهم يفشلون في التمييز بين أقانيم الثالوث الذين يمكنهم التواصل معنا، وبين طبيعتهم الإلهيَّة التي لا تستطيع ذلك. وبسبب ذبول عقيدتنا عن الصفات الإلهيَّة في العصر الحديث الذي أدَّى إلى الخلط بين أشخاص الثالوث وبين طبيعتهم، تمَّ إقناع الكثير من الناس برفض العقيدة التقليديَّة في عدم القابليَّة الإلهيَّة للتألُّم. لقد تمَّ دفعهم إلى تطبيق صفة من صفات طبيعة الله على علاقات الله الشخصيَّة/الأقنوميَّة، وهذا خطأ. وفي محاولتهم لجعل الله أكثر قربًا من الناس، قلَّلوا منه عن غير قصد وقلَّلوا من قدرته على تحقيق

الخـلاص.

إنَّ طريقـة التعامـل مـع مسـألة المعانـاة الظالمـة لا تتمثَّـل فـي السـعي لتغييـر طبيعـة الله ولكـن فـي دراسـة مـا وعدنـا بـه كمؤمنيـن مـرَّة أخـرى. يقـول لوقـا إنَّـه عندمـا كان بولـس وبرنابـا يتفقَّـدان خطواتهمـا فـي غلاطيـة، ذهبـا «يُشَـدِّدَانِ أَنْفُـسَ التَّلاَمِيـذِ وَيَعِظَانِهِـمْ أَنْ يَثْبُتُـوا فِـي الإِيمَـانِ، وَأَنَّـهُ بِضِيقَـاتٍ كَثِيـرَةٍ يَنْبَغِـي أَنْ نَدْخُـلَ مَلَكُـوتَ اللهِ.» (أعمـال الرسـل ١٤: ٢٢). إنَّ الحيـاة الميسَّـرة والهادئـة ليسـت صـورة التلمـذة المسـيحيَّة التـي يصوِّرهـا الكتـاب المقـدَّس. وليـس مـن قبيـل المصادفـة أنَّ الكنيسـة اليـوم هـي الأقـوى فـي الأماكـن التـي تكـون فيهـا حيـاة المؤمنيـن غيـر مريحـة، غالبًـا بسـبب الفقـر أو الاضطهـاد. إذ قـد تـمَّ اختبـار إيمانهـم، ولـم يتبيَّـن أنَّهـم مُعـوِزون.

لا أحـد يرحِّـب بالمعانـاة، وسـيكون مـن الخطـأ إلحاقهـا بالآخريـن علـى أمـل أن تحسِّـنهم روحيًّـا. ليـس هنـاك حاجـة للقيـام بذلـك عـن طريـق التدبيـر. يخبرنـا الكتـاب المقـدَّس أنَّ «جَمِيـعُ الَّذِيـنَ يُرِيـدُونَ أَنْ يَعِيشُـوا بِالتَّقْـوَى فِـي الْمَسِـيحِ يَسُـوعَ يُضْطَهَـدُونَ. وَلكِـنَّ النَّـاسَ الأَشْـرَارَ الْمُزَوِّرِيـنَ سَـيَتَقَدَّمُونَ إِلَـى أَرْدَأَ.» (تيموثـاوس الثانيـة ٣: ١٢-١٣). إنَّنـا لا نحتـاج لخلـق المتاعـب؛ فهـي سـتأتي إلينـا إن شـئنا أم أبَينـا. لقـد تـمَّ إنقاذنـا مـن عالـم خاطـئ، لكنَّنـا نظـلُّ جـزءًا منـه، ومـن الناحيـة الأرضيَّـة، فـإنَّ مصيرنـا مرتبـط بـه. لكنَّنـا لدينـا إلـه يهتـمُّ بنـا ويخلِّصنـا مـن كلِّ آلامنـا. كمـا وعـد:

«هُـوَذَا مَسْـكَنُ اللهِ مَـعَ النَّـاسِ، وَهُـوَ سَيَسْـكُنُ مَعَهُـمْ، وَهُـمْ يَكُونُـونَ لَـهُ شَـعْبًا، وَاللهُ نَفْسُـهُ يَكُـونُ مَعَهُـمْ إِلهًـا لَهُـمْ.

وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ». (رؤيا ٢١: ٣-٤)

إنَّ رجاءنا هو في إله غير قابل للتألُّم، لكنَّه يتعاطف مع شعبه بسبب العلاقة التي تربطه بهم، وسيثمرهم في ملء الزمان.

عدم القابليَّة للتغيُّر Immutability. ترتبط عدم قابليَّة الله للتغيُّر ارتباطًا وثيقًا بعدم قابليَّته للتألُّم. في الواقع، يعتبر معظم اللاهوتيِّين المعاصرين أنَّ عدم القابليَّة للتألُّم هي نتيجة لعدم القابليَّة للتغيُّر، وليس العكس، ويتعاملون معها في هذا السياق. في العبرانيِّين ٦: ١٧ يتكلَّم الكاتب عن «عَدَمَ تَغَيُّرِ» قصد الله، وهو أمر لا يصحُّ إلاَّ بقدر أنَّ الله نفسه لا يتغيَّر. في الواقع، يُذكَر هذا صراحةً في ملاخي ٣: ٦: «لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ فَأَنْتُمْ يَا بَنِي يَعْقُوبَ لَمْ تَفْنُوا.» يعتمد خلاص شعب الله بشكل مباشر على عدم قابليَّته للتغيُّر، وهو ما يقدِّمه الكتاب المقدَّس كضمان لحقِّ الإنجيل. لهذا السبب، إن لم يكن لأيِّ سبب آخر، فإنَّه يجب اعتبار عدم قابليَّة الله للتغيُّر ذات أهميَّة قصوى.

كانت الدراسة القصيرة التي كتبها إسحاق أوغست دورنر Isaak August Dorner (١٨٠٩ - ١٨٨٤) هي أكثر الدراسات تأثيرًا على تلك المسألة في العصر الحديث، والتي إمَّا ألهمت أو

تنبَّأت بالكثير من المناقشة الأخيرة للموضوع.[٢٠] يعتقد دورنر أنَّ الله غير قابل للتغيير في فهمه لذاته وفي مبادئه الأخلاقيَّة، لكنَّه يستطيع أن يتغيَّر بالفعل في علاقته بالإنسانيَّة الخاطئة (والمتغيِّرة). في الواقع، يجب أن يتغيَّر الله عند التعامل مع مخلوقاته بسبب عدم قابليَّته للتغيُّر.[٢١] هنا يجب أن نتجنَّب الخلط بين الطبيعة الإلهيَّة والعلاقة (العلاقات) الشخصيَّة/الأقنوميَّة التي تربط الله بمخلوقاته. لم يشكِّك أحد قطُّ في حقيقة أنَّ الله يتصرَّف بطرق مختلفة تجاه البشر وفقًا لسلوكهم أو لسبب آخر مرتبط بهم، واتَّفق جميع اللاهوتيِّين الكلاسيكيِّين على أنَّه بذلك لا يتغيَّر في ذاته. لكن تنشأ الصعوبات فقط عندما يُفترَض مسبَّقًا أنَّ تغيير السلوك الخارجيِّ الناجم عن الظروف الخارجيَّة يستلزم تغييرًا داخليًّا من نوعٍ ما، على أساس أنَّه، بخلاف ذلك، سيصبح الله غير مبالٍ بأفعال مخلوقاته. لكن هذا الافتراض خاطئ. فلأنَّ الله لا يتغيَّر، يمكنه أن يطبِّق نفس المعايير والمبادئ على أفعاله، مهما كانت الظروف. وهو يفعل ذلك. هذا الاتِّساق هو الذي يضمن عدالته، لأنَّه إذا كان عرضة للتغيير وفقًا للموقف الذي يواجهه، فلا يمكن التنبُّؤ بما يمكن أن يفعله في نهاية المطاف. إذا تأثَّر الله بكلِّ تغيير في الطالع، فإنَّه يصعُب الوثوق به لإنقاذنا من أيِّ شيء.

---

20 Isaak August Dorner, *Divine Immutability*: *A Critical Reconsideration* (Minneapolis: Fortress, 1994).

لفحص النقد المعاصر لعقيدة عدم قابليَّة الله للتغيُّر، والذي تمَّ تداول الكثير منه تحت عنوان «لاهوت الإرادة الحرَّة Open theism»، انظر:

James E. Dolezal, *All That Is in God*: *Evangelical Theology and the Challenge of Classical Christian Theism* (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2017).

21 Dorner, *Divine Immutability,* 180.

كما أنَّ القابليَّة للتغيُّر تتعارض مع التأكيد على البساطة والكمال الإلهيِّين. فإذا كان الله قابلاً للتغيُّر، فمن المفترض أنَّه لن يكون بسيطًا وكاملاً. لكنَّ الدليل القاطع في الكتاب المقدَّس هو أنَّ الله يظلُّ كما هو في قوَّته وسلطته، وأنَّ كلمته تصمد أمام اختبار الزمن. إذا كان الأمر كذلك، فلا بدَّ أنَّه غير قابل للتغيُّر. هذه العقيدة ذات أهميَّة خاصَّة لخلاصنا، لأنَّه إذا كان الله قابلاً للتغيُّر، فما الذي يمنعه من إلغاء وعوده العهديَّة؟ كيف يمكننا التأكُّد من أنَّ ما يقوله ويفعله اليوم سيكون هو نفسه ما سيقوله ويفعله غدًا؟ لن يكون لدينا أيَّة وسيلة لمعرفة ذلك. أولئك الذين يؤمنون بأنَّ الله يتغيَّر قد يعتقدون أنَّه يتغيَّر إلى الأفضل. فبالنسبة إلى أذهانهم، ينمو الله ويتعمَّق في علاقاته مع مخلوقاته.

إلاَّ أنَّه كيف يمكننا التأكُّد؟ يجب أن يشير هذا الاعتقاد ضمنًا على الأقلِّ إلى أنَّ الله لم يكتمل بعد، وأنَّه لا يزال لديه إمكانات غير محقَّقة يجب التعبير عنها. إذا كان كاملاً بالفعل، ألا يجب أن يكون أيُّ تغيير فيه انتقاصًا من كينونته؟ في كلتا الحالتين، فإنَّنا نجازف بالقول إنَّ الأجيال الأخرى قد استمتعت أو ستتمتَّع باختبارٍ مع الله يختلف عن اختبارنا له. هل كان الناس في الماضي أفضل حالاً منَّا، أم هل ستعرف الأجيال اللاحقة عن الله أكثر ممَّا نعرف؟ إذا كان أيٌّ من هذين الأمرين ممكنًا لأنَّ الله بطريقة ما أفضل أو أسوأ ممَّا كان أو سيكون عليه، فإنَّ علاقتنا الحاليَّة به تكون موضع شكٍّ. لا يمكن للمسيحيِّين قبول ذلك. فهذا يقوِّض يقين الإيمان الذي هو أساس اختبارنا مع

الله، كما أنَّه ليس ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس.

صفات تُناقِض الزمان

ليس له بداية. يُستدلُّ على أنَّ الله «بلا بداية» من تكوين ١: ١ ويوحنَّا ١: ١، وكلاهما يتكلَّم عن بداية الخليقة. إنَّ يوحنَّا ١: ١ أوضح فيما يتعلَّق بالجانب الزمنيِّ لهذا الأمر، لأنَّه يقول إنَّ الكلمة (*Logos*)، المُعرَّف باسم يسوع المسيح، كان حاضرًا بالفعل في «البدء»، وبالتالي فهو نفسه بلا أصل. عادةً ما يتمُّ افتراض الوجود الأزليِّ لله في الكتاب المقدَّس، ولكن هناك إشارات عرضيَّة إلى الخليقة تؤكِّد ذلك. على سبيل المثال، يقول الله لأيُّوب:

> أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ ... هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتَ الصُّبْحَ؟ هَلْ عَرَّفْتَ الْفَجْرَ مَوْضِعَهُ؟ (أيُّوب ٣٨: ٤، ١٢)

أو مرَّة أخرى، يقول الله لإشعياء:

> يَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ. أَنَا أَدْعُوهُنَّ فَيَقِفْنَ مَعًا. (إشعياء ٤٨: ١٣)

حينما تُذْكَر بداية الزمان، فالله موجود هناك بالفعل، لأنَّه ليس له بداية. هل هذا مهمٌّ؟ ضع في اعتبارك البديل.

إذا كان لله بداية، لكان موجودًا في الزمان، لأنَّه في غياب الزمن لا تحتوي كلمة «بداية» على نقطة مرجعيَّة. ولكن متى ظهر؟ وكيف يمكن لأيِّ شخص أن يعرف؟ ما الذي كان موجودًا

مـن قبلـه؟ هـذه ليسـت مسـألة يمكـن التغاضـي عنهـا أو تجاوزهـا. إذا كان هنـاك وقـت قبـل أن يأتـي الله إلـى الوجـود، فـلا بـدَّ أنَّـه كان لـه علَّـة لوجـوده، ومـن شـبه المؤكَّـد أنَّ تلـك العلَّـة سـتكون أعظـم منـه. يمكننـا أن نـرى الآن إلـى أيـن يقودنـا هـذا. إذا كان هناك شـيء أعظـم مـن الله، فهـو ليـس الله حقًّـا علـى الإطـلاق، ويجـب إسـقاط العديـد مـن صفاتـه الأخـرى، مثـل القـدرة المطلقـة. لهـذا السـبب، فـإنَّ افتقـار الله إلـى البدايـة هـو نتيجـة طبيعيَّـة ضروريَّـة للعديـد مـن صفاتـه الأخـرى، إن لـم يكـن معظمهـا.

اللامخلوقيَّـة Uncreatedness. يترتَّـب علـى ذلـك منطقيًّـا أنَّـه إذا لـم يكـن لله بدايـة، فهـو خـارج الزمـن وبالتالـي غيـر مخلـوق. يوضِّـح تكويـن ١ أنَّ الخلـق حـدث عبـر مـدى زمنـيٍّ معيَّـن؛ فـي الواقـع، يعتقـد معظـم اللاهوتيِّيـن أنَّ ظهـور الزمـن كان جـزءًا لا يتجـزَّأ مـن الخليقـة نفسـها.

إذا كان الله مخلوقًـا، فمـن أو مـاذا خَلقَـه؟ يصـرُّ العديـد مـن نقَّـاد الديـن اليـوم علـى أنَّ الله مـن نسـج الخيـال. ربَّمـا اعتقـد الإسـرائيليُّون القدمـاء هـذا بشـأن الآلهـة الوثنيَّـة، ونعلـم أنَّهـم خلقـوا آلهـة عندمـا شـعروا بالحاجـة إلـى القيـام بذلـك. لقـد فعلـوا ذلـك فـي البريَّـة عنـد سـفح جبـل سـيناء عندمـا فشـل موسـى فـي العـودة بالسـرعة التـي اعتقـدوا أنَّـه يجـب أن يعـود بهـا. وبالتعـاون مـع هـارون شـقيق موسـى، صنـع النـاس عجـلاً ذهبيًّـا وعبـدوه، الأمـر الـذي أثـار فـزع موسـى عندمـا عـاد (الخـروج ٣٢: ١-٦، ٢١-٢٤). فـي وقـتٍ لاحـق، عندمـا انفصلـت الأسـباط الشـماليَّة العشـرة لإسـرائيل عـن يهـوذا لتأسـيس مملكتهـم الخاصَّـة، كـرَّر زعيمهـم،

يربعام، ذلك من خلال إقامة عجول ذهبيَّة لشعبه ليعبدوها، لأنَّه لم يرِد أن يذهبوا إلى أورشليم للعبادة (ملوك الأوَّل ١٢: ٢٥-٣٣). عرف اليهود أنَّ خلق الآلهة لم يكن بالشيء الصعب أو الجديد، حتَّى فيما بينهم. لذلك كان من المهمِّ للغاية الإصرار على أنَّ إلههم لم يُخلق فقط لأنَّ الناس كانوا بحاجة إلى شيء ليعبدوه. في بعض الأحيان، كما في حالة إرميا ويونان، يتشكَّل لدينا انطباع بأنَّ إسرائيل ربَّما كانت تفضِّل الاستغناء عن الله، بسبب المطالب التي طلبها منهم (إرميا ١: ٦؛ يونان ١: ٣). من المؤكَّد أنَّ الله لم يكن بمثابة غطاء مريح لأولئك الأشخاص الذين لا يريدون أن ينضجوا ويديروا شؤونهم الخاصَّة.

هذا ما يزال صحيحًا إلى اليوم. أولئك الذين خَلَقوا «الله» في صورة تناسبهم سيصابون بخيبة أمل بالتأكيد، لأنَّ الله ليس مخلوقًا من خيالهم ولن يسمح لنفسه أن يصوَّر كاريكاتيريًّا بهذه الطريقة. في كثير من الأحيان عندما نلتقي أو نقرأ عن أشخاص «فقدوا إيمانهم»، فإنَّ هذا ما يحدث؛ كانت صورتهم عن الله من صنعهم، وعندما فشلت، توقَّفوا عن الإيمان. إنَّ الإله الحقيقيَّ هو مَن خلقَنا، وليس العكس، ويجب ألاَّ نغفل عن ذلك أبدًا.

اللامولوديَّة Uncreatedness. كما أنَّ الله غير مخلوق، فهو أيضًا «غير متولِّد» أو «غير مولود». الاختلاف هو أنَّ الخلق هو الإتيان إلى الوجود بالاستقلال عن أيِّ كائنٍ آخر، في حين أنَّ الولادة تعني أن يتكاثر الكائن من كائنٍ آخر. لا يمكن أن يولَد الله، لأنَّ هذا يتطلَّب أن يكون إلهًا آخر هو والده. هذه ليست

مسـألة يمكـن التغاضـي عنهـا بالنسـبة للمسـيحيِّين، بالنظـر إلـى عقيدتنـا عـن الثالـوث. مصطلـح «غيـر المولـود» يسـتخدم بانتظـام فـي اللاهـوت الثالوثـيِّ كوصـف لـلآب، علـى عكـس الابـن المولـود. ومـع ذلـك، فـإنَّ لغـة التوالـد هـذه تنطبـق علـى أقانيم/أشـخاص اللاهـوت، وليـس علـى طبيعتهـم الإلهيَّـة، التـي يشـترك فيهـا الثـلاث جميعًـا بالتسـاوي. كان هـذا شـيئًا لـم يسـتطع الأريوسـيُّون فهمـه؛ بالنسـبة لهـم، الابـن المولـود لـم يكـن موجـودًا دائمًـا، وبالتالـي يجـب أن يكـون أدنـى مـن الشـخص الـذي ولـده، حتَّـى لـو كان مفهـوم الـولادة يشـير إلـى أنَّـه استنسـاخ لنفـس الكائـن.

إنَّ الادِّعـاء بـأنَّ الجوهـر الإلهـيَّ غيـر مولـود يؤكِّـد ألوهيَّـة الابـن الكاملـة علـى قـدم المسـاواة مـع الآب، الـذي ولـده مـن منطلـق أقنومـيٍّ وليـس مـن منطلـق أنطولوجيٍّ/وجـوديٍّ. بالتبعيَّـة، فإنَّـه يؤكِّـد أيضًـا علـى لاهـوت الـروح القـدس الكامـل، الـذي لا تنطبـق عليـه لغـة التوالـد.[٢٢] ومـن بيـن أقانيـم اللاهـوت الثـلاث، الآب هـو الوحيـد غيـر المولـود سـواء فـي هويَّتـه كشـخص أو فـي طبيعتـه. إنَّ حقيقـة أنَّ «اللامولوديَّـة» يجـب أن تكـون العلامـة المميِّـزة لـلآب ولكـن فـي الوقـت نفسـه السـمة المشـتركة لجميـع أقانيـم الثالـوث الثـلاث هـي تذكيـر بأهميَّـة الحفـاظ علـى تفريـق واضح بيـن مفهوم الشـخص أو الأقنـوم وبيـن مفهـوم الطبيعـة أو الجوهـر فـي الله. إنَّ الآب غيـر مولـود مـن جهـة ارتباطـه بالابـن وأيضًـا فـي طبيعتـه، فـي حيـن أنَّ الابـن مولـود مـن جهـة ارتباطـه بـالآب ولكنَّـه أبـديٌّ

٢٢ إنَّ الـروح القـدس «ينبثـق» مـن الآب (يوحنَّـا ١٥: ٢٦). إذا كان «مولـودًا»، سـيكون ابنًـا ثانيًـا، لكنَّـه ليـس كذلـك.

بنفس القدر، وبالتالي فهو غير مولود في طبيعته الإلهيَّة.[٢٣]

في علم اللاهوت الحديث، السمات الثلاثة المذكورة هنا بشكل منفصل على أنَّها «اللاابتداء» و«اللامخلوقيَّة» و«اللامولوديَّة» غالبًا ما يتمُّ تجميعها معًا تحت عنوان «القيُّوميَّة Aseity». الكلمة اللاتينيَّة *aseitas* تمَّ نحتها من المصطلح *a se* (من نفسه)، والمقصود به أن يشير إلى أنَّ الله ليس له أصل خارج عن ذاته. إنَّه مصطلح فلسفيٌّ، يستخدمه عدد من اللاهوتيِّين للتسهيل، ولكنَّه غير مفهوم لعموم الناس، بما في ذلك المتخصِّصون في التخصُّصات اللاهوتيَّة الأخرى. لكن بالنسبة لأولئك الذين يعرفون ما تعنيه الكلمة والذين يشعرون بالراحة في استخدامها، فهي طريقة سهلة للتعبير عن كلِّ ما سبق تحت عنوان واحد، ويمكن استخدام نفس المراجع الكتابيَّة لدعمها.

اللافنائيَّة Imperishability. إنَّ الله لا يفنى (*anolethros* باليونانيَّة). استخدم الرسول بولس الكلمة في صيغة الإثبات *olethros* ليعني «الهلاك» أو «الخراب» الناجم عن عصيان الله من قبل كلٍّ من البشر والشيطان (كورنثوس الأولى ٥: ٥؛ تسالونيكي الأولى ٥: ٣؛ تسالونيكي الثانية ١: ٩؛ تيموثاوس الأولى ٦: ٩).[٢٤] وبما أنَّ *olethros* دائمًا ما تظهر في سياق الدينونة والقضاء، إذًا يحقُّ لنا أن نقول إنَّ مُصدِر هذا القضاء لا يمكن

٢٣ ليس واضحًا ما إذا كان الآب «غير منبثق» مقارنةً بالروح القدس. إذ لا يوجد مصطلح مشابه، مثل «غير مولود»، تمَّ صياغته لوصف تلك العلاقة داخل الذات الإلهيَّة.

٢٤ ربَّما يجدر القول إنَّ الكلمة اليونانيَّة المترجمة «هلك» ليس لها علاقة اشتقاقيَّة بـ *olethros*؛ الكلمة اليونانيَّة الأكثر شيوعًا هي *apollymi*، ولكنَّ المعنى مشابه، والتضمين للموت الروحيِّ الأبديِّ ليس غائبًا من المعنى، حتَّى لو كان أقل بروزًا مع *apollymi* منه مع *olethros*.

أن يكـون أيضًـا متلقِّيًـا لـه. هـذا يعنـي أنَّ الله لا يمكـن لـه أن يفعـل أيَّ شـيء مـن شـأنه أن يقـوِّض سـلامته، وبالتالـي فهـو لـن يتضـاءل أو يختفـي أبـدًا. بـل سيسـتمرُّ فـي أن يكـون علـى مـا كان عليـه دائمًـا، بـدون تغييـر (وبالتالـي بـلا اضمحـلال) فـي طبيعتـه. إنَّ التناقـض بينـه وبيـن خليقتـه مذكـور بوضـوح فـي المزمـور ١٠٢: ٢٥-٢٧، المقتبـس كأحـد المبـادئ الأساسـيَّة للكريسـتولوجيا الـواردة فـي العبرانيِّيـن ١: ١٠-١٢:

«أَنْـتَ يَـارَبُّ فِـي الْبَـدْءِ أَسَّسْـتَ الأَرْضَ، وَالسَّـمَاوَاتُ هِـيَ عَمَـلُ يَدَيْـكَ. هِـيَ تَبِيـدُ وَلكِـنْ أَنْـتَ تَبْقَـى، وَكُلُّهَـا كَثَـوْبٍ تَبْلَـى، وَكَـرِدَاءٍ تَطْوِيهَـا فَتَتَغَيَّـرُ. وَلكِـنْ أَنْـتَ أَنْـتَ، وَسِـنُوكَ لَـنْ تَفْنَـى».

فـي هـذه المعركـة الروحيَّـة، ينقذنـا الله مـن الخطيَّـة والمـوت لكنَّـه لا يمكـن لـه الاستسـلام لهمـا بنفسـه. هنـاك بعـض الأمثلـة البـارزة لرجـال قُتلـوا خـلال المعـارك التـي انتصـروا فيهـا -مثـل جيمـس وولـف James Wolfe فـي الكويبيك عام ١٧٥٩، أو هوراشـيو نيلسـون Horatio Nelson فـي ترافالغـار عـام ١٨٠٥- لكـنَّ هـذا غيـر ممكـن فـي حالـة الله. لقـد بـذل ابنـه ليمـوت علـى الصليـب، لكـنَّ المـوت لـم يسـتطع أن يمسـكه، لأنَّـه لا يفنـى. لـم يهلـك الله نفسـه فـي أثنـاء خلاصنـا.

عـدم المـوت Immortality. يترتَّـب علـى ذلـك بطبيعـة الحـال أنَّ الله لا يمكـن أن يمـوت «لأسـباب طبيعيَّـة» ناهيـك عـن أن يهلكـه شـكل مـن أشـكال الفسـاد الروحـيِّ. تظهـر أشـكال كلمـة

«عـدم المـوت» فـي العهـد الجديـد، حيـث يُمـدَح الله علـى أنَّـه «وَمَلِـكُ الدُّهُـورِ الَّـذِي لاَ يَفْنَـى وَلاَ يُـرَى، الإِلـهُ الْحَكِيـمُ وَحْـدَهُ.» (تيموثـاوس الأولـى ١: ١٧)، لكنَّهـا نـادرة بشـكل مدهـش. مـع ذلـك فـإنَّ الأكثـر شـيوعًا، ولكنَّـه يقتصـر أيضًـا علـى رسـائل بولـس، هـو مصطلـح «عـدم المـوت»، والـذي يُطبَّـق بالتسـاوي علـى الله كمـا هـو وعلـى المؤمنيـن كمـا سـيكونون. هنـا، ربَّمـا أكثـر مـن أيِّ مـكان آخـر، نشـعر بالصلـة بيننـا وبيـن الله.

إنَّ عـدم المـوت فـي الكتـاب المقـدَّس هـو ملكيَّـة إلهيَّـة فريدة أصبحـت ممكنـة مـن خـلال حيـاة ومـوت وقيامـة يسـوع المسـيح (تيموثـاوس الأولـى ٦: ١٦؛ تيموثـاوس الثانيـة ١: ١٠). إذا أراد البشـر أن يصيـروا خالديـن، فـلا يمكـن أن يكـون ذلـك إلاَّ مـن خـلال حضـور الله فـي حياتهـم وكثمـرة طاعتهـم لـه. يوضِّـح بولـس هـذا عندمـا يكتـب أنَّ الله «سَـيُجَازِي كُلَّ وَاحِـدٍ حَسَـبَ أَعْمَالِـهِ. أَمَّـا الَّذِيـنَ بِصَبْـرٍ فِـي الْعَمَـلِ الصَّالِـحِ يَطْلُبُـونَ الْمَجْـدَ وَالْكَرَامَـةَ وَالْبَقَـاءَ، فَبِالْحَيَـاةِ الأَبَدِيَّـةِ.» (رومية ٢: ٦-٧).

عـلاوةً علـى ذلـك، فـإنَّ عـدم الموت/الخلـود الـذي سـيُعطى للمؤمنيـن ليـس امتـدادًا للحيـاة الأرضيَّـة إلـى مـا لا نهايـة *ad infinitum* لكـن تحـوُّل إنسـانيَّتنا إلـى شـيء مختلـف عمَّـا نـراه الآن:

> «لأَنَّ هـذَا الْفَاسِـدَ لاَبُـدَّ أَنْ يَلْبَـسَ عَـدَمَ فَسَـادٍ، وَهـذَا الْمَائِتَ يَلْبَـسُ عَـدَمَ مَـوْتٍ. وَمَتَـى لَبِـسَ هـذَا الْفَاسِـدُ عَـدَمَ فَسَـادٍ، وَلَبِـسَ هـذَا الْمَائِـتُ عَـدَمَ مَـوْتٍ، فَحِينَئِـذٍ تَصِيـرُ الْكَلِمَـةُ الْمَكْتُوبَـةُ: ‹ابْتُلِـعَ الْمَـوْتُ إِلَـى غَلَبَـةٍ›.» (كورنثـوس الأولـى ١٥:

٥٣-٥٤).[٢٥]

سيكون خلودنا مشروطًا بالزمن بمعنى أنَّه سيكون له بداية وليس نهاية. بهذا المعنى، لن يكون خلودنا امتدادًا لخلود الله، بل سيكون خليقة جديدة تجعلنا أكثر شبهًا به، ومع ذلك، دون أن نتطابق تمامًا.[٢٦] ففي كيانه الداخليِّ، يظلُّ الله مختلفًا تمامًا عن أيٍّ من مخلوقاته، حتَّى لو تشاركت تلك المخلوقات حياته الأبديَّة في السماء.

السرمديَّة.[٢٧] كما هو الحال مع كلمة «لا يفنى»، فإنَّ كلمة «سرمديّ» تُطبَّق أيضًا على الله في الكتاب المقدَّس، وإن كان ذلك بمعدَّل أقلّ ممَّا قد نتخيَّله. نجدها في التثنية ٣٣: ٢٧، حيث يتمُّ تطبيقها مباشرة على كلٍّ من طبيعة الله وقوَّته الحامية لشعبه:

«الإِلهُ الْقَدِيمُ مَلْجَأٌ، وَالأَذْرُعُ الأَبَدِيَّةُ مِنْ تَحْتُ.»

يأتي فيما بعد استخدامها بشكل رئيسيٍّ للإشارة إلى أشياء أخرى؛ الحياة الأبديَّة (متَّى ١٩: ١٦)، المجد الأبديُّ (تيموثاوس الثانية ٢: ١٠)، وميراثنا الأبديُّ (العبرانيِّين ٩: ١٥)، وحتَّى النار الأبديَّة (يهوذا ٧).

تعتبر الإشارات المباشرة إلى الله باعتباره السرمديَّ نادرة

٢٥ نقلت هذه العبارة بتصرُّف من إشعياء ٢٥: ٨.

٢٦ لاحظ أنَّ الحياة المتغيِّرة كليًّا للمؤمن تسمَّى «خليقة جديدة» في العهد الجديد. انظر كورنثوس الثانية ٥: ١٧؛ غلاطية ٦: ١٥؛ راجع أفسس ٢: ١٠؛ كولوسي ١: ١٥-٢٠؛ ٣: ١-١١؛ الرؤيا ٢١: ١-٥.

٢٧ ليس هناك فرق في الإنجليزيَّة بين كلمتي «سرمديٍّ» و«أبديٍّ»، لذا يستخدمان هنا بالتبادل في أغلب الأحيان؛ (المُتَرجِم).

نسـبيًّا، علـى الرغـم مـن أنَّهـا موجـودة، علـى سـبيل المثـال فـي تيموثـاوس الأولـى ١: ١٧، والتـي تحجبهـا جزئيًّـا الإشـارة إليـه علـى أنَّـه «مَلِـكُ الدُّهُـورِ».

المشـكلة بالنسـبة لنـا هـي أنَّ مثـل هـذه التعبيـرات لهـا معنـى مـزدوج. إذ يمكـن أن تشـير إلى زمـنٍ لا ينتهي أبدًا، لكن هذا سـيجعل الله جـزءًا ثابتًـا مـن خليقتـه بـدلاً مـن أن يكـون شـخصًا مختلفًـا تمامًا عنهـا. المعنـى المقصـود هـو «انعـدام الزمـن»، وهـو مفهـوم يـكاد يكـون مـن المسـتحيل إيصالـه بشـكل لا لبـس فيـه دون اللجـوء إلـى مصطلـح منفـيٍّ. بقـدر مـا يتعلَّـق الأمـر بالبشـر، تنطبـق نفـس الاعتبـارات علـى «الحيـاة الأبديَّـة» كمـا تنطبـق علـى «عـدم الفناء». بالنسـبة لنـا، فـإنَّ الحيـاة الأبديَّة لها بدايـة ولكن ليس لهـا نهاية ولذا يجـب اعتبارهـا مفهومًـا محـدودًا، مهمـا كان يقرِّبنـا مـن الله. لكنَّ الله يتجـاوز النظـام المخلـوق المحدود، وفـي هذا الصدد، علـى الأقلِّ، لا يمكننـا أن نتشـارك فـي أبديَّته/سـرمديَّته.

قـد يكـون مـن الجديـر بالذكـر أنَّ الكتـاب المقـدَّس يعبِّـر عـن مفهـوم السـرمديَّة الإلهيَّـة باسـتخدام مـا نسـمِّيه الفعـل المضـارع. إنَّ الزمـن فـي حقيقتـه لا يوجـد فيـه حاضـر؛ إنَّـه مـاضٍ أو مسـتقبل فقـط. ومـع ذلـك، فإنَّنـا نعيـش جميعًـا فـي «حاضرنـا» الخـاصِّ، ونحـدِّد «الماضـي» و«المسـتقبل» بالنسـبة لذلـك «الحاضـر». ومـا نقـوم بـه حقًّـا، بالطبـع، هـو فـرض فكـرة غيـر زمنيَّـة علـى الوقـت حتَّـى نتمكَّـن مـن قياسـه. إنَّ إحساسـنا بـ «الحاضـر» هـو تذكيـر بأنَّنـا خُلقنـا علـى صـورة الله ومثالـه؛ نفكِّـر وفقًـا لنمـط غيـر موجـود فـي النظـام المخلـوق. يوجِّهنـا «الحاضـر» إلـى الأبديَّـة لأنَّـه، علـى

الرغم من أنَّه يتحرَّك عبر الزمن، فإنَّ إدراكنا له لا يتغيَّر أبدًا. حتَّى عندما نتغيَّر، يظلُّ لدينا شعور بالبقاء على حالنا، وبأنَّنا نفس الأشخاص اليوم كما كنَّا بالأمس أو سنكون غدًا. بهذا المعنى، فإنَّ فكرة الخلود ليست غريبة تمامًا على خبرتنا، حتَّى لو لم تكن موجودة في العالم الماديِّ.

هل يستطيع الله السرمديُّ أن يدخل الزمن، وهل ستتغيَّر طبيعته إذا فعل؟ أثار هذا السؤال خلافًا بين اثنين من الفلاسفة المسيحيِّين؛ هما بول هِلم Paul Helm ووِليام لين كريغ William Lane Craig.[٢٨] هِلم هو أحد المدافعين عن النظرة الكلاسيكيَّة القائلة بأنَّ الله بلا زمن، ويجب أن يكون كذلك، بينما يدَّعي كريغ أنَّه بمجرَّد ظهور النظام المخلوق، لم يعد الله خارج الزمن بشكل حصريٍّ. يؤكِّد كريغ، دون إنكار العقيدة الكلاسيكيَّة:

> في اللحظة الأولى من الزمن، يقف الله في علاقة جديدة لم يقف فيها من قبل (حيث لم يكن هناك «قبل» أصلاً) ... حتَّى لو كان الله خارج الزمن بدون الخلق، فإنَّ قراره الحرَّ بخلق عالمٍ زمنيٍّ يشكِّل أيضًا قرارًا حرًّا من جانبه للدخول في الوقت واختبار حقيقة توتُّر الصيرورة الزمانيَّة.[٢٩]

بدون الخوض في تعقيدات هذه الحجَّة، قد نلاحظ أنَّ كلمة

28 Paul Helm, *Eternal God*: *A Study of God without Time*, 2nd ed. (Oxford: Oxford University Press, 2010), 218–33.

29 William Lane Craig, "*The Tensed vs. Tenseless Theory of Time*: *A Watershed for the Conception of Divine Eternity*," in *Questions of Time and Tense*, ed. Robin Le Poidevin (Oxford: Oxford University Press, 1998), 222.

«علاقة» تقترح حلاًّ محتملاً لهذه العلاقة المزدوجة مع الوقت. الله في جوهره هو سرمديٌّ وخارج الزمن، ولأنَّ هذا الجوهر لا يتَّصل بالواقع المحدود المخلوق، فإنَّه لا يتأثَّر به. لكن بصفته ثلاثة أشخاص، فإنَّ الله هو كائن علائقيٌّ، وعلى هذا المستوى يمكنه الدخول في عالم الزمان والمكان الذي خلقه. أمَّا مسألة صحَّة القول بأنَّه «يختبر» فهي أمر مطروح للتساؤل، لأنَّه في الاستخدام العاديِّ، تشير «الخبرة» إلى قبول مُذعِن لشيء ما، ولا يمكن أن يكون هذا هو الحال مع الله، حتَّى في أشخاصه. ولكن سواء اختبر ذلك أم لا، فهو بالتأكيد منخرطٌ ويتصرَّف فيه. ويبدو أنَّ تجسُّد الابن هو دليل كافٍ على ذلك.

الصعوبات الحقيقيَّة تأتي على المستوى العمليِّ. إذا كان الله عاملاً نشِطًا في الزمن، فهل يحتفظ بعلمه المطلق وقدرته المطلقة؟ وإن كان كذلك، فهل له أن يمنع الأشياء التي ستحدث إذا لم يتدخَّل ليوقفها؟ المسيحيُّون المؤمنون يصلُّون له طوال الوقت، طالبين منه أن يفعل ذلك بالضبط. هل هذه الصلوات ذات مغزى؟ هل يمكن لها تغيير أيِّ شيء؟ في هذه المرحلة، تصل عقولنا البشريَّة إلى نهايات قدرتها المحدودة. فلقد قيل لنا أن نصلِّي من أجل احتياجاتنا كما ندركها وأنَّ الله سيسمع صلواتنا ويستجيب لها. ومع ذلك، فإنَّنا بذلك لا نضمن حصولنا على ما نطلبه. قد يكون لدى الله خطط أخرى لنا ستعلن في الوقت المناسب.[٣٠] وهنا نسير بالإيمان لا بالعيان، واثقين من أنَّ الذي

٣٠ عرف بولس ذلك من خلال اختباره الشخصيِّ للشوكة في جسده: «تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ.»» (كورنثوس الثانية ١٢: ٨-٩).

خلقنا، والذي يحفظنا، والذي خلَّصنا سيبقينا في حمايته القويَّة إلى النهاية. كما قال الرسول بولس: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ.» (تيموثاوس الثانية ١: ١٢).

يتصرَّف الله في حدود الزمان والمكان، وإلاَّ فلن تكون لدينا معرفة شخصيَّة به، وبالتالي لن تكون لنا علاقة معه أيضًا. ولكن مهما اقترب منَّا، فهو غير مقيَّد بمحدوديَّتنا ويمكنه أن يتصرَّف كما يشاء -سواء في أطار الزمن أو خارجه- لأنَّه هو نفسه يسكن فوقه.

صفات تُناقِض المكان

اللانهائيَّة. إنَّ الله لانهائيٌّ من الناحية المكانيَّة. يقترب المزمور ١٤٧: ٥ («لِفَهْمِهِ لاَ إِحْصَاءَ») إلى حدٍّ ما من قول هذا، ولكن ربَّما يمكن العثور على أوضح دليل على ذلك في المزمور ١٣٩: ٧-١٠:

> أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ.

إنَّ اللانهائيَّة الإلهيَّة هي المكافئ المنطقيُّ للاجسدانيَّته، لأنَّه إذا كان لديه جسد، فسيكون محدودًا من الناحية المكانيَّة

بطريقـة مـا. وكمـا هـو الحـال مـع لاجسـدانيَّته، تمنـع اللانهائيَّـة الإلهيَّـة أيَّ شـكل مـن عبـادة الأوثـان؛ فالصنـم بحكـم التعريـف يحتـلُّ مسـاحة معيَّنـة وبالتالـي لا يمكـن أن يكـون شـبهًا لـه.

بقـدر مـا تبـدو غريبـة، فـإنَّ اللانهائيَّـة هـي مفهـوم يتعلَّـق بالعالـم المحـدود، لكـن بمعنـى مختلـف إلـى حـدٍّ مـا. يتحـدَّث علمـاء الرياضيَّـات عـن سلسـلة مـن الأرقـام تمتـدُّ إلـى مـا لا نهايـة (١، ٢ و٣ ومـا إلـى ذلـك) ونقـول إنَّ هنـاك عـددًا لا حصـر لـه مـن الكسـور بيـن ١ و٢. هـذا يعنـي أنَّـه مـن الممكـن الاسـتمرار دون الوصـول إلـى نهايـة، وهـو مـا تعنيـه كلمـة «لانهائـيٌّ» حرفيًـا: لا نهايـة (النهايـة *finis*). لكـن اللانهايـة الرياضيَّـة هـي فـي الحقيقـة مفهـوم محـدود؛ فعلـى الرغـم مـن عـدم وجـود نهايـة للمالانهايـة، فهـي لهـا بدايـة. إنَّهـا نـوعٌ مـن اللانهائيَّـة ذات الاتِّجـاه الواحـد، وليسـت مفهومًـا مطلقًـا ينطبـق بغـضِّ النظـر عـن المـكان الـذي يبـدأ منـه. تمامًـا كمـا أنَّ أبديَّـة الله ليسـت مجـرَّد زمـن مسـتمرٍّ، كذلـك فـإنَّ لانهائيَّتـه مـن حيـث المـكان ليسـت مسـاحة مسـتمرَّة بـل هـي شـيء مختلـف تمامًـا.

اللاسـتقصائيَّة Incomprehensibility. إنَّ الله غيـر مُسـتَقصى بمعنـى أنَّـه لا يمكـن حصـره أو قياسـه. بالتأكيـد لا توجـد صعوبـة فـي العثـور علـى أقـوال كتابيَّـة تدعـم الـرأي القائـل بـأنَّ عقـل الله يتجـاوز فهمنـا. كمـا قـال للنبـيِّ إشـعياء:

«لأَنَّـهُ كَمَـا عَلَـتِ السَّـمَاوَاتُ عَـنِ الأَرْضِ، هكَـذَا عَلَـتْ طُرُقِـي عَـنْ طُرُقِكُـمْ وَأَفْـكَارِي عَـنْ أَفْكَارِكُـمْ.» (إشـعياء ٥٥: ٩)

كتب الرسول بولس، متكلِّمًا عن سرِّ دينونة اليهود وخلاص الأمم:

> يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟» (رومية ١١: ٣٣-٣٤)[٣١]

مثل اللانهائيَّة، فإنَّ لاستقصائيَّة الله مُتَضمَّنة في لاجسدانيَّته. فالشيء غير المحدَّد بمحيط ليس له خطٌّ مرسوم حوله ليكون بمثابة علامة تعريف. يعتبر هذا مهمًّا للغاية في سياقٍ قانونيٍّ، لأنَّه يدلُّ على حدود الحيازة والسلطة. إذا تجاوزتُ الخطَّ، فأنا أتعدَّى؛ أو أتجاوز بحسب المعنى الحرفيِّ لهذه الكلمة. أي أطالب بحقوقٍ لنفسي لا أستحقُّها. في العالم الروحيِّ، يُحَدُّ الشيطان بهذه الطريقة، لكن الله ليس كذلك. عندما أراد الشيطان أن يثبت أنَّ أيُّوب لم يكن بارًّا كما اعتقد الجميع، سمح الله للشيطان أن يبذل قصارى جهده لإثبات وجهة نظره، لكنَّ الله وضع حدودًا حول ما سُمح للشيطان بفعله. كان من الممكن أن يفعل ما يحلو له بممتلكات أيُّوب، لكنَّ الله لم يُسمح له بلمس الرجل نفسه (أيُّوب ١: ١٢).

بالمقابلة مع هذا، لا يمكن تقييد الله بهذه الطريقة. صحيح أنَّ الله قد وعد شعبه بفداء، ومن أجل طمأنتهم، ألزم نفسه بقسم (العبرانيِّين ٦: ١٧)، لكن ليس هذا هو الشيء نفسه الذي نتكلَّم عنه هنا. كان القسم متوافقًا مع طابع غرضه الثابت،

٣١ انظر أيضًا كورنثوس الأولى ٢: ١٦، حيث يتكرَّر الشيء نفسه. قد تكون كلا الآيتين إشارة إلى إشعياء ٤٠: ١٣.

ممَّا يعني أنَّه أكَّد ما كان في ذهنه بالفعل ولم يقيِّده بفرض بعض القيود الخارجيَّة المصطنعة عليه. من وجهة نظر الله، كان قسمه غير ضروريٍّ؛ بل أقسمه لمصلحتنا وليس لمصلحته. لا يمكن كسر العهد الذي أُقسِم عليه إلاَّ من جانب واحد -أي جانبنا- وإذا حدث ذلك، فسوف نعاني من العواقب، لأنَّه لن يطوِّع معاييره لتناسبنا. كما قال بولس:

> إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضًا سَيُنْكِرُنَا. إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ. (تيموثاوس الثانية ٢: ١٢-١٣)

لا يمكن وضع حدود خارجيَّة على الله، سواء من الناحية المفاهيميَّة (بالوصف) أو ماديًّا (من خلال وضع علامات حدوديَّة). فهو يتجاوز كلَّ هذه المحاولات لتقييده. وبلغة حديثة، لا توجد مناطق «محظورة» على الله. كان كاتب المزمور يعرف ذلك جيِّدًا، كما يمكننا أن نرى من المزمور ١٣٩: ٧-١١. اعتقد يونان أنَّه يستطيع الهروب من الله ولكنَّه اكتشف بطريقة قاسية أنَّه لا يستطيع ذلك (يونان ١: ١-١٧). كما اعتقد القادة اليهود والسلطات الرومانيَّة أنَّه يمكنهم التخلُّص من يسوع عن طريق إجهاض العدالة، لكنَّهم فشلوا بشكل أكثر بؤسًا لأنَّ الله الآب لن يترك ابنه في القبر. فالحقيقة هي أنَّ الله لا يُحَدُّ. بالنسبة له، لا يوجد أيُّ مكان خارج الحدود ولا شيء مستحيل عليه (متَّى ١٩: ٢٦).

صفات الله الجوهريَّة كما ندركها

تظهر أهميَّة صفات الله الجوهريَّة بشكل أوضح في الطرق التي نتصوَّرها بها. فنحن نميِّزها من واقع اختبارنا لحضوره وقوَّته وعلمه. من ذلك نستنتج أنَّ الله **كليُّ الوجود، وكليُّ القدرة، وكليُّ العلم.** اختبر الإسرائيليُّون القدماء اللهَ من خلال ثقتهم به. فعندما طُلب من أبرام الانتقال غربًا إلى المجهول، لم يكن لديه دليل على أنَّ الله الذي تكلَّم معه سيكون قادرًا على الوفاء بوعوده. لم يعِش أبرام ليرى هذا التحقيق، لكنَّ الأجيال اللاحقة من بني إسرائيل عاشته، وتشكَّل فهمهم لله وفقًا لذلك. على الجانب السلبيِّ، كان عدم إيمان يونان هو الذي دفعه إلى الفرار، ويظهر نفس الموضوع في حياة الأنبياء الآخرين. اعتقد إيليَّا أنَّه الرجل الأمين الوحيد المتبقِّي في إسرائيل، ولكن عندما هرب إلى سيناء، تكلَّم الله إليه وكشف أنَّ هناك سبعة آلاف آخرين مثله. لقد علم الله ذلك، لكنَّ إيليَّا لم يكن يعرف به، وكان عليه أن يعود إلى المنزل واثقًا من أنَّ الله يعرف ما كان يفعله (ملوك الأوَّل ١٩: ١-١٨). لم يستطِع إرميا تصديق أنَّ الله كان يدعوه ليكون نبيًّا، لكنَّ الله طمأنه، قائلاً له إنَّه عيَّن إرميا مسبَّقًا لهذا الدور وسيتأكَّد من أنَّ إرميا لديه الموارد التي يحتاجها لتحقيق ذلك (إرميا ١: ٤-١٢). كان على كلٍّ من إيليَّا وإرميا أن يستجيبا بإيمان؛ لم يكن لديهم دليل على أنَّ الله سيحافظ على كلمته إلى أن شرعوا في اختبار الوعود من خلال القيام بما أمرهم بفعله. تبرز أهميَّة هذا بوضوح في العبرانيِّين ١١، حيث يوضِّح الكاتب أنَّه في كلِّ مرحلة من مراحل

حياة إسرائيل، كان إيمان قادتها هو ما ميَّز الشعب وشهد على قوَّة الله العاملة في الخلاص.

هل هناك أيُّ دليل يسمح لنا بالاعتقاد بأنَّ وجود الله المطلق وقدرته المطلقة وعلمه المطلق هي أمور يمكن إثباتها علميًّا؟ تعتمد الإجابة هنا على مقدار ما نعتبره كافيًا لتشكيل دليل. يمكن (ويحقُّ) للمسيحيِّين المؤمنين أن يشهدوا بأنَّهم لم يسبق لهم التواجد في أيِّ مكان لا يوجد فيه الله، ويعتقدون أنَّ خبرتهم تدعم الادِّعاء بأنَّه موجود في كلِّ مكان. وبالمثل، لم نصادف أبدًا أيَّ شيء لا يستطيع فعله أو لا يعرفه. قد يجادل النقَّاد بأنَّنا لم نذهب في كلِّ مكان (وهذا صحيح بشكل واضح)، ولم نختبر قوَّة الله أو معرفته بكلِّ طريقة ممكنة، بحيث لا يكون هناك ما يبرِّر هذا النوع من الادِّعاء المطلق عنه.

الردُّ المسيحيُّ هو أنَّ هؤلاء النقَّاد يطلبون المستحيل. حتَّى لو أخبرَنا اللهُ بكلِّ ما يعرفه، فلن نتمكَّن من إثبات أنَّه كليُّ العلم، لأنَّنا لن نعرف ما إذا كان هناك شيء لا يمكنه إخبارنا به لأنَّه هو نفسه لا يعرفه. إنَّنا نعلم أنَّ الله لا يستطيع أن ينكر نفسه، وهو ما يعني على الأرجح أنَّه لا يستطيع تدمير نفسه، لذلك فهو بهذا المعنى ليس كليَّ القدرة (تيموثاوس الثانية ٢: ١٣). لكنَّ قول هذا يعني الدخول إلى عالم العبث. ماذا سيحدث إذا دمَّر الله نفسه لمجرَّد إثبات أنَّ لديه القدرة على فعل ذلك؟ إذا فعل ذلك، فسيختفي معه كلُّ شيء، بما في ذلك الجنس البشريُّ. لن يكون هناك أيُّ شيء على الإطلاق

لأنَّه لن يكون هناك من يدركه.

هذا هو السبب في أنَّ التأكيدات على أنَّ الله كليُّ الوجود وقادر على كلِّ شيء وكليُّ العلم يجب أن تستند في النهاية إلى الإيمان بما أعلنه الله، وليس على «دليل» علميٍّ خياليٍّ. كلُّ الأدلَّة التي لدينا تشير إلى نفس الاتِّجاه، لذا فإنَّ إيماننا بأنَّ تلك الأدلَّة ستستمرُّ في الاتِّجاه نفسه هو أمر معقول. لكنَّه لا يزال إيمانًا ويطلب منَّا التزامًا بالمجهول، وما لا يمكن معرفته بالفعل. لا ينبغي أن يكون هناك ما يثير الدهشة في هذا الأمر، لأنَّ هذا هو الله. لقد أعلن لنا عن نفسه، لكنَّه في أعماق كيانه يظلُّ فوق كلِّ ما يمكننا تصوُّره.

إنَّ الإيمان، كما يقول كاتب العبرانيِّين، هو «الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى.» (العبرانيِّين ١١: ١). إنَّه بالتأكيد ليس نتيجة لتحليلات تأتي بعد التحقُّق. من الصحيح، بالطبع، أنَّه بعد أربعة آلاف عام الآن، لدينا حالات عديدة يمكننا فيها الادِّعاء بأنَّ الله كان يعمل، لكنَّ التاريخ ليس هو ما يثبت صحَّة معتقداتنا. إذ يقدِّم الكثير من المؤرِّخين العلمانيِّين تفسيرات أخرى لما حدث في الماضي، وهم في إطارهم المرجعيِّ ليسوا مخطئين بالضرورة. على سبيل المثال، تصرَّف بيلاطس البنطيُّ لأسباب تتعلَّق بحالة منطقيَّة بالنسبة له. في نظره، كان صلب يسوع عملاً لا معنى له في الأساس، وضرورة سياسيَّة مؤسفة ليس لها نتائج طويلة الأمد. في ذلك الوقت، كان هناك سبب وجيه للاعتقاد بأنَّه كان على حقٍّ، واستمرَّت الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وكأنَّ شيئًا لم يحدث. ومع ذلك، من سيقول اليوم

إنَّ بيلاطس كان محقًّا في الاعتقاد بأنَّه لن تكون هناك عواقب طويلة المدى لصلب يسوع؟ يتَّفق الجميع الآن على أنَّ إيمان أولئك الذين رأوه يقوم من بين الأموات، وآخرين ممَّن صدَّقوا هؤلاء الشهود، قد غيَّر العالم.

من أين أتى هذا الإيمان ولماذا استمرَّ على الرغم من قرون من الاضطهاد؟ الجواب المسيحيُّ هو أنَّ الإيمان الذي يجب أن نؤمن به كان (ولا يزال) مغروسًا فيهم بحضور روح الله القدُّوس. قد يتوصَّل المؤرِّخون العلمانيُّون إلى تفسيرات بديلة، لكن هل يصلح أيٌّ منها كدليل بمقدار ما يصلح الدليل المسيحيُّ؟ لا يمكننا إجبار الآخرين على قبول معتقداتنا، لكن يمكننا على الأقلِّ أن نقول إنَّ أولئك الذين يرفضونها لم ينتجوا بديلاً أكثر مصداقيَّة.

إنَّ الوجود المُطلَق، والقدرة المطلقة، والمعرفة المطلقة كلَّها تترابط معًا. وكلُّ واحدة منها تشير إلى الأخريين. يستطيع اللاهوتيُّون تحليل أعمال الله وإبراز جوانبها المختلفة، لكن حضور الله وقوَّته ومعرفته هي أمور تسير جنبًا إلى جنب. ولا يمكن فصلها، ولن يكون لها معنى إذا انفصلت. ماذا ستكون الفائدة إذا كان الله موجودًا في كلِّ مكان ولكنَّه يفتقر إلى القوَّة أو المعرفة؟ كيف يكون قديرًا إذا كان يتغيَّب عن المشهد بين الحين والآخر أو يجهله؟ وما نفعه إذا كان يعرف كلَّ شيء ولكنَّه كان عاجزًا عن فعل أيِّ شيء حيال ذلك؟ قد نستنتج من هذا أنَّ معرفة الله تعني أن نعرفه في كماله، حتَّى لو لم نستطِع فهمه تمامًا. قال الرسول بولس نفس الشيء عندما كتب

إلى أهل كولوسي، قائلاً لهم إنَّه في المسيح «يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كولوسي ٢: ٩). لا يمكن عزل أحد جوانب تلك الحقيقة وفحصه كما لو أنَّ بقيَّة الجوانب غير موجودة. كلُّ ما نقوله عن الله ينطبق على كلِّ كيانه، لذلك يجب أن يكون متَّسقًا داخليًّا ومتماسكًا مع كلِّ الجوانب الأخرى.

هل الوجود المطلق والقدرة المطلقة والمعرفة المطلقة من صفات الله؟ معظم اللاهوتيِّين يصنِّفونها بهذه الطريقة. عندما نقول إنَّ الله كليُّ الوجود، كليُّ القدرة، وكليُّ العلم، فإنَّنا نذكر ما يمكن أن نفهمه ممَّا أعلنه، وكذلك من أفعاله، بعبارات ذات مغزى بالنسبة لنا. لقد توصَّلنا إلى هذا الفهم لأنَّنا اختبرناه وهو يعمل بهذه الطريقة، ونقدِّم الادِّعاءات التي نقدِّمها على رجاء أنَّ ما يفعله في المستقبل سيتوافق مع ما فعله في الماضي. إنَّ الوجود المُطلق والقدرة المطلقة والمعرفة المطلقة هي مظاهر تعبِّر عمَّن هو الله بالنسبة لنا. فالله موجود في كلِّ مكان لأنَّنا نستطيع مقابلته في أيِّ مكان وفي كلِّ مكان، لكنَّ هذا لا يعني أنَّه يتغلغل في كلِّ شيء في شكلٍ ما من وحدة الوجود Pantheism أو الاحتوائيَّة Panentheism.[٣٢] ولا يمكن القول إنَّه يكدِّس أشياء أخرى لأنَّه لا يوجد مكان لها. هذا واضح فيما يتعلَّق بالكائنات الماديَّة؛ فإذا أزاحنا الله بوجوده، فلن نكون بموجودين. لكنَّ هذا صحيح أيضًا في العالم الروحيِّ. فالله روح، ولكن هناك أرواح أخرى ليست جزءًا منه.

٣٢ التمييز هو أنَّ «وحدة الوجود Pantheism» تُستخدَم لتعني أنَّ كلَّ شيء هو الله، أو على الأقلِّ فيه من الألوهة، في حين أنَّ «المذهب الاحتوائيَّ Panentheism» يعني أنَّ الله يسكن أو موجود في كلِّ شيء.

هـذه الأرواح -الملائكـة والشـياطين- مخلوقـة ومحـدودة، ممَّـا يعنـي أنَّ روحانيَّاتهـم، مهمـا كانـت تبـدو مثـل «الألوهيَّـة»، إلاَّ إنَّهـا فـي الواقـع مختلفـة. الكتـاب المقـدَّس واضـح تمامًـا بشـأن هـذا:

> لأَنَّـهُ لِمَـنْ مِـنَ الْمَلاَئِكَـةِ قَـالَ قَـطُّ: «أَنْـتَ ابْنِـي أَنَـا الْيَـوْمَ وَلَدْتُـكَ»؟ وَأَيْضًـا: «أَنَـا أَكُـونُ لَـهُ أَبًـا وَهُـوَ يَكُـونُ لِـيَ ابْنًـا»؟ وَأَيْضًـا مَتَـى أَدْخَـلَ الْبِكْـرَ إِلَـى الْعَالَـمِ يَقُـولُ: «وَلْتَسْـجُدْ لَـهُ كُلُّ مَلاَئِكَـةِ اللهِ». وَعَـنِ الْمَلاَئِكَـةِ يَقُـولُ: «الصَّانِـعُ مَلاَئِكَتَـهُ رِيَاحًـا وَخُدَّامَـهُ لَهِيـبَ نَـارٍ». وَأَمَّـا عَـنْ الابْـنِ: «كُرْسِـيُّكَ يَـا أَللهُ إِلَـى دَهْـرِ الدُّهُـورِ. (العبرانيِّيـن ١: ٥-٨؛ نقـلاً عـن المزاميـر ٢: ٧؛ صموئيـل الثانـي ٧: ١٤؛ سـفر التثنيـة ٣٢: ٤٣؛ المزاميـر ١٠٤: ٤؛ ٤٥: ٦)

كيـف تتعايـش الأرواح الملائكيَّـة مـع الله، الـروح الإلهـيِّ، دون أن يعتـرض كلٌّ منهمـا طريـق الآخـر، إذا جـاز التعبيـر؟ وبالمثـل، مع القـدرة المطلقـة، إذا كان الله كلـيَّ القـدرة، فكيـف تكـون الكائنـات الأخـرى قـادرة علـى التصـرُّف بمفردهـا كمـا هـو حاصـل علـى مـا يبـدو؟ وعلـى وجـه الخصـوص، كيـف يكـون التمـرُّد علـى الله ممكنًـا؟ إنَّنـا نعلـم أنَّ السـبب فـي ذلـك هـو أنَّنـا أنفسـنا متمـرِّدون، ولكـن مـن أيـن تأتـي قـوَّة عصيـان الله، ولمـاذا يتسـامح معهـا؟ أخيـرًا، إذا كان الله يعلـم كلَّ شـيء، فكيـف يمكـن أن يكـون هنـاك أشـياء لـم تحـدث بعـد؟ مـا هـو الهـدف مـن دعوتـه للتوبـة والإيمـان وهـو يعلـم بالفعـل مـا سـنفعله؟ يجـب البحـث عـن إجابـات لمثـل هـذه الأسـئلة، بالقـدر المتـاح، مـن خـلال الاحتـكام إلـى صفـات الله التـي تنتـج الأفعـال الموصوفـة فـي هـذه العبـارات. بكلمـات

أخـرى، يجـب أن نسـعى لاكتشـاف مـن ومـا هـو الله لكـي نفهـم ونقـدِّر مـا يفعلـه ويعلنـه لنـا.

الوجود المُطلق

هـل يُعلِّـم الكتاب المقدَّس أو يشـير ضمنيًّـا إلى أنَّ الله يمكن أن يوجـد فـي كلِّ مـكان؟ يأتـي الدليـل الأوَّل علـى ذلـك من الدعـوة التي وجههـا لإبراهيـم فـي التكويـن ١٢. قـال الله لإبراهيـم (أو أبـرام كما كان يُعـرَف ذلـك الوقـت) أن يغادر مسـقط رأسـه مدينـة أور ويذهب إلـى الأرض التـي سـيعطيها الله لـه ولنسـله. وفـي عالم أبـرام، كانت الآلهـة فـي الغالـب آلهـة محليَّـة تتركَّـز قوَّتهـا فـي الأماكـن المرتبطـة بهـا، هـذا إن لـم تكـن قوَّتهـا مقيَّـدة بالكامـل. لـم يكـن أيٌّ إلـه وثنيٍّ ليقتـرح علـى أحـد عِبـاده أن يقـوم ويذهـب إلـى مـكان آخـر، وكان معظـم النـاس يتـردَّدون فـي القيـام بذلـك، خوفًـا مـن أنَّ إلههـم (آلهتهـم) لـن يتمكـن مـن حمايتهـم إذا فعلـوا ذلـك. وإذا ذهبـوا عن طريـق الصدفـة إلـى مـكان آخـر، فربَّمـا يبحثـون عـن الآلهـة المحليَّة ويعتنقونهـا بـدلاً مـن الآلهـة التـي اعتـادوا عليهـا. كان هذا سـهلاً إلى حـدٍّ مـا فـي مجتمـع يؤمـن بتعـدُّد الآلهـة، حيـث يمكـن العثـور على آلهـة «مُكافِئـة» فـي ثقافـات مختلفة.

يمكـن العثـور علـى مثـال مثيـر للاهتمـام لكيفيَّـة تصـوُّر الوثنيِّيـن لآلهتهـم مـن خـلال النظـر فـي حالـة نعمـان (ملـوك الثاني ٥: ١-١٩). كان القائـد العسـكريُّ السـريانيُّ قـد ذهـب إلـى إسـرائيل لأنَّـه سـمع أنَّ نبيًّـا هنـاك يمكنـه أن يشـفيه مـن مـرض البـرص. وعلـى عكـس إرادة نعمـان، أمـر النبـيُّ إليشـع نعمـان بالاسـتحمام

في نهر الأردن، وهو مطلب فهمه القائد على أنَّه إهانة ضدَّ الأنهار (وبالتالي ضدَّ آلهة الأنهار) في موطنه الأصليِّ. ولكن في النهاية استسلم نعمان، وبعد أن شُفِي، أراد أن يعبد إله إسرائيل. ومع هذا، من أجل القيام بذلك شعر بأنَّه مضطرٌّ إلى أخذ ما يكفي من التراب من أرض إسرائيل لوضع الأساس لمذبح لإله إسرائيل في دمشق (ملوك الثاني ٥: ١٧). لماذا؟ اعتقد نعمان أنَّ إله إسرائيل ينتمي إلى تلك البلد، ولذا إذا كان سيعبده في مكان آخر، فعليه أن يأخذ معه جزءًا من أرض تلك البلد. بعبارة أخرى، لم يؤمن نعمان بإله كليِّ الوجود.

لكنَّ إله أبرام لم يكن كما تخيَّله نعمان. فهو سيذهب مع أبرام ويعطيه أرضًا جديدة لأنَّه كان حاضرًا هناك بقدر ما كان موجودًا في أور. تمَّ التعبير عن هذا الإدراك لوجود الله في كلِّ مكان لاحقًا في أحد مزامير داود:

> أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ. (المزامير ١٣٩: ٧-١٠)

بالنسبة لبني إسرائيل القدماء، لم يكن هناك إله يمكن الهروب منه. اكتشف يونان ذلك بالطريقة الصعبة عندما حاول الهروب من دعوة الله. فبدلاً من الذهاب ليكرز لأهل نينوى، ذهب في الاتِّجاه المعاكس، لكنَّ الله التقى به هناك وأعاده إلى حيث أراده الله أن يكون بأكثر الطرق الدراماتيكيَّة التي يمكن

تخيُّلها. إنَّ ما اختبره داود ويونان كأفراد اكتشفته الأمَّة بأكملها فيما بعد. فقبل أن يدمِّر البابليُّون أورشليم مباشرةً، كان الأنبياء الكذبة يخبرون الناس أنَّه لن يلحق بهم أيُّ ضرر. ظنَّ هؤلاء الأنبياء أنَّ الله لم يلاحظ ذلك، لكنَّه قال لإرميا: «أَلَعَلِّي إِلهٌ مِنْ قَرِيبٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَسْتُ إِلهًا مِنْ بَعِيدٍ. إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إرميا ٢٣: ٢٣-٢٤).

يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّه في سبيِهم اللاحق، كان الإسرائيليُّون يشعرون بالحنين إلى الوطن؛ وبكوا عند أنهار بابل بينما تذكَّروا صهيون (المزامير ١٣٧: ١). لكن بقدر ما أرادوا العودة إلى ديارهم، لم تكن هناك أيَّة علامة على أنَّهم كانوا يشعرون بالتوق إلى إلهٍ قد غاب عنهم. لقد كان معهم في السبي، وكما يذكِّرنا كلٌّ من إستير ودانيال، فقد استخدم أناسه الأمناء لإظهار قوَّته على مضطهدي إسرائيل في وسطِ القوى الأجنبيَّة؛ بلاط بابل وبلاد فارس. لم يستطع نبوخذنصَّر ولا أحشويروش (زركسيس) الوقوف أمام إله اليهود، واضطرَّ كلاهما إلى الاعتراف به، على الرغم من أنَّهما لم يصبحا مؤمنين.

إنَّ الإيمان بوجود الله كليِّ الوجود مبنيٌّ على صفاته اللاجسدانيَّة، والاحتجاب، وعدم الاستقصاء (بالمعنى الماديِّ)، واللانهائيَّة. إذا تمَّ أخذ كلِّ هذه الأشياء في الاعتبار، فمن الصعب تصوُّر كيف يمكن ألاَّ يكون حاضرًا في كلِّ مكان، وهذا بالضبط ما تشير إليه الشهادة الكتابيَّة. أينما ذهبنا، يكون الله

معنا. لا يمكننا أن نبني المعابد والكنائس لاحتوائه، لأنَّ السماء عرشه والأرض موطئ قدميه (إشعياء ٦٦: ١). إذا كان هذا لا يشير إلى وجوده المطلق، فإلامَ يشير؟

القدرة المُطلقة

بالنسبة للإسرائيليِّين القدماء، ارتبط وجود الله الكليُّ ارتباطًا وثيقًا بقدرته وسلطته في التصرُّف. في بابل ومصر، لم يكن إله إسرائيل ضيفًا في منزل إله آخر، ولم يكن مقيَّدًا بأيِّ شكل من الأشكال. لقد استطاع التصرُّف وتصرَّف بالفعل، وأنقذ شعبه من براثن فرعون بنفس الفاعليَّة التي أنقذ بها دانيال من جبِّ الأسود والفتية الثلاثة من أتون النار (الخروج ١٤: ١-٣١؛ دانيال ٣: ٨-٣٠؛ ٦: ١٦-٢٤). وإذا كان الله حاضرًا، فهو دائمًا في السلطة، لذا، يترتَّب على ذلك أنَّه إذا كان موجودًا في كلِّ مكان، فهو أيضًا كليُّ القدرة، على الأقلِّ بمعنى أنَّه قادر على هزيمة أيِّ منافس محتمل. قال توما الأكويني Thomas Aquinas: «إنَّ الله موجود في كلِّ شيء بالقوَّة، بقدر ما كلُّ شيء خاضع لقوَّته. ... إنَّ وجود الله في كلِّ مكان بالقوَّة والجوهر هو إذًا مسألة خضوع كلِّ الأشياء لسيطرته المباشرة».[٣٣]

إنَّ قدرة الله على فعل ما يشاء هو أمر مسلَّم به في اللاهوت المسيحيِّ، ولكن هناك حدود منطقيَّة للطريقة التي نفهم بها ذلك. يخبرنا الكتاب المقدَّس، على سبيل المثال، أنَّ الله لا يستطيع أن يكذب، لأنَّ الكذب يخالف طبيعته

33 Thomas Aquinas, *Summa theologiae* (London: Blackfriars, 1964–1976), Ia.8.3.

(تيطس ١: ٢؛ العبرانيِّين ٦: ١٨). القدرة المطلقة، إذًا، هي فنُّ الممكن. ومع ذلك، فإنَّ هذا لم يمنع بعض الفلاسفة من اختراع مواقف لا يمكن أن تنشأ في الواقع ولكنَّها تطرح ألغازًا نظريَّة لا يمكن حلُّها. يستشهد ريتشارد سوينبورن Richard Swinburne بـ «سؤال» ما إذا كان الله يستطيع صنع حجر أثقل من أن يرفعه.[٣٤] كما هو الحال دائمًا مع مثل هذه الأشياء، تصبح الحجَّة غير منطقيَّة من خلال الاختلاف بين اللامحدود والمحدود، بين الخالق وخليقته. لا «يرفع» الله شيئًا، لأنَّ مثل هذا الفعل غريب عن كيانه. أولئك الذين يفكِّرون في مثل هذه المصطلحات يحوِّلونه حقًّا إلى إنسان ممجَّد، وهو جوهر الوثنيَّة.

ما يمكننا قوله هو أنَّ كلَّ ما يفعله الله هو قادر على عدم فعله، لأنَّ خليقته بطبيعتها أدنى من جوهره. هذا واضح ممَّا يقوله الكتاب المقدَّس عن نهاية الزمان، عندما يتمُّ استبدال الكون الحاليّ بـ «سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً» (الرؤيا ٢١: ١). لا يمكننا أن نقول كيف سيفعل الله ذلك؛ بل فقط أنَّه قادر على فعل ذلك. من وجهة نظر لاهوتيَّة، يبدو أنَّ الفلاسفة قد اخترعوا مواقف لا معنى لها ثمَّ حاولوا شرح ما يمكن أو لا يمكن أن يفعله الله حيال تلك المواقف. والكتاب المقدَّس نفسه لا ينغمس في مثل هذه التخمينات بل يرفضها. كما كتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس: «أَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (كورنثوس الأولى ١:

34 Richard Swinburne, *The Coherence of Theism* (Oxford: Clarendon, 1977), 152–58.

٢٥). لـن يفهـم العقـل البشـريُّ غيـر المتجـدِّد هـذا أبـدًا وسيسـتمرُّ فـي ابتـكار الأوهـام والسـيناريوهات غيـر الموجـودة لتبريـر رفضـه لله.

يجـب أن نتذكَّـر أيضًـا أنَّ قـدرة الله علـى فعـل أيِّ شـيء لا تعنـي أنَّـه يفعـل كلَّ مـا هـو قـادر نظريًّـا علـى فعلـه. قـد يبـدو هـذا واضحًـا، لكنَّـه يتطلَّـب تمييـزًا دقيقًـا بيـن جوهـره وأشـخاصه (أقانيمـه) إذا أردنـا فهمـه بشـكلٍ صحيـح. ففـي الجوهـر الإلهـيِّ لا توجـد أيُّـة إمكانيَّـة كامنـة، لأنَّ كمالـه يتطلَّـب أن تتحقَّـق قوَّتـه بالكامـل فـي نفسـه. ليـس هنـاك مجـال أمامـه «لينمـو»، وهـو مـا لـن يكـون لـه أيُّ معنـى علـى أيِّ حـال لأنَّـه يسـكن خـارج الزمـن. ومـع ذلـك، يسـتطيع الله، بصفتـه الشـخصيَّة (الأقنوميَّـة)، أن يختـار كيـف يتصـرَّف فـي تعاملاتـه مـع مخلوقاتـه. هنـا، بشـكل أكثر وضوحًـا مـن أيِّ موضـع آخـر، نـرى كيـف يتحكَّـم أقانيـم الثالـوث فـي كيفيَّـة تصرُّفهـم مـن خـلال الطبيعـة الإلهيَّـة بينمـا يظلُّـون غيـر ملزميـن دائمًـا بالتصـرُّف وفقًـا لـكلِّ جانـب مـن جوانبهـا.

أظهـر يسـوع هـذا فـي عـدَّة مناسـبات، ولكـن ربَّمـا كان الأمـر أكثـر وضوحًـا عندمـا جرَّبـه الشـيطان. لـم يكـن عليـه أن يتصـرَّف ليثبـت أنَّـه هـو الله، لكنَّـه كان قـادرًا تمامًـا علـى رفـض تنفيـذ وصيَّـة الشـيطان. إنَّنـا نعلـم أنَّـه يجـب أن يكـون قـادرًا علـى تحويـل الحجـارة إلـى خبـز، علـى سـبيل المثـال، لأنَّـه بخـلاف ذلـك لـن تكـون تجربتـه حقيقيَّـة، لكـنَّ هـذا لـم يكـن مـا يريـد هـو فعلـه، ولذلـك رفـض (متَّـى ٤: ٣-٤). كان بإمـكان الله أن يهلـك الشـيطان إذا كان قـد اختـار أن يفعـل ذلـك، لكنَّـه سـمح لـه بالعيـش والعمـل

كرئيس لهذا العالم. لا نعرف لماذا لم يمارس سلطته للقضاء على الشرِّ من العالم، لكنَّنا نعلم من واقع الخبرة أنَّه لم يفعل ذلك، على الأقلِّ حتَّى الآن، على الرغم من قوَّته التي لا شكَّ فيها.

لا يقدر الله أن يغيِّر صفاته أو يتجاهلها لأنَّه لا يقدر أن يتوقَّف عن كونه من هو وما هو، ولكن يمكنه أن يقرِّر متى وكيف يستخدمها؛ أو ألاَّ يستخدمها من الأساس، حسب الحالة. إنَّ القدرة على قول لا هي أيضًا جزء لا يتجزَّأ من قدرته المطلقة.

العلم المُطلق

الطريقة الثالثة التي تتجلَّى بها صفات الله الأساسيَّة هي في علمه المُطلَق ومن خلاله. كونه حاضرًا في كلِّ مكان، فهو يعرف كلَّ شيء، ولأنَّه يعرف كلَّ شيء، فهو كليُّ القدرة، لأنَّ المعرفة قوَّة. إنَّه ليس مثل شمشون، الذي كان قويًّا ولكن بلا تمييز للطريقة التي ينبغي أن يستخدم بها قوَّته (القضاة ١٣-١٦). في مراحل عديدة من تاريخ إسرائيل، صرخ الناس إلى الله ليخلِّصهم من أعدائهم، وبطريقة أو بأخرى، كان يأتي دائمًا ليخلِّصهم. أولئك الذين صرخوا لم يعرفوا بالضبط كيف سيستجيب الله لهم، ولكن عندما رأوا ما حدث، أدركوا أنَّ الله كان يعمل نيابة عنهم ومجَّدوه وفقًا لذلك.

لعلَّ أوضح تصريح عن علم الله الكليِّ في العهد القديم

موجـود فـي إجابتـه علـى أيُّـوب:

أَيْـنَ كُنْـتَ حِيـنَ أَسَّسْـتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِـرْ إِنْ كَانَ عِنْـدَكَ فَهْـمٌ. مَـنْ وَضَـعَ قِيَاسَـهَا؟ لأَنَّكَ تَعْلَـمُ! أَوْ مَـنْ مَـدَّ عَلَيْهَـا مِطْمَـارًا؟ عَلَـى أَيِّ شَـيْءٍ قَـرَّتْ قَوَاعِدُهَـا؟ أَوْ مَـنْ وَضَـعَ حَجَـرَ زَاوِيَتِهَـا؟ (أيُّـوب ٣٨: ٤-٦)

إنَّ علـم الله الكلـيَّ متأصِّـل فـي وجـوده الكلـيِّ وهـو مرافـقٌ حيـويٌّ لقدرتـه الكليَّـة، لأنَّـه لـن يكـون مفيـدًا للغايـة إذا كان يمـارس سـلطته دون الفهـم الـلازم للقيـام بذلـك بحكمـة وحسـن تصـرُّف. وبهـذا المعنـى، فـإنَّ معرفتـه المطلقـة تكمِّـل وجـوده المطلـق وقدرتـه المطلقـة. فلأنَّـه يتواجـد فـي كلِّ مـكان يـراه، فهـو بالتالـي يعـرف كلَّ شـيء. ولأنَّـه يعـرف كلَّ شـيء؛ يمكنـه أن يمـارس سـلطته بأكثـر الطـرق البنَّـاءة والمثمـرة.

ومـع ذلـك، فـإنَّ عقيدة العلـم الإلهيِّ المُطلق تسـبِّب مشـكلات كبيـرة لـكلٍّ مـن اللاهوتيِّيـن والفلاسـفة اليـوم. لا تتعلَّـق هـذه المشـكلات بالمـكان بقـدر مـا تتعلَّـق بالزمـان. إذا كان الله يعلـم كلَّ شـيء، فعليـه أن يعـرف مـا نفكِّـر فيـه كمـاضٍ ومسـتقبل. مشـكلتنا تبـدو أصغـر مـع الماضـي، لأنَّـه قـد حـدث بالفعـل ونفتـرض أنَّ الله يمكنـه أن يعرفـه بنفـس الطريقـة التـي يمكننـا أن نعرفـه بهـا. لكـن مـاذا عـن المسـتقبل؟ يمكـن للبشـر أحيانًـا أن يتنبَّـأوا بمـا قـد يحـدث، بنـاءً علـى تحليلهـم للماضـي والحاضـر، وفـي بعـض الأحيـان قـد يتَّضـح أنَّهـم علـى حـقٍّ. ومـن الأمثلـة الشـهيرة علـى ذلـك حالـة ألكسـيس دي توكفيـل Alexis de Tocqueville (١٨٠٥ - ١٨٥٩)، وهـو أحـد النبـلاء الفرنسـيِّين ممَّـن زاروا الولايـات المتَّحـدة

وتوقَّـع أنَّهـا سـتكون قـوَّة عالميَّـة كبـرى فـي غضـون قـرن. ومـن الأمثلـة الشـهيرة الأخـرى مثـال فيـودور دوستويفسـكي Fyodor Dostoyevsky (١٨٢١ - ١٨٨١)، الـذي تنبَّـأت روايتـه The Possessed (أو الشياطين) باندلاع الثورة الروسيَّة بدقَّـة تقشـعر لهـا الأبـدان. قـام دي توكفيـل بصـوخ تنبُّؤاتـه بنـاءً علـى مـا يمكـن أن نسـمِّيه الدليـل العلميَّ؛ إذ قـام بتحليـل الوضـع الحاليِّ لأمريـكا فـي ذلـك الوقـت وخلـص إلـى مـا كانـت عليـه الاسـتنتاجات المنطقيَّـة. أمَّـا دوستويفسـكي فـكان صاحـب رؤيـة صوفيَّـة واستشـعر الاتِّجـاه الـذي تهـبُّ فيـه الريـح دون أن يكـون قـادرًا علـى تحديدهـا بدقَّـة. وبطريقتهمـا المختلفـة، تبيَّـن أنَّ كلا الرجليـن كانـا علـى صـواب، لكنَّهمـا لـم يقدِّمـا أيَّ ادِّعـاء بامتـلاك معرفـة مطلقـة، أو حتَّـى المعرفـة المسـبَّقة بأحـداث معيَّنـة. لـو تدخَّلـت عوامـل غيـر معروفـة بالنسـبة لهـم فـي مرحلـة لاحقـة، لكانـت الأمـور سـتظهر بشـكل مختلـف ولكانـت أسـماؤهم الآن طـيَّ النسـيان، وهـو مصيـر شـمل عـددًا لا حصـر لـه مـن «الأنبيـاء الكذبـة».

تختلـف معرفـة الله المسـبَّقة عـن التنبُّـؤات مـن هـذا النـوع لأنَّ حريَّتـه مـن قيـود الزمـن تضعـه فـي موقـع متميِّـز. فـلا بـدَّ أنَّـه كان يعـرف منـذ بدايـة الخليقـة كيـف سـيكون شـكلها، لأنَّ هـذه هـي الطريقـة التـي صنعهـا بهـا. لكـن فـي حالـة كهـذه، لمـاذا يزعـج نفسـه؟ ومـاذا نفهـم من الادِّعـاء بأنَّـه أعطى الإنسـان الإرادة الحرَّة؟ فـي الواقـع، إذا كان الله كلـيَّ العلـم، فهـل مـن الممكـن أن يكـون هـو نفسـه ذا إرادة حـرَّة؟ هـل يسـتطيع أن يغيِّـر رأيـه دون تدميـر معرفتـه بـكلِّ الأشـياء فـي أثنـاء قيامـه بذلـك؟

هنا نواجه واحدة من المناقشات العظيمة التي ابتُليَ بها العالم اللاهوتيُّ. فمن ناحية، لا يمكن أن يكون هناك شكٌّ في أنَّ الكتاب المقدَّس يخبرنا أنَّ الله لديه ما نعتبره معرفة مسبَّقة. تأمَّل في ما قاله لإرميا:

«قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ.» (إرميا ١: ٤-٥)

حاول إرميا أن يعترض، ولكن كيف يمكنه ذلك؟ لقد قرَّر الله ما سيفعله إرميا قبل وقت طويل من ولادة النبيِّ، ومن هو ليتجادل مع الله؟ يخبرنا الرسول بولس شيئًا مشابهًا عن دعوته: «وَلكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا» (غلاطية ١: ١٥-١٦).

على عكس إرميا، لم يكن الشابُّ شاول الطرسوسيُّ على علم بخطَّة الله لحياته وقضى سنواته الأولى يسير في الطريق المعاكس. هل كان يسير في عصيان لله؟ هذا يعتمد بالأحرى على مَن توجِّه له سؤالك. لم يكن شاول ليقول ذلك قبل اهتدائه للإيمان، فقد اعتقد أنَّه كان يفعل مشيئة الله في اضطهاد الكنيسة. ولكن بحلول الوقت الذي كان يكتب فيه إلى أهل غلاطية، كان بولس (كما عُرِف على نطاق واسع في ذلك الوقت) قد أدرك أنَّه أساء فهم إرادة الله وكان في الواقع يتمرَّد عليه دون أن يدرك ذلك. لماذا أخبر الله إرميا مسبَّقًا بما أراده أن يفعله ولكنَّه سمح لشاول بالذهاب في الاتِّجاه الخاطئ بعيدًا كما فعل؟ لم يشكَّ بولس في أنَّ الله كان مسيطرًا على حياته

منـذ وقـت الحبـل بـه فـي بطـن أمِّـه، لذلـك يُفتـرَض أنَّـه حتَّـى تمـرُّده كان بطريقـة مـا تعبيـرًا عـن الإرادة الإلهيَّـة. ولكـن كيـف؟ ولمـاذا؟

يعـرف العديـد مـن المسـيحيِّين مـن واقـع خبرتهـم الخاصَّـة ومـن خبـرات الآخريـن كيـف تبـدو هـذه المعضلـة. مـن ناحيـةٍ، نشـعر بأنَّنـا أحـرار فـي التمـرُّد علـى الله، إمَّـا عـن قصـد أو عـن جهـل، ولكنَّنـا فـي الوقـت نفسـه نـدرك أيضًـا أنَّـه يتحكَّم فـي حياتنا فـي النهايـة وأنَّـه لا توجـد قـوَّة فـي السـماء أو علـى الأرض يمكـن لهـا أن تفصلنـا عـن محبَّتـه (رومیـة ٨: ٣٨-٣٩). تكمـن الصعوبـة فـي محاولـة معرفـة كيـف يتناسـب الشـقَّين معًـا. علينـا أن نعتـرف بـأنَّ العديـد مـن المسـيحيِّين (ناهيـك عـن غيـر المؤمنيـن) لديهـم مشـكلة حقيقيَّـة فـي هـذا الأمـر. إمَّـا أنَّهـم يرفضـون معرفـة الله المسـبَّقة ويصـرُّون علـى أنَّهـم أحـرار فـي اتِّخـاذ قراراتهـم الخاصَّـة -وإذا لـزم الأمـر، يتحمَّلـون العواقـب- وإمَّـا يذهبـون إلـى الطـرف الآخـر ويعتقـدون أنَّهـم بيـادق فـي يـد الله مُقـدَّر لهـم أن يفعلـوا مـا يشـاء، وبالتالـي ليسـوا مسـؤولين عـن أفعالهـم. كيـف يمكـن أن نُـلام، كمـا يقولـون، علـى شـيء قـد سـيَّرنا الله لنفعلـه؟

لا توجـد إجابـة بسـيطة أو مُرضيـة بشـكلٍ نهائـيٍّ لهـذا السـؤال. فـإذا كانـت هنـاك إجابـة مـن هـذا النـوع، لـكان قـد تـمَّ اكتشـافها منـذ فتـرة طويلـة، وكان مـن الممكـن حـلُّ المشـكلة. لكـنَّ تلـك المشـكلة تتكـرَّر كمـا هـي فـي كلِّ جيـل وستسـتمرُّ هكـذا حتَّـى نهايـة الزمـان. ومـع ذلـك، يمكـن وضـع معاييـر معيَّنـة قـد تسـاعدنا علـى تقديـر ماهيَّـة المشـكلات الحقيقيَّـة.

بادئ ذي بدء، يجب وضع مسألة إرادة الإنسان الحرَّة في سياقها. لا أحد يقرِّر متى أو أين أو لمن يولَد. إنَّنا لا نحدِّد طولنا أو عمرنا. في السنوات الأخيرة أصبح من الممكن تغيير الجنس، لكنَّ هذا يحدث من الناحية السطحيَّة فقط؛ لا يمكن حدوث تحوُّلٍ حقيقيٍّ من ذكر إلى أنثى (أو العكس). إنَّ جيناتنا وفصيلة دمنا وجسمنا وأشياء أخرى لا تعدُّ ولا تحصى محدَّدة سلفًا لنا. وبلغة أخرى، علينا قبول الأمر والتعامل معه وتحقيق أقصى استفادة، سواء أحببنا ذلك أم لا. فقط ضمن هذه الحدود يصبح أيُّ حديث عن الإرادة الحرَّة ممكنًا. علاوةً على ذلك، هذه القيود هي قيود الطبيعة البشريَّة المخلوقة. وهناك أيضًا حقيقة تقول: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ.» (رومية ٣: ٢٣). ما كان اختيارًا حرًّا لآدم وحوَّاء لم يعد كذلك بالنسبة لنا؛ علينا أن نعيش بطبيعة ساقطة خطَّاءة، سواء أردنا ذلك أم لا (رومية ٧: ١٥-٢٠). وهذا في حدِّ ذاته يجعل الإرادة الحرَّة الحقيقيَّة بلا معنى، لأنَّ أيَّة قرارات نتَّخذها ضمن المعايير المفتوحة لنا لا تحدث فرقًا في حالتنا الخاطئة، وهذا ما يفصلنا عن الله.

عندما نطبِّق نفس ذلك الامتحان على الله، نجد أنَّ طبيعته هي أيضًا ثابتة، حتَّى أكثر من طبيعتنا، لأنَّه لا يمكن له أن يتغيَّر. فعقله وإرادته هما جزء منه، ولا يتغيَّران أيضًا. إنَّنا نملك صورة غير كافية لما يتضمَّنه هذا لأنَّ الله يكشف لنا عن عقله وإرادته جزئيًّا فقط. لهذا السبب، فإنَّ البيانات التي لدينا لا ترتبط دائمًا معًا بشكلٍ منطقيٍّ على النحو الذي

نهـواه. لقـد تُرِكنـا لنتعامـل مـع مفارقـات وتناقضـات ظاهـرة لأنَّنـا لا نـرى الصـورة الكاملـة. وهـذا مهـمٌّ بشـكل خـاصٍّ فيمـا يتعلَّـق بالمسـتقبل. لقـد أخبرنـا الله بشـكل عـامٍّ عـن خطَّتـه للعالـم. وفـي مرحلـة مـا، سـيعود ابنـه وينتهـي الكـون بشـكله الـذي نعرفـه. لا يمكننـا أن نقـول متـى سـيحدث ذلـك، ولا نعـرف مـا سـيحدث بيـن الحيـن والآخـر، بخـلاف أنَّـه سـتكون هنـاك حـروب ومجاعـات وكـوارث طبيعيَّـة مـن وقـت لآخـر قبـل حلـول النهايـة (متَّـى ٢٤: ٦). يبـدو أنَّ الغـرض الرئيسـيَّ مـن هـذه المعرفـة هـو أنَّنـا لا ينبغـي أن نشـعر بالرضـا عـن النفـس أو نعتقـد أنَّـه يمكننـا بطريقـة مـا إنشـاء النعيـم علـى الأرض مـن خـلال جهودنـا الخاصَّـة. وهـذا تذكيـر مفيـد، لكنَّـه لا يـزال بعيـدًا كلَّ البعـد عـن التنبُّـؤ المفصَّـل لمـا سـيكون عليـه مسـتقبلنا الفـرديُّ.

فـي مواجهـة هـذا المجهـول، يسـير المسـيحيُّون بالإيمـان، لكـنَّ إيماننـا موضـوعٌ فـي الشـخص الـذي وضـع الخطَّـة كلَّهـا. يحـبُّ بعـض النـاس التفكيـر فـي أنَّـه مـن الممكـن أن تتطـوَّر تلـك الخطَّـة إلـى شـيء مختلـف عمَّـا هـي عليـه الآن، بـل ويقترحـون أنَّـه قـد يكـون لدينـا دور نلعبـه فـي ذلـك. متحدِّثًـا عـن الله بهـذه الطريقـة، كتـب ديفيـد بارثولُميـو David Bartholomew:

> يمكـن رؤيـة عنايتـه فـي الإمكانـات الغنيَّـة التـي وُهبَـت للخليقـة. إنَّ المسـتقبل ليـس محـدَّدًا سـلفًا بالكامـل وبالتالـي فهـو مفتـوح لمقـدار مـن تصميـم الله وكـذا مـن تصميمنـا نحـن. إذ تُحقَّـق مقاصـد الله عندمـا نوائـم أفعالنـا مـع

إرادتـه، وربَّمـا أيضًـا بفعلـه المباشـر.[٣٥]

إنَّـه اقتـراح جـذَّاب، لكـنَّ رؤيـة عيوبـه ليسـت بالشـيء الصعب. بـادئ ذي بـدء، مـن هـم «نحـن» المذكـورون هنـا؟ قد يكـون بعض النـاس مسـتعدِّين لمواءمـة أفعالهـم مـع إرادة الله، لكـن مـاذا عـن أيِّ شـخص آخـر؟ كيـف يمكـن تضمينهـم هنـا، إن كان هـذا ممكنًـا مـن الأسـاس؟ ثانيًـا، كيـف نعـرف مـا إذا كانـت أفعالنـا تتوافـق مـع إرادة الله أم لا؟ لدينـا بعـض المبـادئ الأخلاقيَّـة لإرشـادنا، ولكـن مـاذا عـن كلِّ الأشـياء الأخـرى التـي نقـوم بهـا والتـي قـد تبـدو وكأنَّهـا أمـور لا يأبـه بهـا؟ كيـف يمكننـي القـول إنَّـه ببيـع سـيارتي أو شـراء منـزل أو قـراءة كتـاب معيَّـن، فأنـا بطريقـة مـا أوافـق نفسـي مـع مشـيئة الله؟ مـاذا لـو تبيَّـن أنَّنـي لسـت كذلـك، وكيـف لـي أن أعـرف ذلـك؟

ثـمَّ إنِّـي شـخص واحـد أيضًـا. إذا قـدت سـيارتي للاصطـدام بسـيارة شـخص آخـر فـي صدفـة مريعـة، فكيـف سـيؤثِّر فعلـي هـذا علـى محاولـة السـائق الآخـر مواءمـة حياتـه مـع إرادة الله؛ بافتـراض أنَّـه كان يحـاول فعـل ذلـك؟ هـل يمكننـي مـن خـلال أفعالـي أن أحبـط مشـيئة الله، وليـس بالنسـبة لـي فقـط بـل للآخريـن أيضًـا؟ أيـن سـيتوقَّف ذلـك؟ هـل سـيفقد الله السـيطرة علـى كونـه بسـببي؟ هنـا نأتـي إلـى قلـب المشـكلة. مـن الجيِّد جـدًّا أن نقـول إنَّنـا إذا قمنا بمواءمـة أفعالنـا مـع إرادة الله، فسـيعمل مـن خلالنـا، لكـنَّ هـذا لا يقلِّـل مـن سـيطرته علـى مقاصـده النهائيَّـة. إذا رفضنـا التعـاون،

35 David J. Bartholomew, *God, Chance and Purpose: Can God Have It Both Ways?* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008), 242.

فسيعمل على إتمام إرادته بطريقة أخرى؛ لا يمكننا منعه من القيام بذلك. ولكن إذا كان الله لا يعرف أنَّنا سنرفض وليس لديه أيُّ فكرة عمَّا سنفعله بعد ذلك، فسيضطرُّ إلى التصرُّف بجهل ولن يعرف التأثير المحتمل لأفعاله. ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون على حقٍّ. سيكون هذا بمثابة تنازل عن سيادته وينطوي ذلك على فقدان الثقة بأنَّه سيفي بوعوده لنا. سيؤدِّي فقدان الثقة بدوره إلى فقدان الإيمان، لأنَّه كيف يمكننا الوثوق بكائن لا يمكن التنبُّؤ بأفعاله وقابل للتغيير بسبب ظروف خارجة عن إرادته؟

بالطبع، هناك مشكلات تتعلَّق بعلم الله المطلق، ويجب أن نتعرَّف عليها. لا نعرف لماذا خلق الله العالم أو لماذا سمح لبعض مخلوقاته أن تتمرَّد عليه. ليس لدينا أيَّة فكرة لماذا يتسامح مع هذا العصيان ويسمح للشرِّ أن يفعل أسوأ ما في وسعه. لماذا لا يضع حدًّا لكلِّ هذا المشروع المؤسف برمَّته، ويُجهِز على خليقةٍ فشلت فشلاً ذريعًا؟ طرح أيُّوب وأصدقاؤه أسئلة مثل هذه، وكذلك فعل بعض كتَّاب المزامير (انظر على سبيل المثال المزمور ٧٣: ١١). الجواب الوحيد الذي حصلوا عليه هو أنَّ الله يعرف ما يفعله، وأنَّ الشرَّ سينال مجازاته يومًا ما، وأنَّ أولئك الذين يظلُّون مخلصين له سيخلُصون في النهاية (متَّى ٢٤: ١٣). بمعنى آخر، لا يجب أن تمثِّل الشكوك والمخاوف من هذه الحياة سببًا لرفض الاعتقاد بالعلم المطلق لإلهٍ ذي سيادة، بل للوثوق به بشكل كامل، لأنَّه حتَّى لو دُعينا للسير في وادي ظلِّ الموت، فما دام معنا ليرشدنا فنحن لا نخشى

الشـرَّ (المزامیـر ٢٣: ٤). إنَّ الوعـد واضـح:

لِيَرْجُ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ،
لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ وَعِنْدَهُ فِدًى كَثِيرٌ،
وَهُوَ يَفْدِي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثَامِهِ.
(المزامير ١٣٠: ٧-٨).

٣

صفات الله العلائقيَّة

صفات الله العلائقيَّة كما هي في حدِّ ذاتها

إنَّ التمييز بين **من** هو الله **وما** هو الله هو تمييز ذو أهميَّة أساسيَّة لإيماننا. عندما يتكلَّم الكتاب المقدَّس **عمَّا** هو الله (الطبيعة)، فهو يؤكِّد على الهوَّة الكبيرة التي تفصل بيننا كمخلوقات وبينه كخالقنا. لكنَّ الأمر يختلف عندما يخبرنا الكتاب المقدَّس **عمَّن هو** الله (شخص الله)، فهو ليس فقط خالقنا ولكن أيضًا مخلِّصنا وفادينا، وغرضه هو جذبنا إليه. إنَّ الله هو خالق كلِّ شيء، لكنَّه مخلِّص شعبه وفاديه، الذي تربطه به علاقة خاصَّة. هذه العلاقة ليست ماديَّة -فنحن لن نصبح أبدًا مثل الله من حيث الطبيعة- ولكنَّها علاقة شخصيَّة.

على حدٍّ تعبير العهد الجديد، نحن أولاده بالتبنِّي (رومية ٨: ١٥)، نظرًا لامتياز لا يُقدَّر بثمن يتمثَّل في القدرة على المشاركة في طبيعته، والتي هي خلاف ذلك غريبة عنَّا (بطرس الثانية ١: ٤). والله فريد بطبيعته، ولكن بصفته موجودًا في ثلاثة أقانيم، فهو إله علائقيٌّ. يشترك أقانيم الثالوث الثلاث بشكل متساوٍ وكامل في الصفات الإلهيَّة، وهم يشاركونها معنا أيضًا بمعنى ما. يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّنا مخلوقون على «صورة» و«شبه» الله (التكوين ١: ٢٦-٢٧)، ممَّا يعطي الجنس البشريَّ صلة بالله لا تمتلكها أيَّة مخلوقات أخرى. على مستوى الطبيعة، الفارق بين هذه «الصورة والشبه» وبين الله ليس أقرب من الفارق بين صورة الشخص على عملة معدنيَّة أو طابع بريد وبين الشخص صاحب تلك الصورة نفسه. فالرابط هنا ليس على مستوى الطبيعة بل رابط يتجاوز البعد الماديَّ المجرَّد. هناك شيء ما في البشر يجعل من الممكن لنا أن نتواصل مع الله، وأن يتواصل الله معنا. هذا ما نطلق عليه كياننا الشخصيَّ، وهو جانب من جوانب كيانه يشاركنا فيه.

ما هي الشخصيَّة بالضبط؟ هو شيء لا يمكن لله أو للبشر أن يوجدوا من دونه، ومن المغري القول إنَّه جزء من طبيعتنا. هذا، في الواقع، ما يفترضه العلمانيُّون المعاصرون. حتَّى أنَّ البعض يذهب إلى حدِّ القول إنَّه إذا فقد الإنسان القدرة على العمل «بشكل طبيعيٍّ»، أي بالممارسة الحرَّة للعقل والإرادة، فعندئذٍ لم يعد هذا الفرد شخصًا كاملاً ولم يعد بحاجة إلى معاملته على أنَّه موجود. تمَّ استخدام هذا الفهم لتبرير

القتـل الرحيـم دون موافقـة الفـرد المعنـيِّ، وهـي نتيجـة لا بـدَّ أن يقاومهـا المسـيحيُّون. بالنسـبة لنـا، يتـمُّ التعبيـر عـن الشـخصيَّة مـن خـلال الطبيعـة، إلهيَّـة وبشـريَّة على حـدٍّ سـواء، ولكـن لا يمكـن تقييدهـا أو تحديدهـا مـن قِبَـل تلـك الطبيعـة. لا يقتصـر الأمـر على أنَّنـا لا ننتقـص مـن شـخصيَّتنا إذا فقدنـا اسـتخدام بعـض أو كلِّ ملكاتنـا الجسـديَّة؛ بـل إنَّنـا لا نتوقَّـف عـن أن نكـون أشـخاصًا عندمـا نمـوت وتتحلَّـل أجسـادنا الماديَّـة. فالكتـاب المقـدَّس واضـح جـدًّا بشـأن هـذا:

> وَأَجْسَـامٌ سَـمَاوِيَّةٌ، وَأَجْسَـامٌ أَرْضِيَّـةٌ. لكِـنَّ مَجْـدَ السَّـمَاوِيَّاتِ شَـيْءٌ، وَمَجْـدَ الأَرْضِيَّـاتِ آخَـرُ. ... هكَـذَا أَيْضًـا قِيَامَـةُ الأَمْـوَاتِ: يُـزْرَعُ فِـي فَسَـادٍ وَيُقَـامُ فِـي عَـدَمِ فَسَـادٍ. ... فَأَقُـولُ هـذَا أَيُّهَـا الإِخْـوَةُ: إِنَّ لَحْمًـا وَدَمًـا لاَ يَقْـدِرَانِ أَنْ يَرِثَـا مَلَكُـوتَ اللهِ، وَلاَ يَـرِثُ الْفَسَـادُ عَـدَمَ الْفَسَـادِ. (كورنثـوس الأولـى ١٥: ٤٠، ٤٢، ٥٠)

فـي القيامـة، سـنكون نفـس الأشـخاص -لـن يكـون للخـلاص معنـى بخـلاف ذلـك- ولكـن سـيكون لدينـا طبيعـة جديـدة تمامًـا فـي المسـيح، لـذا فـإنَّ مفهومَـي الشـخص والطبيعـة مختلفـان عـن بعضهمـا البعـض. إذا كان هـذا الأمـر ينطبـق علينـا فعـلاً، أفـلا ينبغـي أن ينطبـق أيضًـا علـى الله؟ مـن المسـلَّم بـه أنَّ الحالتيـن لا يمكـن مقارنتهمـا بشـكل صـارم، لأنَّ الله ليـس لـه جسـد، ولـن يمـوت ليُعطـى طبيعـة جديـدة. ولكـن علـى الرغـم مـن أنَّ ظروفنـا مختلفـة تمامًـا، فإنَّـه مـن الناحيـة المفاهيميَّـة، يُعتَبـر التمييـز بيـن الشـخص والطبيعـة صالحًـا تمامًـا للتطبيـق

على الله كما هو على البشر. إذا لم يكن الأمر كذلك، فلا يمكن أن يكون هناك ثلاثة أقانيم في إله واحد. هذا بالفعل هو النقد الذي يوجِّهه كلٌّ من اليهود الموحِّدين والمسلمين ضدَّ الإيمان المسيحيِّ. بالنسبة لهم، الله ذو شخصيَّة، ولكن شخصيَّته جزء لا يتجزَّأ من طبيعته. ونظرًا لأنَّ لديه طبيعة واحدة فقط، لذا لا يمكنه إلاَّ أن يكون شخصًا واحدًا فقط، وهو استنتاج يستبعد أيَّ نوع من التثليث.

تتفاقم الصعوبة بشأن تعريف شخصيَّة الله لأنَّ المسيحيِّين غالبًا ما يتكلَّمون عن الله بصيغة المفرد ويقولون إنَّه «شخص»، ممَّا يجعل من الصعب رؤية منطق الثالوث. والطريقة المعتادة التي يحلُّ بها اللاهوتيُّون هذا الحيود الظاهريَّ هو القول بأنَّه عندما يكلِّمنا الله، فإنَّنا نسمع صوت الآب، لأنَّ الآب يمثِّل وحدانيَّة الكائن الإلهيِّ. تستند حجَّتنا في هذا الأمر على يسوع، الذي علَّم تلاميذه أن يصلُّوا إلى الله كـ «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». لكن يسوع علَّم أتباعه أيضًا أنَّه والآب واحد (يوحنَّا ١٠: ٣٠)، وأنَّ رؤيته تعني رؤية الآب أيضًا (يوحنَّا ١٤: ٩). علاوةً على ذلك، وعدهم أنَّه بعد مغادرته سيرسل لهم معينًا آخر (أو معزِّيًا)، الذي سيصادق على عمله ويواصله (يوحنَّا ١٤: ٢٦؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧-١٥). إنَّ الأشخاص الثلاث مختلفون عن بعضهم البعض، لكنَّهم أيضًا متماثلون جوهريًّا، لأنَّهم يتشاركون في طبيعة واحدة.

بالنسبة للمسيحيِّين، من الضروريِّ أن يميِّزوا اختلافًا جذريًّا بين شخصيَّة الله وطبيعته لأنَّه علائقيٌّ في شخصه،

بينما في طبيعته هو ليس كذلك. إذا أردنا، مثل اليهود والمسلمين، أن نجعل شخصيَّته صفةً من صفات طبيعته، فلن نتمكَّن من الارتباط به شخصيًّا أكثر ممَّا يمكننا التواصل مع أيِّ جانب آخر من جوانب وجوده. هذا هو السبب في أنَّ تعاليم يسوع لليهود في عصره بدت وكأنَّها فاضحة. فبالنسبة لهم، كان يسوع مجدِّفًا لأنَّه دعا الله أباه، وبذلك جعل نفسه معادلاً لله (يوحنَّا ٥: ١٨). لم يتمكَّنوا من تصوُّر علاقة شخصيَّة مع الله بأيَّة طريقة أخرى.

وبسبب هذا الطابع العلائقيِّ لشخصيَّة الله يمكننا أن نشاركه فيها. كذلك، صفات الله الشخصيَّة قابلة للتواصل بطريقة ما، في حين أنَّ صفاته الطبيعيَّة ليست كذلك. بالطبع هناك فرق بين علاقات أقانيم الثالوث داخل حياة الله والعلاقة التي نتمتَّع بها معهم. إذ يرتبط الآب والابن والروح القدس فيما بينهم في ملء الكينونة الإلهيَّة التي يمتلكها كلٌّ منهم. وهكذا يمكننا أن نقول إنَّ الثلاثة موجودون في كلِّ مكان وقادرون على كلِّ شيء ولديهم معرفة كليَّة. كان هذا مستمرًّا حتَّى خلال الوقت الذي تجسَّد فيه الابن هنا على الأرض. عندما أصبح ابن الله إنسانًا، اتَّخذ الطبيعة البشريَّة، وكان يعيش ويعمل بيننا ضمن المحدِّدات التي تفرضها تلك الطبيعة. لكنَّ طبيعته الإلهيَّة لم تتلاشَ، رغم أنَّها كانت مخفيَّة عن الأنظار معظم الوقت. فبين الحين والآخر، كان الحجاب يُرفع ويُكشف، وأبرز مناسبة كانت تجلِّيه على جبل طابور (متَّى ١٧: ١-٨؛ مرقس ٩: ٢-٨؛ لوقا

٩: ٢٨-٣٦).[١]

الله ككائن شخصيٍّ

إنَّ الاعتقاد بأنَّ الله كائن شخصيٌّ وعلائقيٌّ هو اعتقاد مسيحيٌّ أساسيٌّ. فكلُّ ما نقوله عنه يعكس ويعزِّز هذه النقطة. لم يصنع آدم وحواء على صورته فقط؛ بل أيضًا كلَّمهم في الجنَّة. وفي وقت لاحق، قطع عهدًا مع إبراهيم، ووعده بأنَّه سيصبح أمَّة عظيمة. خلال العهد القديم، كان الله يتفاعل مع شعبه، إمَّا بشكل مباشر أو من خلال أنبيائه وغيرهم من الرسل المختارين. كما أنَّ تجسُّد يسوع المسيح هو أسمى مظهر لهذا التفاعل؛ «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ.» (يوحنَّا

١ يبدو أنَّ شهادة الأناجيل واضحة حول هذه النقطة، لكنَّ بعض اللاهوتيِّين المعاصرين لم يكونوا مستعدِّين لقبولها. فمن وجهة نظرهم، أسلم ابن الله طبيعته الإلهيَّة عندما أصبح إنسانًا، وإلاَّ فلن يكون إنسانًا حقيقيًّا. يُعرَف هذا الرأي باسم «النظرية الإخلائيَّة Kenotic theory» جرَّاء التفسير الخاطئ للكلمات اليونانيَّة *heauton ekenōsen* في فيلبِّي ٢: ٧. وهي تعني حرفيًّا أنَّه «أفرغ/أخلى نفسه»، وبالنظر إلى السياق، فُسِّر هذا النصُّ تقليديًّا على أنَّه يقول إنَّ الابن قد تخلَّى عن امتيازات ألوهيَّته لكي يصبح إنسانًا. يرتبط هذا الفهم بيوحنَّا ١٧: ٥، حيث يصلِّي يسوع للآب، ويطلب منه أن يعيد له المجد الذي كانا يشتركان فيه قبل وجود العالم. ادَّعى أنصار النظريَّة الإخلائيَّة أنَّ الابن ذهب إلى أبعد من ذلك، ونحَّى جانبًا قوَّة وسلطة ألوهيَّته بالإضافة إلى امتيازاته. لكن خلال خدمته الأرضيَّة، أظهر يسوع أنَّ لديه الوصاية الكاملة على طبيعته الإلهيَّة، سواء استخدمها أم لا. عندما جرَّبه الشيطان، وبَّخه بالقول إنَّه لا يحقُّ له تجربة الله (متَّى ٤: ٧). المعنى الضمنيُّ هو أنَّ يسوع كان بإمكانه أن يفعل ما طلبه الشيطان لكنَّه لم يفعل ذلك، لأنَّ ممارسة قوَّته الإلهيَّة بهذه الطريقة كان مخالفًا لرسالته الأرضيَّة. كانت معجزاته دليلاً آخر على قوَّته، ويذكِّرنا إنجيل مرقس أنَّها كانت مصحوبة بمغفرة الخطايا، وهو امتياز إلهيٌّ. لذلك فإنَّ النظريَّة الإخلائيَّة خاطئة، وتجسُّد المسيح هو مؤشِّر آخر على أنَّنا يجب أن نميِّز بين الشخصيَّة والطبيعة إذا أردنا أن ننصف الوحي الكتابيَّ. للاطِّلاع على فحصٍ حديث لهذا الموضوع، انظر:

Stephen J. Wellum, *God the Son Incarnate: The Doctrine of Christ, Foundations of Evangelical Theology* (Wheaton, IL: Crossway, 2016), chaps. 10–12; C. Stephen Evans, *Exploring Kenotic Christology: The Self-Emptying of God* (Oxford: Oxford University Press, 2006).

١: ١٤). وفي الكنيسة، نجد أنَّ وجود الروح القدس الساكن في قلوبنا يعزِّز هذا أكثر؛ لذلك نحن قادرون أن نصرخ «يَا أَبَا الآبُ» (رومية ٨: ١٥؛ غلاطية ٤: ٦). استقرَّ التقليد اللاهوتيُّ المسيحيُّ على كلمة «شخص/أقنوم» لوصف هذا، وعلى الرغم من وجود محاولات في السنوات الأخيرة لإيجاد مصطلح أفضل، فإنَّ مصطلح «الشخص/الأقنوم» يدعمه ثقل التقليد ومن غير المرجَّح أن يتمَّ استبداله.

لا يُدعى الله أبدًا «شخصًا/أقنومًا» في الكتاب المقدَّس، على الأقلِّ جزئيًّا لأنَّ الكلمة لم تُستخدم بالمعنى اللاهوتيِّ حتَّى حوالي عام ٢٠٠ بعد الميلاد. كان أوَّل عالم لاهوتيٍّ معروف بأنَّه أطلق على الله «شخصًا» هو ترتليان Tertullian (كتب حوالي ١٩٦ - ٢١٢)، وهو التقط الكلمة من القانون الرومانيِّ واستخدمها لترجمة المصطلح اليونانيِّ *hypostasis*، والذي ورد في العبرانيِّين ١: ٣ متعلِّقًا بالآب.[٢] في الاستخدام اليونانيِّ، تعني *hypostasis* شيئًا مثل «الهويَّة»، لكنَّ الكلمة اللاتينيَّة *persona* تضمَّنت بُعدًا إضافيًّا، على الأقلِّ بالنحو الذي استُخدِمَت به في محاكم القانون الرومانيِّ. غالبًا ما ترتبط *hypostasis* باستيعاب الناظر، ولكن *persona* تعتبر قادرة أيضًا على العمل بشكلٍ موضوعيٍّ مُستقلٍّ. وبهذا المعنى، كانت *persona* وصفًا أكثر دقَّة للآب، والابن، والروح القدس، الذين ليسوا مجرَّد ثلاثة عناصر نلاحظها

٢ المعنى الدقيق للكلمة، وبالتالي ترجمتها، هو محلُّ جدل. تقول ESV إنَّ الابن هو «البصمة الدقيقة لطبيعته [أي لطبيعة الآب]» وهو خلط مُحبِط للتصنيفات التي توضَع من وجهة نظر لاهوتيَّة. تستخدم طبعة الملك جيمس كلمة «شخص Person» احترامًا للتقاليد اللاهوتيَّة. [أمَّا الترجمة العربيَّة فاندايك-سميث تضعها هكذا «رَسْمُ جَوْهَرِهِ»، وهذا أقرب للنصِّ الأصليِّ؛ (المُترجِم)].

في الله، بل هم عاملون نشطون في الفعل.[٣]

كيف يمكننا أن نوفي هذا الموضوع المعقَّد حقَّه؟ بادئ ذي بدء، يجب ألاَّ نقول إنَّ الشخصيَّة هي صفة من صفات الطبيعة الإلهيَّة، مساوية لصفات مثل الاحتجاب وعدم القابليَّة للتغيُّر.[٤] إذا كان الأمر كذلك، فلن يكون هناك مكان للثالوث في الله، ولن يكون تجسُّد الابن الإلهيِّ (وحده دون تجسُّد الآب أو الروح القدس) ممكنًا. إذا كانت الشخصيَّة متأصِّلة في طبيعة الخالق، فلا يمكن أن يتشاركها أيُّ مخلوق، لأنَّ ذلك سيجعل المخلوق مثل الله. من الصحيح، بالطبع، أنَّ الشخص البشريَّ مُعرَّف في الكتاب المقدَّس (بقدر ما يعطيه الكتابُ المُقدَّس من تعريف) بعبارة «صنع على صورة الله ومثاله»، لذلك هناك علاقة ما مع الألوهة؛ ولكن نظرًا لعدم مشاركة الإنسان أيًّا من الصفات الجوهريَّة الأخرى للألوهة بين البشر، فمن الصعب أن نفهم لماذا (أو كيف) يمكن إجراء استثناء لصفة الشخصانيَّة [بفرض أنَّها صفة من الأساس].

إذا كانت الشخصيَّة تعني القدرة على إقامة علاقة مع أشخاص آخرين (أي متعلِّقة بالهويَّة [مَن هو])، كما أعتَقِدُ، فهذا سبب آخر لعدم ارتباطها بالطبيعة الإلهيَّة (المتعلِّقة بالماهيَّة

٣ تجدر الإشارة إلى أنَّ ترتليان لم يستخدم أبدًا كلمة «شخص» في صيغة المفرد ولكنَّه احتفظ بها لأعضاء الثالوث. من وجهة نظره، كان هناك ثلاثة أشخاص في الجوهر الإلهيِّ الواحد، وهي صياغة صمدت أمام اختبار الزمن وما زالت تعتبر أرثوذكسيَّة حتَّى اليوم.

٤ كانت «الشخصانيَّة» تعني ما نشير إليه الآن بكلمة «الشخصيَّة»، أيْ صفةَ أن تكون شخصًا. على الرغم من أنَّ هذا لا يزال ممكنًا من الناحية الفنِّيَّة، فقد أصبحت الكلمة تعني مجموع الخصائص التي تشكِّل (وتميِّز) فردًا معيَّنًا. على سبيل المثال، يمكننا أن نقول: «إنَّها تتمتَّع بشخصيَّة لطيفة»، لكنَّنا لن نتحدَّث أبدًا عن الله بهذه الطريقة، ولا يمكننا أن نقول: «إنَّه يتمتَّع بشخصيَّة لطيفة.»

[ما هو])، وهو أمر فريد. على هذا المستوى، لن يكون ممكنًا لله أن يقيم علاقة بأيِّ شيء أو شخص. يتمُّ حلُّ هذه المشكلة من خلال عقيدة الثالوث. ففي داخل اللاهوت، هناك ثلاثة أشخاص يرتبطون معًا ويقومون بذلك بطرق مختلفة باعتبارهم الآب والابن والروح القدس. لا تنهار مساواتهم إلى تطابق، ولا يؤدِّي تمايزهم إلى انفصال. إنَّهم يرتبطون بعضهم ببعض في محبَّة ليس لأنَّهم متماثلون أو لأنَّهم بحاجة بعضهم إلى بعض ليكونوا إلهًا كاملاً -فكلُّ واحد منهم هو الله الكامل في ذاته- ولكن لأنَّهم يشكِّلون وحدةً لا تنفصم.

علاوةً على ذلك، هذا هو نفس الحبِّ الذي يصل إلينا. إنَّنا لا نتَّحد مع الله بطبيعتنا، ولا حتَّى من خلال خلقنا على صورة الله. فالصورة تجعل العلاقة الشخصيَّة معه ممكنة، لكنَّها لا تضمن أن تظلَّ محفوظة في المحبَّة، لأنَّ محبَّتنا لله ليست بنفس نوعيَّة محبَّته لنا. فمحبَّته تعكس طبيعته؛ فهي مثاليَّة ولا تتغيَّر. لكنَّ محبَّتنا تعكس طبيعتنا؛ محدودة وخاضعة لجميع القيود التي ينطوي عليها ذلك. في الواقع، كما نعلم، انقطعت علاقتنا الشخصيَّة مع الله بسبب خطايانا. ومع بقاء القدرة على الاسترداد، ومع أنَّنا مسؤولون عن فشلنا في تحقيق ذلك، لكنَّنا لا يمكننا تصحيح الأمور دون تدمير أنفسنا في أثناء القيام بهذا. هذه هي المعضلة التي قام الله بحلِّها بإرسال ابنه الحبيب، الذي حمل إنسانيَّتنا ليموت من أجلنا.

من العبارات الثابتة في العهد الجديد أنَّنا أبناء الله ليس لأنَّنا خُلقنا على صورته بل لأنَّنا افتُدينا بذبيحة ابنه:

مَـعَ الْمَسِـيحِ صُلِبْـتُ، فَأَحْيَـا لاَ أَنَـا، بَـلِ الْمَسِـيحُ يَحْيَـا فِـيَّ. (غلاطيـة ٢: ٢٠)

وَأَنَّكُـمْ لَسْـتُمْ لأَنْفُسِـكُمْ؟ لأَنَّكُـمْ قَـدِ اشْـتُرِيتُمْ بِثَمَـنٍ. فَمَجِّـدُوا اللهَ فِـي أَجْسَـادِكُمْ وَفِـي أَرْوَاحِكُـمُ الَّتِـي هِـيَ للهِ. (كورنثـوس الأولـى ٦: ١٩-٢٠)

الَّذِيـنَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُـمْ مَـا هُـوَ غِنَـى مَجْـدِ هـذَا السِّـرِّ فِي الأُمَـمِ، الَّـذِي هُـوَ الْمَسِـيحُ فِيكُـمْ رَجَـاءُ الْمَجْـدِ. (كولوسـي ١: ٢٧)

لأَنَّ مَحَبَّـةَ اللهِ قَـدِ انْسَـكَبَتْ فِـي قُلُوبِنَـا بِالـرُّوحِ الْقُـدُسِ الْمُعْطَـى لَنَـا. (روميـة ٥: ٥)

كان الرسـول بولـس يـدرك جيِّـدًا أنَّ هنـاك تناقضًـا بيـن قدرتنـا علـى قبـول محبَّـة الله وتلـك المحبَّـة نفسـها. إذ كتـب: «وَلكِـنْ لَنَـا هـذَا الْكَنْـزُ فِـي أَوَانٍ خَزَفِيَّـةٍ، لِيَكُـونَ فَضْـلُ الْقُـوَّةِ للهِ لاَ مِنَّـا.» (كورنثـوس الثانيـة ٤: ٧). إنَّهـا معجـزة، لكنَّهـا ليسـت مسـتحيلة، لأنَّ محبَّـة الله التـي نتلقَّاهـا تقـدِّم لنـا تطبيقًـا للعلاقـة الشـخصيَّة التـي تربـط أعضـاء الثالـوث بعضهـم ببعـض.

كُلُّ هـذا يخلـص إلـى أنَّ الشـخصانيَّة أو «الشـخصيَّة» (أي مـا يميِّـز كلَّ شـخص)، هـي شـيء فـي الله غيـر مرتبـط بطبيعتـه الإلهيَّـة (التـي هـي مشـتركة بيـن الأشـخاص الثـلاث). إنَّ تجسُّـد الابـن يجعـل مـن الممكـن أن نذهـب أبعـد مـن ذلـك ونقـول إنَّ الشـخصيَّة الإلهيَّـة قـادرة علـى إدراك ذاتهـا فـي الطبيعـة البشـريَّة، كمـا حـدث فـي يسـوع الناصـريِّ. وهكـذا، يمكـن لشـخصٍ إلهـيٍّ

واحـد أن يكـون لـه طبيعتـان فـي وقـت واحـد؛ إحداهمـا إلهيَّـة والأخـرى بشـريَّة. وعلـى الرغـم مـن أنَّ الكيفيَّـة التـي أمكـن لـه بهـا أن يحتفـظ بطبيعتـه الإلهيَّـة كإنسـان هـو أمـر يتجـاوز فهمنـا، فـإنَّ النقطـة المهمَّـة هـي أنَّ الأشـخاص يتحكَّمـون فـي طبيعتهـم الإلهيَّة المشـتركة وليـس العكـس. إنَّهـم ليسـوا مجـرَّد إظهـارات مختلفـة لكائـن الله الواحـد نفسـه، كمـا لـو أنَّهـم قـد أُعطُـوا أسـماءً مختلفـة ولكنَّهـم لا يمثِّلـون أيَّ شـيء متمايـز حقًّـا.[٥] كذلـك أيضًـا لا تمنعهـم طبيعتهـم مـن التجسُّـد إن أرادوا؛ هـذا خطـأ المذهـب الإخلائـيِّ Kenoticism. إنَّ مـا نسـمِّيه صفـات الله العلائقيَّـة أو «القابلـة للتشـارُك» هـي أوصـاف لكيفيَّـة ظهـور العلاقـة التـي لـدى الله (أو الـذي يريدهـا أن تكـون لديـه) مـع مخلوقاتـه مـن حيـث الممارسـة العمليَّـة. بعبـارة أخـرى، إنَّ القداسـة، والبـرَّ، والصـلاح هـي المعاييـر التـي يفرضهـا الله علينـا حتَّـى نتوافـق مـع عقلـه وإرادتـه. ولا يمكـن إيفـاء هـذه الشـروط بالجهـود البشـريَّة، وهنـا نشـأت أكبـر الخلافـات فـي تاريـخ الكنيسـة. هـل يسـتطيع الإنسـان فعـل أيِّ شـيء لإرضـاء الله؟ هـل يحتـرم الله مقاصدنـا ويبنـي عليهـا، أم يرفضهـا علـى أنَّهـا غطرسـة مـن جانبنـا، ويخضعنـا بالتواضـع حتَّـى يملأنـا بنعمتـه؟ كيـف تتحقَّـق علاقتنـا مـع الله عمليًّـا، ومـاذا يقـول ذلـك عـن طبيعـة الله؟ إنَّـه مـن أجـل هـذه الأسـئلة يجـب علينـا أن نتنـاول أنفسـنا بالفحـص عندمـا ننظـر بعمـق فـي جوانـب الله العلائقيَّـة.

هـل الخصائـص التـي يتوقَّـع الله منَّـا أن نظهرهـا فـي حياتنـا،

٥ هذه هي البدعة المعروفة بالموادايَّة/السابليَّة/الشكلانيَّة.

والتي يتيحها وجود روحه القدُّوس في قلوبنا، موجودة في الله نفسه؟ على سبيل المثال، يدعو الله شعبه أن يكونوا قدِّيسين لأنَّه قدُّوس، ولكن بأيَّة طريقة هو قدُّوس؟ هل هذه الكلمة تعبِّر عن شيءٍ داخل الله، أم أنَّها ذات مغزى فقط في سياق علاقته بنا؟ إنَّ الله «قدُّوس» على عكس كلِّ شيء آخر نراه من حولنا، ولكن لأنَّ الكلمة تهدف إلى التأكيد على تمايزه عن الأشياء الأخرى، فلا يمكن تطبيقها داخل الله نفسه. لا يمكن أن يكون قدُّوسًا مقارنةً بما هو غير مقدَّس إذا لم يكن هناك شيء يمكن مقارنته به. إنَّ القداسة هي حالة روحيَّة ذات مغزى فقط فيما يتعلَّق بالكائنات الأخرى، ولاسيَّما الآن بعد أن تمرَّدت بعض تلك الكائنات ضدَّه.

نفس الشيء ينطبق على العديد من صفات الله العلائقيَّة. لأنَّها تظهَر فقط في علاقاته بالآخرين، فهي لا توجد كموجودات مُستقلَّة يمكن تحديدها بمعزل عنهم. الاستثناءات من هذه القاعدة هي الصفات التي تنطبق على العلاقات المتبادلة بين أقانيم الثالوث. فلأنَّ هؤلاء الأشخاص سرمديُّون، فإنَّ كلَّ ما ينطبق على علاقاتهم الداخليَّة موجود إلى الأبد في الله. الصفة الواضحة في هذه الفئة هي المحبَّة. فالآب يحبُّ الابن، والابن يحبُّ الآب، وكلاهما يحبُّ الروح القدس. والثالوث هو شركة محبَّة داخل كيان الله الأزليِّ. لم يتمَّ الكشف عن ذلك لنا حتَّى مجيء الابن إلى العالم، لكن التوقيت لا يهمُّ. إذ لم يخلق تجسُّدُ المسيح العلاقةَ بين الآب والابن، بل كشفها لنا فقط. والأهمُّ من ذلك هو أنَّ تلك العلاقة والمحبَّة التي تميِّزها لم تنشأ لأنَّ

مخلوقات روحيَّة أخرى تمرَّدت على الله. بل كانت موجودة أزلاً، مُعانقةً لا التجسُّد فحسب، بل أيضًا موت الابن الكفَّاريَّ وقيامته. إنَّه الحمل المذبوح «مُنْذُ تَأسِيسِ الْعَالَمِ»، والذي كتبَ في سفر الحياة الذي له أسماءَ جميع المفديِّين، في الماضي، والحاضر، والمستقبل (الرؤيا ١٣: ٨).

إنَّ أقانيم اللاهوت يرتبطون بعضهم ببعض في المحبَّة، وتلك المحبَّة كاملة في حدِّ ذاتها. وللبشر نصيب في ذلك لأنَّنا خُلقنا على صورة الله. وبالمعنى الدقيق للكلمة، الله محبَّة (يوحنَّا الأولى ٤: ٨) والمحبَّة هي الاسم الذي نطلقه على الطريقة التي يتعامل بها الله مع الآخرين. يمكننا أن نقارِب ذلك لأنَّنا نتمتَّع أيضًا بالعلائقيَّة، لكن لا يمكننا تحقيقه بالدرجة أو الاتِّساق الموجود في الله. وهذا ليس لأنَّنا مقيَّدون بطبيعتنا المحدودة، ولكن لأنَّنا سقطنا في الخطيَّة. إنَّنا نعلم هذا لأنَّ الملائكة يمكنهم أن يحبُّوا الله محبَّة كاملة (وهم يفعلون ذلك)، على الرغم من كونهم محدودين، وينطبق الشيء نفسه على القدِّيسين في السماء.

الله ككائن عقلانيٍّ

إنَّ العقلانيَّة هي صفة أخرى نتشاركها مع الله، وإن كانت بنفس درجة الاختلاف التي تنطبق على الشخصانيَّة. يشترك أقانيم الثالوث في ذهن وإرادة مشتركة، ممَّا يعني أنَّهم يتصرَّفون في وئام تامٍّ. لدينا أيضًا عقول وإرادات، لكنَّ أفكارنا ليست أفكار الله (إشعياء ٥٥: ٨). فنحن نسير في طريقنا

المنفصل ليس فقط فيما يتعلَّق بالله ولكن أيضًا فيما يتعلَّق ببعضنا البعض. هذا ليس لأنَّنا مقيَّدون بمحدوديَّتنا، ولكن لأنَّ ميولنا الخاطئة تعمينا عن الحقِّ وتؤدِّي إلى الصراع بدلاً من الانسجام. إذ تُظهِر العقول المحدودة للملائكة والقدِّيسين في السماء أنَّهم واحد مع الله، رغم أنَّهم لا يستطيعون معرفة أعماق عقله. ستكون أفكارنا دائمًا أدنى من أفكاره، ولكن إذا كانت علاقتنا مع الله صحيحة، فيمكننا حينئذٍ التواصل مع عقله وإتمام مشيئته على الرغم من أنَّنا لا نستطيع أبدًا تشارُك عقله وإرادته بالطريقة نفسها التي يتشارك بها الأشخاص الإلهيُّون.

يتَّضح بما فيه الكفاية من الكتاب المقدَّس أنَّ الله له عقل وإرادة. يمثِّل المزمور ١٩ ترنيمةَ تسبيح لله في مجده، مَن بعقله المحيط بكلِّ شيء خلقَ الكونَ وأقامه وفقًا لقوانينه ومبادئه. كان إرسال الابن إلى العالم نتيجةً لخطَّة الله، وفي كلِّ مرحلة كان يسوع يذكِّر تلاميذه، وأيَّ شخص آخر يسمع، أنَّه جاء ليصنع إرادة الآب الذي أرسله. وفي وقت آلام جثسيماني، أخضع يسوع إرادته البشريَّة لإرادته الإلهيَّة. فكإنسان، لم يكن يريد أن يموت، ولكن بصفته ابن الله، عرف أنَّه من أجل هذا الغرض قد جاء إلى العالم، ولم يستطِع أن يفعل غير ذلك (متَّى ٢٦: ٣٩). إنَّ عقل الله وإرادته مختلفان من الناحية المفاهيميَّة، ولكن لأنَّ الله بسيط وأزليٌّ، فإنَّهما متَّحدان في الممارسة. إذ من الصعب أن ترى كيف يمكن لله أن يفكِّر في شيء ما دون أن يفعله؛ فالفجوة الزمنيَّة بين هذين الأمرين غير موجودة فيه. يركِّز الكتاب المقدَّس بشكل رئيسيٍّ على إرادة الله، لأنَّ إرادته

هـي عمـل عقلـه الـذي نـراه فـي كلِّ مـكان حولنـا، إنَّهـا الإعـلان الزمنـيُّ لمـا هـو مخفـيٌّ فيـه أزلاً.

إنَّ عقـل الله وإرادتـه همـا شـيء واحـد. وظيفيًّـا، همـا جـزء مـن الطبيعـة الإلهيَّـة، لكـنَّ الأشـخاص يتصرَّفـون للتعبيـر عـن وحدتهـم داخـل الثالـوث. البشـر أيضًـا لديهـم عقـول وإرادات متأصِّلـة فـي طبيعتهـم، ممَّـا يعرِّضهـم للفسـاد والهـلاك النهائـيِّ؛ ولكـن كمـا هـو الحـال مـع الله، فإنَّنـا كأشـخاص نسـتخدمهما للتعبيـر عـن أنفسـنا والتواصـل بعضنـا مـع بعـض. وحيـن نقـول إنَّنـا نسـتطيع التواصـل مـع عقـل الله وإرادتـه وفهمهمـا إلـى حـدٍّ مـا فهـذا لا يعنـي أنَّنـا نعـرف كلَّ شـيء عنهمـا، أو حتَّـى الكثيـر. فليـس الله مُلزَمًـا بإخبارنـا مـا يـدور فـي ذهنـه لمجـرَّد أنَّ لدينـا عقـولاً أيضًـا. هـذا يعنـي أنَّـه مـن الممكـن بالنسـبة لـه أن يتواصـل معنـا بشـكل هـادف وأنَّنـا نسـتطيع حقًّـا -وإن لـم يكـن بشـكل كامـل- أن نفهـم مـا يقولـه. بخـلاف ذلـك، لـن يكـون مـن الممكـن تصـوُّر إعلانـه عـن نفسـه فـي الكتـاب المقـدَّس. فعقـل الله وإرادتـه ثابتـان ولا يتغيَّـران فيـه، لكـنَّ الطريقـة التـي نفهمهمـا بهـا تختلـف اختلافًـا كبيـرًا. كان لـدى الإسـرائيليِّين القدمـاء إعـلان إلهـيٌّ، لكـنَّ فهمهـم لـه كان غيـر مكتمـل وناقصًـا فـي بعـض النواحـي. وأصبـح هـذا واضحًـا عندمـا ظهـر يسـوع وفشـل القـادة اليهـود فـي رؤيتـه بحـقِّ هويَّتـه وماهيَّتـه:

> الآبُ نَفْسُـهُ الَّـذِي أَرْسَـلَنِي يَشْـهَدُ لِـي. لَـمْ تَسْـمَعُوا صَوْتَـهُ قَـطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُـمْ هَيْئَتَـهُ، وَلَيْسَـتْ لَكُـمْ كَلِمَتُـهُ ثَابِتَـةً فِيكُـمْ، لأَنَّ الَّـذِي أَرْسَـلَهُ هُـوَ لَسْـتُمْ أَنْتُـمْ تُؤْمِنُـونَ بِـهِ. فَتِّشُـوا الْكُتُبَ

لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ. (يوحنَّا ٥: ٣٧-٤٠)

كان الإعلان الذي تلقَّاه الشعب اليهوديُّ جزئيًّا وغير كافٍ -سرٌ مخفيٌّ- وحتَّى الآن، على الرغم من الكشف عن الكثير، هناك العديد من الأشياء التي لا نعرفها عن الله (كورنثوس الأولى ١٣: ١٢؛ ١٥: ٥١). لكنَّ التواصل الهادف بين الله والبشر ممكنٌ وقد حدث بالفعل. إذ لا تكمن المشكلة في أنَّه لم يتمَّ إخبارنا بما نحتاج إلى معرفته، ولكن في أنَّنا بطيئون في فهم ما أُخبِرنا به (العبرانيِّين ٥: ١١-١٤).

هناك نقطة أخرى يجب توضيحها وهي أنَّ تواصل الله معنا هو أمر منطقيٌّ. وهو ليس من النوع الصوفيِّ أو الباطنيِّ المقصور على فئة معيَّنة. كان هناك [بين الوثنيِّين] وسطاء للوحي في العصور القديمة ادَّعوا أنَّهم يمتلكون المعرفة الإلهيَّة، ولكن كان لا بُدَّ من تفسير ما يقولونه، وغالبًا ما كان من الصعب فهم هذه التفسيرات. لكنَّ الكتاب المقدَّس قد أُعطيَ لنا من أجل مواجهة هذا النوع من الغموض والظلاميَّة. قد لا يتَّضح لنا كلُّ شيء فيه على الفور، لكنَّنا وُعِدنا أنَّه إذا اقتربنا من النصِّ في روح الصلاة وبمساعدة الروح القدس، فسوف ننقاد إلى الحقِّ الذي فيه (يوحنَّا ١٦: ١٣). ورسالته المركزيَّة واضحة تمامًا ومتاحة علانية لأيِّ شخص يريد أن يعرف ماهيَّتها. إنَّ الرابط بين عقل الله وإرادته من ناحية وعقلنا وأرادتنا من ناحية أخرى هو الذي يدعم إدراكنا لصفاته العلائقيَّة. سوف

نكتشف ما هي الآثار المترتِّبة على ذلك عندما ننظر إلى كلٍّ واحدة منها على التوالي.

صفات الله العلائقيَّة كما ندركها

إنَّ الحفاظ على ارتباطنا بعقل الله وإرادته هو ما نسمِّيه التقديس، وهي العمليَّة التي تجعل أفكارنا ومواقفنا أكثر انسجامًا مع ما يدعونا الله إليه في كلمته وما أرسل روحه القدُّوس إلى قلوبنا لينتجه بالإيمان. إذا لم نكن أشخاصًا قادرين على إقامة علاقة معه، وإذا لم يكن لدينا عقول يمكنها استقبال وفهم تواصله معنا، فإنَّ التقديس سيكون بلا معنى. لن نكون مختلفين عن الحيوانات، التي تتصرَّف وفقًا لطريقة خلقها، ولكن لا يمكن أن تكون لها علاقة شخصيَّة مع خالقها. في هذا الصدد، يتفوَّق البشر بشكل كبير على المخلوقات الماديَّة الأخرى. قد نكون متشابهين مع الشمبانزي والغوريلا من الناحية الجسديَّة البحتة، لكنَّ تشابهنا مع الله هو ما يجعلنا مختلفين جوهريًّا عنها، وهذه العلاقة تحدِّد من نحن.

هناك بالطبع جانب سلبيٌّ لكلٍّ هذا. مثلما لا يمكن للشمبانزي أن يكون له علاقة شخصيَّة مع الله، كذلك لا يمكنه أن يخطئ أو يبتعد عن الله أيضًا، لأنَّ مثل هذه المفاهيم ليس لها معنى بالنسبة للحيوانات. لكنَّ البشر، الذين خُلقوا على صورة الله ومثاله، استطاعوا بالفعل أن يبتعدوا عنه. لا جدوى من التكهُّن لماذا اختار آباؤنا الأوائل عصيان الله؛ فالحقيقة الواقعة هي أنَّهم فعلوا ذلك، وعلينا الآن أن نتعايش

مـع العواقـب. أحـد هـذه الأسـباب هـو أنَّ إدراكنـا لله قـد تغيَّـر نتيجـة السـقوط. فعلاقتنـا بـه لـم تعـد منسـجمة. لقـد انفتحـت شـروخ ضخمـة فيهـا، ممَّـا أدَّى إلـى أنَّنـا نـدرك الآن الله بطـرق لـم تكـن واضحـة مـن قبـل. إنَّـه يظهـر لنـا الآن علـى أنَّـه قـدُّوس وبـارٌّ وصالـح.

دعنـي أقـول ذلـك بطريقـة مختلفـة؛ أنـا وأنـت نحتـاج إلـى مـا يحثُّنـا علـى فعـل الصـلاح بعضنـا تجـاه بعـض، إذ أنَّـه يوجـد احتمـال حقيقـيٌّ أنَّنـا قـد لا نفعـل ذلـك. ولكـن سـيكون مـن الغريب أن نقـول إنَّـه علـى الآب أن يفعـل «الخيـر» للابـن، إذ أنَّـه لا توجـد احتماليَّـة أخـرى. هـذا ليـس مجـرَّد تلاعـب بالألفـاظ. إذ يُقـال لنـا فـي الكتـاب المقـدَّس إنَّ الآب أحـبَّ العالـم كثيـرًا لدرجـة أنَّـه أرسـل ابنـه ليمـوت مـن أجلنـا. مـن منظـور إنسـانيٍّ، لا نعتقـد عـادةً أنَّـه مـن الجيِّـد أن يضحِّـي الآبـاء بحيـاة أطفالهـم، حتَّـى لصالـح إنقـاذ الآخريـن. مـن المحتمـل أن نحاجـج بأنَّـه إذا شـعر الوالـدان أنَّهمـا يرغبـان فـي ذلـك بقـوَّة، فيجـب عليهمـا التضحيـة بنفسَـيهما مـن أجـل الآخريـن، لا بأطفالهمـا. لكنَّنـا إن اعتبرنـا أنَّ إرسـال الآب لابنـه شـكلاً مـن أشـكال «الإسـاءة للأطفـال» فهـذا سـيكون بمثابـة إسـاءة فهـم لله. فمـا يمكـن أن يكـون عمـلاً قاسـيًا بالنسـبة لنـا هـو فعـل محبَّـة ورحمـة بالنسـبة لـه؛ إنَّـه التعبيـر النهائـيُّ عـن العلاقـة الكاملـة التـي تربـط الآب بالابـن. لـم يقـع الابـن ضحيَّـة لأبٍ قـاسٍ، بـل قبـلَ المهمَّـة الموكلـة إليـه لأنَّهمـا يتشـاركان إرادةً مشـتركة. بعبـارة أخـرى، بمقتضـى نفـس الفعـل الواحـد، أرسـل الآبُ الابـنَ وجـاء الابـن ليتحمَّـل الصليـب مِـنْ أَجْـلِ السُّـرُورِ الْمَوْضُـوعِ أَمَامَـهُ

(العبرانيِّين ١٢: ٢). والسؤال عمَّا إذا كان هذا «صالحًا» أم لا هو أمر لا طائل من ورائه، لأنَّ كلَّ ما يفعله الله هو كامل، ولا يمكننا إصدار حكم أخلاقيٍّ على سلوكه.

لا يمكننا أن نمدح الله على قيامه «بالشيء الصحيح» بنفس القدر الذي لا يمكننا به إدانته لفشله في الارتقاء إلى مستوى معاييرنا. فالتفكير بأيِّ طريقة أخرى يعني اختزال الله إلى مستوانا، ممَّا يعني أنَّه من الممكن تصوُّر أنَّه يمكن أن يفعل الشرَّ، وهو أمر مستحيل. قد لا نفهم أفعاله أو قد لا تروقنا، لكنَّ المشكلة فينا وليست فيه. سيكون من المفارقات المحزنة أن تصبح صفات القداسة، والبرِّ، والصلاح، التي نربطها به بشكل طبيعيٍّ، مقاييسَ نقيس بها الله ونجده ناقصًا، ومع ذلك فإنَّ هذا ما يفعله كثير من الناس الذين يرفضون الله. لقد خلقوا صورة ذهنيَّة عن الله -صنمًا فكريًّا في الواقع- تكاد تكون مصمَّمة لتفشل، وعندما يحدث ذلك، فإنَّهم يعلنون ببساطة أنَّ الله ليس «صالحًا» بما يكفي بالنسبة لهم. بعد ذلك، يشرعون في إعادة تشكيل صورتهم عن الله، والتي لا تكون أكثر واقعيَّة من تلك التي تخلَّوا عنها، لكنَّ معظمهم (خاصَّةً في الوقت الحاضر) يستسلمون تمامًا لليأس وينقطعون عن الله تمامًا، مع أنَّهم كانوا منقطعين عنه أصلاً من قبل، ولكن صاروا هكذا أكثر الآن.

القداسة

هناك مبادئ إلهيَّة يجب أن نلتزم بها إذا أردنا أن يكون

لدينا نوع العلاقة مع الله الذي يريده لنا كأولاده. أوَّلها وأهمَّها هي القداسة. فإذا كنَّا لا نعرف ما هي ولا نملكها بطريقة ما، فلن تنجح العلاقة التي من المفترض أن نقيمها معه. هذا واضح جدًّا من الدليل الموجود بالكتاب المقدَّس. عندما أعلن الله نفسه لموسى، كانت قداسة الله هي أوَّل ما سعى الله إلى إرسائه في ذهن موسى (الخروج ٣: ٥).

في وقت لاحق، عندما دخل إشعياء الهيكل في العام الذي مات فيه الملك عُزِّيَّا، سمع النبيُّ جوقةَ السرافيم تهتف:

«قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (إشعياء ٦: ٣)

ما الذي يمكن أن يكون أكثر وضوحًا من ذلك؟ بل إنَّه قيل إنَّ هذه الآية تقدِّم دليلاً على الثالوث الأقدس باعتباره ثالوث «القدُّوسين» في وحدانيَّة القداسة الإلهيَّة![٦] لكنَّ التحقيق الدقيق سيظهر أنَّ ما يبدو واضحًا ليس واضحًا على الإطلاق. لا يمكن أن يكون هناك شكٌّ في أنَّ الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن القداسة مرتبطةً بالله، والدعوة إلى القداسة ثابتة في جميع أجزاء الكتاب المقدَّس. تقول شريعة موسى «فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»، وهي وصيَّة مكرَّرة في بطرس الأولى ١: ١٦ كأساس للحياة المسيحيَّة (اللاويِّين ١١: ٤٤).

تستقرُّ فكرة الانفصال والاختلاف عن الأشياء الأخرى في

٦ فكِّر في ترنيمة ريجنالد هِبِر Reginald Heber الشهيرة: «قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس، الله الربُّ القدير، في باكر الصباح تعلو ترانيمنا إليك؛ / قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس، رحيم وقدير، / الله في ثلاثة أقانيم، الثالوث المبارك.»

أصل مفهوم القداسة. وبقدر ما يتعلَّق الأمر بالله، فإنَّ هذا يظهر بطريقتين مختلفتين ولكن مترابطتين. الله قدُّوس من الناحيتين الميتافيزيقيَّة والأخلاقيَّة. من السهل فهم البعد الميتافيزيقيِّ (الفوقطبيعيِّ). فبصفته الخالق، يختلف الله تمامًا عن أيٍّ من مخلوقاته. وعبادة مخلوق بدلاً من الخالق هي من أسوأ الخطايا، وهي محظورة صراحة في الوصيَّة الثانية (الخروج ٢٠: ٤-٦؛ التثنية ٥: ٨-١٠). عاشت إسرائيل في عالم كانت فيه عبادة الأصنام شائعة، وكانت هناك أوقات في تاريخها كانت مهدَّدة بشكل مباشر بغزو الآلهة الزائفة. ولكن إذا كان هناك شيء واضح في العهد القديم، فهو أنَّ الله لن يتسامح مع مثل هذا السلوك، حتَّى ولو كان بنيَّة حسنة. في هذا السياق، يجب أن نفهم غيرة الله التي ترتبط ارتباطًا مباشرًا بتحريم عبادة الأصنام (الخروج ٢٠: ٥). إنَّ الله لا يغار من الآلهة الأخرى بالطريقة التي قد نغار بها من أقراننا أو زملائنا. بيت القصيد هو أنَّه ليس لديه أقران أو زملاء يشعر بالغيرة منهم. والغيرة ليست صفة من صفات كينونته، بل هي تذكير لشعبه بأنَّه يجب أن يحصل على كامل اهتمامهم وأن يكون هو الموضوع الوحيد لعبادتهم.

كان رفض الإسرائيليِّين لفرض الآلهة الأجنبيَّة أمرًا مهمًّا، لكنَّ شكلاً أكثر خبثًا من عبادة الأصنام يمكن أن يظهر من داخل الأمَّة نفسها. نجد في العهد الجديد أنَّ شيئًا كهذا حدث لشريعة موسى. تكلَّم الرسول بولس نيابةً عن الشعب اليهوديِّ كلِّه عندما أخبر الرومان أنَّ «النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ

وَعَادِلَـةٌ وَصَالِحَـةٌ.» (رومية ٧: ١٢). أخـذ الفريسـيُّون ذلـك بـكلِّ حرفيَّـة واعتقـدوا أنَّـه مـن واجبهـم حفـظ النامـوس مـن أجـل تنفيـذ إرادة الله والتشـبُّه بـه قـدر الإمـكان. ولكـن كمـا تذكِّرنـا الأناجيـل، فـإنَّ هـذه الرغبـة الجديـرة بالثنـاء قـد وقعـت بشـكل ميـؤوس منـه فـي شَـرَك الخـلاف بيـن مـا يقولـه النامـوس («الحـرف») ومـا يقصـده («الـروح»). تميـل السـلطات اليهوديَّـة إلـى اللجـوء إلـى النامـوس، والسـبب الرئيسـيُّ أنَّـه كان مـن الأسـهل بكثيـر تقريـر مـا إذا كان الشـخص يحتـرم النامـوس ظاهريًّـا عوضًـا عـن عنـاء تخميـن مـا يمكـن أن يحـدث فـي قلبـه أو قلبهـا. لكـن نتيجـة ذلـك كانـت أنَّ يسـوع، الـذي لـم يكـن فقـط الإنسـان الـذي حفـظ النامـوس بـل أيضًـا هـو الله الـذي أعطـى النامـوس لموسـى فـي الأصـل، كان يتعـرَّض للهجـوم باسـتمرار باعتبـاره مخالفًـا للنامـوس لأنَّـه أصـرَّ علـى أنَّ الـروح يجـب أن يكـون لـه الأسـبقيَّة علـى الحـرف متـى كان هنـاك تعـارض بيـن الاثنيـن. مثلمـا قـال بإيجـاز عندمـا اتُّهـم بكسـر النامـوس لصالـح تلاميـذه: «السَّـبْتُ إِنَّمَـا جُعِـلَ لأَجْـلِ الإِنْسَـانِ، لاَ الإِنْسَـانُ لأَجْـلِ السَّـبْتِ.» (مرقـس ٢: ٢٧).

كان الموقـف الـذي انتقـده يسـوع سـخيفًا، وأشـار إلـى أنَّ القـادة اليهـود أنفسـهم كانـوا غيـر متَّسـقين فـي الطريقـة التـي طبَّقـوا بهـا مبـدأ حفـظ يـوم السـبت، لأنَّهـم (كمـا كان يعلـم جيِّـدًا) لـن يتـردَّدوا فـي كسـره إذا كانـت مصالحهـم الخاصَّـة فـي خطـر (لوقـا ١٤: ٥). اتَّخـذ الرسـول بولـس خطـوة أبعـد فـي هـذا الإطـار مـن خـلال شـرح سـبب عـدم إمكانيَّـة حفـظ نامـوس موسـى بالطريقـة الواجبـة:

فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ. لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ، فَإِنِّي أُصَادِقُ النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. فَالآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذلِكَ أَنَا، بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. (رومية ٧: ١٤-١٨)

لم تكن مشكلة الناموس أنَّه كان معيبًا بل أنَّ من أُعطي لهم لم يتمكَّنوا من حفظه، لذلك فسَّروه بطرق قلَّلت من تأثيره عليهم. على سبيل المثال، بدلاً من رعاية والديهم في سنِّ الشيخوخة، كان بإمكانهم دفع ضريبة لهيكل أورشليم، التي كانت تسمَّى «قربانًا»، وإعفائهم بذلك من التزاماتهم التي يفرضها الناموس (مرقس ٧: ١١-١٣). كان الحلُّ الوحيد، كما علَّم يسوع لتلاميذه، هو إبطال الناموس واستبداله بالحياة في الروح، وكان هذا هو الفرق الأساسيَّ بين اليهوديَّة الربِّينيَّة والمسيحيَّة.

أن نكون مقدَّسين هو أن يكون لدينا عقل الله وإرادته، وأن نفكِّر مثله وأن نتصرَّف (بقدر ما نستطيع) وفق إرادته. هذه هي الصورة المعطاة لنا في العهد الجديد، حيث يقول بولس لأهل كورنثوس: «وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (كورنثوس الأولى ٢: ١٦)، ويعلِّم يسوع تلاميذه: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يوحنَّا ١٦: ١٣). بالطبع،

لا يمكننا أبدًا أن نكون مثل ربِّنا حقًّا أو تمامًا، لأنَّنا مهما عرفنا عقله وفعلنا إرادته، نظلُّ خطاة. إنَّ اختبارنا لقوَّة الله المُغيِّرة كليًّا في حياتنا هي التي تحدِّد كيفيَّة إدراكنا له، وهذا الإدراك يحدِّد كيف نفهم قداسته. القداسة ليست شيئًا جوهريًّا لكيانه ولكنَّها تعكس الطريقة التي نفهمه بها ونتعامل بها معه. إنَّه التقاءٌ للعقول من شأنه أن يُحدِث تأثيرات عمليَّة تغيِّر الحياة كليًّا، وليس صفة موضوعيَّة لها قوى سحريَّة، معجزة تجعلنا متفوِّقين على البشر الآخرين وأكثر شبهًا بالله في طبيعته الإلهيَّة. مثلما علَّم يسوع تلاميذه: «ذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا.» (لوقا ١٧: ١٠). هذا ما تعنيه القداسة الحقيقيَّة.

إذا فكَّرنا في الله كما هو في ذاته، فإنَّ كلمة «قداسة» ليس لها تطبيق واضح. لا يمكن أن تعني أيَّ شيء بمصطلحات ميتافيزيقيَّة، لأنَّه لا توجد طريقة يمكن بها للخالق أن يقع في عبادة المخلوق. كما أنَّ هذا غير منطقيٍّ من الناحية الأخلاقيَّة، لأنَّ الله لا يستطيع أن يخطئ. كيف يمكن اتِّهامه بالزنا أو السرقة؟ حذَّر بولس أهل كورنثوس من النوم مع البغايا لأنَّه في المسيح أصبح شعب الله قدِّيسين ومن المتوقَّع أن يعيشوا بهذه الطريقة، ولكن كيف يمكن تطبيق هذه النصيحة على الله (كورنثوس الأولى ٦: ١٥-٢٠)؟ بمجرَّد أن نحاول نقل وصايا الله من حياتنا إلى حياته، ندرك أنَّها لا معنى لها إن طُبِّقت عليه. لا يمكن أن يكون الله قدُّوسًا بالمعنى الذي ينطبق علينا.

تعني القداسةُ التوافقَ مع فكر الله ومشيئته. والله في ذاته هو ما هو عليه، ولا يمكنه أن يخالف ذلك، لكنَّنا في مكان مختلف تمامًا. بالنسبة لنا، فإنَّ التوافق مع مقاصده ليس أمرًا طبيعيًّا ولا ممكنًا دون تدخُّله في حياتنا. جاء الابن إلى العالم ليعيش حياة كاملة في إتمام الناموس، وكذا دفع ثمن خطايانا. كان يسوع قدُّوسًا في عيني أبيه. لقد تعرَّض للتجربة بقدر ما نتعرَّض نحن لها ولكنَّه لم يستسلم (متَّى ٤: ١-١١؛ العبرانيِّين ٤: ١٥). لم يتجنَّب خطايانا بل أخذها على عاتقه وقتلها بموته على الصليب (كورنثوس الثانية ٥: ٢١؛ غلاطية ٣: ١٣). لقد فعل هذا لأنَّه، على الرغم من أنَّه كإله كان بإمكانه التغلُّب على جاذبيَّة جسده البشريِّ، فإنَّه كان مطيعًا لإرادة أبيه. يُعتبَر هذا موضوعًا مستمرًّا في العهد الجديد ولخَّصه كاتب العبرانيِّين جيِّدًا:

> الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ. (العبرانيِّين ٥: ٧-٩)

كانت طاعته أكثر أهميَّة من تضحيته (ذبيحته)، وهو مبدأ له سابقة واضحة في العهد القديم (صموئيل الأوَّل ١٥: ٢٢؛ انظر أيضًا هوشع ٦: ٦). لا يمكننا أن نكون بلا خطيَّة بالطريقة التي كان بها يسوع بلا خطيَّة، ولكن يمكن أن نتعلَّم كيف نطيع، ومن خلال طاعتنا له بالإيمان نجعل القداسة حقيقة

فـي حياتنـا.

البرُّ/الاستقامة

إنَّ مـا ينطبـق علـى القداسـة ينطبـق بالتسـاوي علـى مفهـوم البـرِّ أو العـدل. لقـد تعوَّدنـا علـى التمييـز بيـن البرِّ/الاسـتقامة باعتبارهـا صفـة روحيَّـة داخليَّـة وبيـن العدالـة كأفعـال تقـوم علـى تلـك الصفـة، لكـنَّ هـذا التمييـز غير معـروف فـي الكتـاب المقدَّس. فالـروح البارَّة/المسـتقيمة تنتـج سـلوكًا بارًّا/مُسـتقيمًا؛ لا يمكـن فصـل الأمريـن. لكـن مـا هـو البـرُّ؟ هـل هـو صفـة إلهيَّـة يتـمُّ توصيلهـا إلينـا بطريقـة مـا؟ كمـا هـو الحـال مـع القداسـة، فـإنَّ الإجابـة علـى ذلـك ليسـت واضحـة تمامًـا. إنَّ الله بـارٌّ ليـس فقـط بسـبب مـا هـو عليـه فـي نفسـه ولكـن أيضًـا لأنَّـه يضـع المعيـار الـذي يُتوقَّـع منَّـا أن نعيـش بـه.

لـن تتمكَّـن العقـول البشـريَّة، بمفاهيمهـا الخاصَّـة عـن الصـواب والخطـأ، مـن التعمُّـق فـي أعمـاق دينونـة الله. إنَّ عقولنـا محـدودة وتصوُّراتنـا نسـبيَّة. تذكِّرنـا قصَّـة عيسـو ويعقـوب ابنَـي إسـحاق بهـذا. سـرق يعقـوب بكوريَّـة أخيـه بخـداعٍ وقسـوة تجـاه عيسـو الجائـع (التكويـن ٢٥: ٢٩-٣٤؛ ٢٧: ١-٣٨). صحيـحٌ أنَّ عيسـو بـاع بكوريَّتـه، وهـو مـا كان يجـب ألاَّ يفعلـه، لكـن فـي ظـلِّ هـذه الظـروف يصعـب إدانتـه بشـدَّة علـى ذلـك. فوفقًـا لأيِّ معيـار عـاديٍّ للدينونـة البشـريَّة، عومـل عيسـو معاملـة سـيِّئة، ولـم يكـن يجـب السـماح ليعقـوب أبـدًا بـأن يفلـت مـن عواقـب سـلوكه. ومـع ذلـك، مـاذا يقـول الكتـاب المقـدَّس؟ «أَلَيْـسَ عِيسُـو أَخًـا لِيَعْقُـوبَ،

يَقُـولُ الـرَّبُّ، وَأَحْبَبْـتُ يَعْقُـوبَ» (ملاخـي ١: ٢-٣). أوضـح الرسـول بولـس أنَّ هـذا كان أكثـر مـن مجـرَّد مسـألةِ تفضيـل يهـوذا علـى أدوم (نسـل عيسـو)، وهـو مـا قـد يوحـي بـه النـصُّ الأصلـيُّ، إذ اقتبـس ذلـك فـي إطـار خطابـه بعيـد المـدى عـن الاختيـار الإلهـيِّ (رومية ٩: ١٣). كان بولـس يـدرك جيِّـدًا أنَّ اختيـار الله كان غيـر عـادل مـن منظـور الإنسـان (السـاقط)، لكـنَّ بـرَّ الله وعدلـه ليسـا بالضـرورة مـا نتوقَّعـه.

لا يحـقُّ لنـا أن ندعـو الله ظالمًـا لمجـرَّد أنَّنـا لا نحـبُّ مـا فعلـه أو لا نفهمـه. إذ أنَّ عقلـه وإرادتـه همـا مـا يحـدِّد المعيـار الـذي تُقـاس بـه العدالـة، وكلُّنـا نقصـر عـن ذلـك بطريقـة أو بأخـرى. لا يحـقُّ لأحـد أن يفتئـت علـى رحمـة الله، والذيـن يعتقـدون أنَّهـم يسـتطيعون فعـل ذلـك هـم أشـدُّ المذنبيـن. هـذا هـو السـياق الـذي يجـب أن نضـع فيـه غضـب الله، وهـو مفهـوم أسـيء فهمـه كثيـرًا ويحتـاج إلـى إعـادة تأسيسـه بشـكل مناسـب. إنَّ الغضـب هـو تعبيـر عـن بـرِّه، كمـا أوضـح بولـس فـي رومية ٩: ١٩-٢٤. فعصيـان إرادة الله لـه ثمـن، وهـذا الثمـن هـو الهـلاك. إنَّ هـذا ليـس نتيجـةً لبعـض القبـح الإلهـيِّ الداخلـيِّ ولكنَّـه التطبيـق الحتمـيُّ لعدلـه علـى المخلوقـات التـي اسـتفزَّته واسـتجلبت هلاكهـا بنفسـها.

يمكـن تفسـير عبـارة «بـرُّ الله» بطـرق مختلفـة. يعتقـد البعـض أنَّ هـذا يعنـي أنَّ الله بـارٌّ فـي نفسـه وأنَّ بـرَّه الفطـريَّ يتـمُّ نقلـه بطريقـة مـا إلـى المؤمنيـن، بحيـث يشـاركون فيـه. يقـول آخـرون إنَّـه يشـير فـي المقـام الأوَّل إلـى نشـاط إلهـيٍّ، يتصـرَّف باسـتقامة، وهـو مـا يعنـي عمليًّـا أنَّ الله أميـن لوعـوده فـي العهـد.

مثل القداسة، يمثِّل برُّ الله معيارًا يُكشَف عنه في سياق علاقته بنا. وامتلاكنا لتلك الصفة، أو بحسب صياغة كورنثوس الثانية ٥: ٢١، أن نصبح برَّ الله في المسيح، فهذا يعني أن نكون متَّفقين مع عقله وإرادته في كلِّ ما نقوم به. إنَّه يختلف عن القداسة بمعنى أنَّه بينما تؤكِّد القداسة انفصالنا عن العالم، فإنَّ البرَّ يركِّز على مشاركتنا فيه. إنَّنا نقف بعيدًا عن العالم الخاطئ لكي نكون قادرين على التصرُّف بفاعليَّة داخله؛ فقداستنا هي أساس برِّنا، وهو أمر ممكن فقط لأنَّنا مقدَّسون **فيه.**

من الممكن أن يُحلَّ الكثير من سوء الفهم الذي أحاط بهذا الأمر إذا فكَّرنا في مفهوم الطاعة. أظهر يسوع المسيح برَّ الله لأنَّه كان مطيعًا تمامًا لمشيئة أبيه في كلِّ ما فعله. إنَّ محاكاتنا لتلك الطاعة، الأمر الذي أصبح ممكنًا بفضل وجود الروح القدس الساكن فينا، هو ما يجعلنا أبرارًا في عيني الله (كورنثوس الأولى ١١: ١). هذه ليست صفة إلهيَّة يتمُّ توصيلها إلينا، بل هي إرادة إلهيَّة يؤمرنا بها ويمنحنا القوَّة لتحقيقها.

الصلاح

هل الله صالح؟ سيقول معظم المسيحيِّين بشكل عفويٍّ: نعم إنَّه كذلك (المزامير ٣٤: ٨؛ ١٠٠: ٥). إنَّه بالتأكيد ليس سيِّئًا أو شرِّيرًا. لكن كما هو الحال مع القداسة والبرِّ، هناك صعوبات هنا لا تظهر على الفور. بادئ ذي بدء، هناك نوعان من «الصلاح»، وكلاهما يرِد في الكتاب المقدَّس؛ أحدهما مادِّيٌّ

والآخر أخلاقيٌّ. في تكوين ١، توقَّف الله في نهاية كلِّ يوم، وقام بفحص ما فعله، ورأى أنَّه «حسن (صالح) [جدًّا]» (الآيات ٤، ١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٥، ٣١). يتَّضح من السياق أنَّ الصلاح الذي تكلَّم عنه هنا هو من النوع الماديِّ أو البنيويِّ. وما قصده الراوي هو أنَّ الله كان سعيدًا بالخليقة التي صنعها، وليس أنَّ العناصر التي خصَّها بالذكر كانت صالحة أخلاقيًّا بالمعنى المضاد للشرِّ. من الواضح أنَّ الله صالح بهذا المعنى، لكنَّ كماله يفوق فهمنا، لأنَّ طبيعته مختلفة تمامًا عن طبيعتنا، وليس لدينا طريقة لقياسها. إذا كان أدنى من الكمال، فكيف لنا أن نعرف؟

البعد الأخلاقيُّ للصلاح أكثر صلة مباشرة بشواغلنا. يعتقد المسيحيُّون بطبيعة الحال أنَّ الله صالح أخلاقيًّا، تمامًا كما هو كامل ومثاليٌّ في كيانه، لكن ماذا يعني ذلك؟ لا يقدر الله أن يخطئ، لأنَّ الخطيَّة عصيان لمشيئته، وهو لا يستطيع أن يعصي نفسه. وحتَّى لو اختار أن يفعل شيئًا محظورًا علينا، مثل قتل الناس، فهو لا يزال صالحًا لأنَّه يتصرَّف وفقًا لإرادته. قد يبدو هذا القول وكأنَّه حجَّة مجرَّدة، لكنَّه ليس كذلك. في الأيام الأولى للمسيحيَّة، باع زوجان يُدعيان حنانيا وسفيرة ممتلكاتهما وتعهَّدا على ما يبدو بالتبرُّع بالحصيلة للكنيسة، لكنَّهما احتفظا ببعض المال لأنفسهما. أدرك الرسل ذلك وواجهوهما، ممَّا أدَّى إلى موتهما (أعمال الرسل ٥: ١-١٠). كان من الخطأ أن يقوم بطرس وزملاؤه بقتلهما، ولو فعلوا ذلك، لربَّما وبَّخهم الله على ذلك. لكنَّ الله استطاع أن يفعل ذلك بنفسه، وقد فعل ذلك ليوضِّح للمسيحيِّين الأوائل أنَّ خداعه لم يكن خيارًا

متاحًا. فيما بعد، أوضح بولس النقطة نفسها عندما قال لأهل رومية ألاَّ يسعوا للانتقام، لأنَّه كما يقول العهد القديم، هذا من صلاحيَّات الله الخاصَّة (رومية ٥: ١٩، نقلاً عن التثنية ٣٢: ٣٥). قد يفعل الله ما لا يجوز لنا فعله، لذا فإنَّ ما قد يكون شرِّيرًا إذا فعلناه يكون صلاحًا عندما يفعله هو.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنَّ يسوع لم يرغب في أن يدعوه الناس بأنَّه «صالح». عندما اقترب منه الشابُّ الغنيُّ، حاول الشابُّ أن يتملَّق يسوع من خلال مخاطبته بأنَّه «معلِّم صالح». لكن يسوع رفض، وأجاب: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ» (مرقس ١٠: ١٨). عندما سجَّل متَّى القصَّة، تجاهل تلك المناداة المتملِّقة وركَّز بدلاً من ذلك على العمل الصالح الذي كان ضروريًّا للحصول على الحياة الأبديَّة، لكنَّ إجابة يسوع كانت هي نفسها في الأساس: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ» (متَّى ١٩: ١٧). كان الجواب على سؤال الشابِّ هي أنَّه يجب أن يحفظ الوصايا، وهو أمر اعتقد بسذاجة أنَّه كان يقوم به بالفعل. كان على يسوع أن يوضِّح له أنَّ إنجازه لم يكن كما كان يعتقد، وعندما فهم الشابُّ ذلك، ذهب بعيدًا محبطًا.

لماذا لم يُرِد يسوع أن يُدعى صالحًا؟ الإجابة الأكثر ترجيحًا هي أنَّه لا يريد أن يكون نموذجًا يحتذى به للشابِّ. في ظلِّ وجهة نظر الشابِّ الحرفيَّة إلى حدٍّ ما للوصايا، فربَّما يحاول تقليد يسوع على أمل الاقتراب من الله. لكنَّ ليس هذا ما أراده يسوع للشابِّ أن يفعله، ولم يكن من الصواب أن يفسِّر الصلاح

بهـذه الطريقـة. فمـا كان صالحًـا ليسـوع لـم يكـن صالحًـا للشـابِّ لأنَّ دعوتيهمـا كانتـا مختلفتيـن. كمـا أوضـح لـه يسـوع، لا يمكن فهم الصـلاح إلاَّ بالرجـوع إلـى الله، ممَّـا يعنـي أنَّـه يجـب أن يتوافـق مـع فكـره ومشـيئته. مـن المفتـرض أن نفكِّـر فـي الخيـر علـى أنَّـه مـا يريدنـا الله أن نفعلـه، وليـس مـا يفعلـه بنفسـه ولكـن لا يقصـد منَّـا أن نكـرِّره. علـى سـبيل المثـال، يمكـن لله أن يدمِّـر سـدوم وعمـورة بسـبب زناهمـا، لكـنَّ هـذا ليـس ترخيصًـا لنـا لتنفيـذ القانـون بأيدينـا ومهاجمـة الأماكـن أو الأشـخاص الذيـن نعتقـد أنَّهـم سـيِّئون بنفـس القـدر (التكويـن ١٩: ٢٣-٢٩).

يقـاسُ صـلاح فعـلٍ مـا بمـدى توافقـه مـع إرادة الله. يؤكِّـد لنـا الكتـاب المقـدَّس أنَّ الله صالـح لمـن يحبُّونـه ويفعلـون مشـيئته. هنـاك بالتأكيـد مشـكلات تتعلَّـق بهـذا، نظـرًا لأنَّ العديـد مـن الأشـخاص فـي هـذه الفئـة يعانـون أيضًـا بـدون سـبب واضـح، ولكـنَّ الصـورة العامَّـة هـي أنَّ الله يعمـل فـي حياتنـا للأفضـل. مثلمـا قـال بولـس لأهـل رومية: «وَنَحْـنُ نَعْلَـمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْـيَاءِ تَعْمَـلُ مَعًـا لِلْخَيْـرِ لِلَّذِيـنَ يُحِبُّـونَ اللهَ» (رومية ٨: ٢٨).

فـي ضـوء ذلـك، كيـف يمكـن أن يجلـس الله ويسـمح بإبـادة الملاييـن فـي معسـكرات الاعتقـال لا لسـبب سـوى أنَّهـم ينتمـون إلـى أمَّـة إسـرائيل؟ وعلـى مسـتوى أكثـر دنيويَّـة، لمـاذا يضطـرُّ الأتقيـاء أحيانًـا إلـى تحمُّـل أمـراض مزمنـة لا عـلاج لهـا؟ لمـاذا يُقتـل الأبريـاء مـن الرجـال والنسـاء بسـبب الأوبئـة العالميَّـة أو الحـروب التـي مـن صنـع الإنسـان أو الحـوادث الغريبـة؟ هـذه الأسـئلة ليسـت جديـدة. كان علـى يسـوع أن يواجههـا عندمـا اقتـرب منـه

المتسائلون عن حادث وقع مؤخَّرًا في أورشليم، حيث مزج بيلاطس البنطيُّ دماء بعض الجليليِّين بذبائحهم. ليس من الواضح ما حدث بالفعل، ولكن يبدو من المرجَّح أنَّ بيلاطس قتل أشخاصًا أبرياء لسبب ما بينما كانوا يقدِّمون الذبائح لله. أجاب يسوع:

> أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟ كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ». (لوقا ١٣: ٢-٥)

لاحظ، أوَّلاً، أنَّ ضحايا هذه الأحداث لم يتمَّ انتقاؤهم بسبب خطيَّة ما ارتكبوها. ففي هذا الصدد، لم يكونوا أفضل أو أسوأ من أيِّ شخص آخر. ثانيًا، لا يوجد حقٌّ منحه الله اسمه «حقُّ الحياة والحريَّة والسعي وراء السعادة». الحقيقة هي أنَّ كلَّ شخص أخطأ ويستحقُّ الموت. رسالة الإنجيل هي أنَّ الله قد تدخَّل لمنع ذلك، وبواسطة معجزة نعمته قدَّم لنا الخلاص من خلال آلام وموت ابنه. إنَّ الحياة الأبديَّة ليست استحقاقًا، كما يعتقد الكثير من الناس اليوم، ولكنَّها هديَّة غير مستحقَّة. ثالثًا، كلُّ الناس في كلِّ مكان مدعوُّون للتوبة والإيمان بالمسيح. سيأتي الموت الجسديُّ إلينا جميعًا، ومن نحن لنقرِّر ما ستكون نهايتنا الأرضيَّة؟ هل الأفضل الموت في حادث تحطُّم طائرة

أم البقاء لسنوات في جناح المستشفى على أجهزة الإنعاش؟ أيٌّ من هذه الخيارات ستختار، إذا كنت قادرًا على القيام بذلك؟ في النهاية، لا يهمُّ ذلك كثيرًا في كلتا الحالتين. فكلُّنا متَّجهون نحو الخروج من هذه الحياة، ومن الخطأ الشكوى من الظلم عند وصول أحدهم إلى هناك أسرع من الآخر. بالنسبة للمسيحيِّ، ما يكمن وراء ذلك هو المهمُّ. كما قال بولس: «ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ» (تسالونيكي الأولى ٤: ١٣). سيتحقَّق صلاح الله تجاهنا في النهاية في الحياة الآتية، لا هذه الحياة، وهو الذي يعدُّنا الآن لتلك الحياة.

٤

علاقة صفات الله بنا اليوم

هـل صفـات الله مهمَّـة بالنسـبة للمسـيحيِّين اليـوم؟ معظمنـا يعتبرهـا أمـرًا مفروغًـا منـه ونـادرًا مـا يفكِّـر فيها على وجـه التحديد. هـل يناقـش أحـد بجديَّـة السـببَ وراء أهميَّـة احتجـاب الله؟ قـد يجـادل اللاهوتيُّـون حـول أشـياء مثـل الأبديَّـة وعـدم القابليَّـة للتألُّـم، لكـنَّ معظـم النـاس لا يفعلـون ذلـك. إنَّهـم يفترضـون أنَّ الله أزلـيٌّ وأنَّـه يهتـمُّ لأمرنـا، لكنَّهـم لا يتسـاءلون مـا إذا كان هـو نفسـه يعانـي. تظهـر الصفـات الإلهيَّـة وكأنَّهـا تجريديَّـة، وبالتالـي مـن الأفضـل تركهـا للمتخصِّصيـن الذيـن يتمتَّعـون بحريَّـة التطـارُح حولهـا فـي كليَّـات اللاهـوت والدوريَّـات الأكاديميَّـة، دون أيِّ تأثيـر علـى الحيـاة اليوميَّـة.

قد يكون هذا الموقف منتشرًا، لكنَّه غير مسؤول وخطير. ربَّما يكون من الصعب فهم صفات الله، لكنَّها مهمَّة جدًّا لعلاقتنا به. إنَّنا نعيش في ثقافة يتمُّ فيها، على الأقلِّ، تهميش أيِّ شيء «روحيٍّ» أو متسامٍ أو ميتافيزيقيٍّ، هذا إن لم يتمَّ إنكاره تمامًا. إنَّ عالمنا هو عالم ماديٌّ، إذ يمكن قياس كلِّ فكرة وعمل بمصطلحات محدودة بل وحتَّى مُبرمجة، وذلك بفضل أعاجيب التكنولوجيا الحديثة. لدينا انطباع بأنَّ السعادة الوحيدة التي يمكن أن نجدها هي السعادة التي نصنعها لأنفسنا، لا من خلال النظر إلى ما وراء هذا الكون، بل من خلال توسيعه إلى أقصى حدٍّ واستغلال إمكاناته. والافتراض هو أنَّنا إذا فعلنا ذلك، فسنحلُّ تلك المشكلات التي لا تزال تعصف بالحياة البشريَّة ونتقدَّم نحو النعيم.

في إطار رؤية كهذه، لا يوجد مكان منطقيٌّ لله، والنظرة الدينيَّة للحياة مستبعدةٌ إمَّا صراحةً أو ببساطة عن طريق تجاهلها وإنزالها إلى مستوى الرأي الخاصِّ. لا يمكن لأيِّ مسيحيٍّ أن يقبل مثل هذه النظرة. فبالنسبة لنا، العالم المحدود هو خليقة الله الأبديِّ اللانهائيِّ الذي يسمو فوقها ويتجاوزها. لقد صنعنا بالشكل الذي نحن عليه، وهو يحكمنا بقوَّته القديرة، وفي يوم من الأيام سيأتي بكلِّ الأشياء إلى نهايتها. ستكون هناك سماء جديدة وأرض جديدة، لا تزالان محدودتين بالمعنى المخلوق ولكنَّهما لن تعودا مقيَّدتين بحدود الزمن أو خاضعتين لإتلاف البشر الخطاة (الرؤيا ٢١: ١-٨). لن يتحقَّق هذا التحوُّل من خلال بعض التطوُّر الداخليِّ للنظام الماديِّ القائم، ولا

عـن طريـق البراعـة البشـريَّة، ولكـن مـن خـلال التدخُّـل المباشـر مـن الله الـذي يتجـاوز كلَّ ذلـك. إنَّ صفـات الله تشـهد علـى ذلـك التسـامي، ولأنَّنـا نؤمـن بـه فيمكننـا أن نأخـذ العالـم علـى حقيقتـه. إنَّنـا مخلوقـات ماديَّـة مصمَّمـة للعيـش فـي النظـام المحـدود الحالـيِّ، لكـن لدينـا علاقـة مـع الله الـذي خلقهـا والـذي يمنحنـا القـدرة علـى الارتقـاء فوقهـا فـي حياتنـا الروحيَّـة وخبرتنـا.

دعونـا نلقـي نظـرة علـى الكيفيَّـة التـي يتجلَّـى بهـا هـذا فـي الواقـع. لأنَّ الله غيـر محـدود وغيـر مرئـيٍّ، لـذا مـن المنطقـيِّ أن يكـون كلـيَّ الوجـود، ولأنَّـه موجـود فـي كلِّ مـكان، لـذا يمكننـا الوصـول إليـه بسـهولة فـي جميـع الأوقـات. لـن تكـون علاقتنـا مـع الله ممكنـة إذا كان مقيَّـدًا بالزمـان والمـكان؛ إذ سـيتعيَّن علينـا الذهـاب إليـه (وربَّمـا يُطلَـب منَّـا الالتـزام بـ «سـاعات العمـل») للتحـدُّث معـه، ولـن تكـون مسـاعدته متاحـة لنـا بسـهولة. كان هـذا هـو الحـال مـع الآلهـة الوثنيَّـة فـي العصـور القديمـة، كمـا نـرى مـن قصَّـة إيليَّـا وأنبيـاء البعـل (ملـوك الأوَّل ١٨: ٢٠-٤٠). عبَـدَ إيليَّـا إلهًـا حاضـرًا علـى الـدوام ومسـتعدًّا للعمـل بقـوَّة، بينمـا كان البعـل فـي الواقـع «نائمًـا أثنـاء القيـادة»؛ غيـر موثـوق بـه وغيـر متـاح حيـن كان هنـاك احتيـاج إليـه. مـن ناحيـة أخـرى، يعـرف المسـيحيُّون أنَّ الله حاضـر دائمًـا معنـا، وأنَّـه يمكننـا دعوتـه أينمـا كنَّـا ومتـى أردنـا، لا سـيَّما فـي ضـوء شـخص وعمـل الـربِّ يسـوع المسـيح، الله معنـا. لا شـيء فـي السـماء أو الأرض يمكـن أن يفصلنـا عـن محبَّـة الله، لأنَّـه حاضـر دائمًـا معنـا بقـوَّة (رومية ٨: ٣٨-٣٩).

لقـد علَّمتنـا النقاشـات الأخيـرة حـول عـدم قابليَّـة الله للتألُّـم

أهميَّـة فهـم صفـات الله بشـكل صحيـح. ينصـبُّ التركيـز الحديـث علـى كـون الله يشـاركنا الألـم، ولهـذا السـبب تعرَّضـت العقيـدة التقليديَّـة لتنزيهـه عـن التألُّـم للهجـوم على أسـاس أنَّ تنزيهـه عـن التألُّـم يجعلـه بعيـدًا بـل وجامـدًا وآليًّـا فـي علاقتـه معنـا. لكـنَّ محبَّـة الله لنـا لا تتجلَّـى فـي «مشـاركة آلامنـا»؛ بـل بالأحـرى تُـرى فـي الطريقـة الرحيمـة التـي يقابلنـا بهـا فـي آلامنـا ويخلِّصنـا منهـا فـي المسـيح. علَّـم يسـوع تلاميـذه أن يضعـوا الشـفاء الروحـيَّ قبـل نظيـره الجسـديِّ مـن حيـث الأهميَّـة، ويجـب أن نتبعـه فـي هـذا (متَّـى ١٠: ٢٨). إذا كانـت حالتنـا الروحيَّـة صحيحـة، فسـنتحمَّل آلامنـا الجسـديَّة، مدركيـن ليـس فقـط أنَّنـا سـنختبر المعانـاة فـي هـذا العالـم ولكـن أيضًـا أنَّـه هـو تغلَّـب علـى ذلـك (يوحنَّـا ١٦: ٣٣). وهـو لـن يتخلَّـى عنَّـا فـي حاجتِنـا بقـدر مـا أنَّـه لـن يتخلَّـى عـن بقيَّـة خليقتـه؛ ففـي قوَّتـه اللامحـدودة هـو قـادر على القيـام بما لا يُقـاس أكثـر ممَّـا يمكننـا أن نطلـب أو نفتكـر (متَّـى ٦: ٢٥-٣٣؛ لوقـا ١٢: ٢٢-٣٢؛ أفسـس ٣: ٢٠).

إنَّ التمييـز المهـمَّ للغايـة بيـن صفـات الله الجوهريَّـة وصفاتـه العلائقيَّـة هـو المفتـاح لفهـم كيـف يمكـن لله أن يفهـم معاناتنـا وفـي الوقـت نفسـه يكـون قـادرًا على إنقاذنـا منهـا. إنَّ سـرمديَّة الله وعـدم قابليَّتـه للتغيُّـر همـا أمـران ضروريَّـان بالنسـبة لنـا مـن أجـل يقيـن خلاصنـا. فـإذا كان الله قـادرًا على تغييـر رأيـه، فلـن يكـون هنـاك مـا يضمـن الوفـاء بوعـوده لنـا، ولـن نتمكَّـن مـن الوثـوق بـه. «يَسُـوعُ الْمَسِـيحُ هُـوَ هُـوَ أَمْسًـا وَالْيَـوْمَ وَإِلَـى الأَبَـدِ.» (العبرانيِّيـن ١٣: ٨). عـرف كاتـب العبرانيِّيـن مـدى أهميَّـة قـول ذلـك، لأنَّ ذبيحـة

المسيح الكفَّاريَّة قُدِّمت مرَّة واحدة على الصليب. وهي سارية أبديًّا لأنَّها عمل الله الابن، الذي قبله وأقرَّه الآب، الذي أقامه من بين الأموات. من السهل على البشر أن يقعوا في الخطيَّة، وأن يشكُّوا في قدرة الله على تحقيق الخلاص، وأن يتساءلوا عمَّا إذا كان بإمكانه أن يغفر لنا الأشياء التي فعلناها عن قصد للإساءة إليه وإنكاره. لكن بينما نمضي نحن صعودًا وهبوطًا، ونتغيَّر باستمرار مع تغيُّر مزاجنا، فإنَّ الله يظلُّ الله كما هو؛ وما وعد به سيحقِّقه، لأنَّه سرمديٌّ ومنزَّه عن التغيُّر. إنَّها رسالة رجاء لمن يعانون من اليأس، وتأكيد أنَّه مهما ابتعدنا عن حظيرة الغنم، فإنَّ الراعي الصالح لن يتركنا نفلت من يده أبدًا.

يجب أن تكون قوَّة الله أيضًا غير محدودة، لأنَّه إذا كانت هناك عقبات لا يستطيع التغلُّب عليها، فإنَّ خلاصنا سيكون غير مأمون. ماذا سيحدث إذا واجهنا تحدِّيًا أكبر من أن يتحمَّله الله؟ هل سنهلك لأنَّنا واجهنا قوَّة أقوى من الله؟ لا يمكن لأيِّ مسيحيٍّ أن يصدِّق ذلك. إنَّنا «يعْظُمُ انْتِصَارُنَا» بسبب حضور الله المحبِّ في حياتنا، وسفر الرؤيا بأكمله هو ترنيمة تسبيح لانتصار الحمل الذي ذُبِح والذي يملك الآن في المجد. هو الكائن، والذي كان، والذي سيأتي؛ الله القدير (رومية ٨: ٣٧؛ الرؤيا ١: ٨). وبالتالي، فإنَّ تلك الأفكار التجريديَّة التي تظهر على الورق عندما نناقش صفات الله تتحوَّل في الواقع إلى مبادئ أساسيَّة تدعم اختبارنا لقدرته على تحقيق الخلاص في حياتنا.

ومـا ينطبـق علـى صفـات الله الأساسـيَّة ينطبـق أيضًـا علـى صفاتـه العلائقيَّـة، والتـي غالبًـا مـا تبـدو أكثـر صلـة بنـا مباشـرة. لا يتوقَّـع الله منَّـا أن نكـون محتجبيـن أو سـرمديِّين، فهـو أمـر مسـتحيل، لكنَّـه يريدنـا أن نكـون قدِّيسـين وأبـرارًا وصالحيـن. وكمـا أشـرت، فـإنَّ هـذه الصفـات ذات مغـزى بالنسـبة لنـا لأنَّهـا تعلِّمنـا كيـف نعيـش بطريقـة ترضيـه. أن نكـون قدِّيسـين فهـذا يعنـي الإيمـان بمشـيئة الله وفهمهـا وطاعتهـا فـي حـدود طبيعتنـا البشـريَّة. لا يُتوقَّـع منَّـا أن نصبـح شـيئًا لـم نخلـق لنكونـه، لكـن علينـا أن نتمِّـم دعوتنـا كأبنـاء لـه هنـا علـى الأرض.

إنَّ إيماننـا فـي إمكانيَّـة نجاحنـا فـي تحقيـق ذلـك هـو أمـر يعتمـد علـى كيفيَّـة فهمنـا لمـا هـو متوقَّـع منَّـا. إذا اعتقدنـا أنَّ القداسـة تعنـي أن تصبـح كائنًـا مـن نـوع مختلـف، فمـن المؤكَّـد أنَّنـا سنفشـل. كانـت هـذه هـي المشـكلة التـي كان علـى المصلحيـن البروتسـتانت مواجهتهـا. إذ علَّـم اللاهـوت الرسـميُّ فـي عصرهـم أنَّ الطبيعـة البشـريَّة يجـب أن تُسـتكمَل وتتحـوَّل مـن خـلال «تراكُـب النعمـة Superimposition of grace»، والـذي كان يُفهـم علـى أنَّـه نـوع مـن العـلاج مـن شـأنه أن يشـفي عيـوب كياننـا الجسـديِّ ويجعـل مـن الممكـن أن نكـون مثـل الله. عندمـا أعلـن مارتـن لوثـر أنَّ الإنسـان المسـيحيَّ هـو خاطـئ نـال الخـلاص بالنعمـة مـن خـلال الإيمـان، كان يعبِّـر عـن رفضـه لهـذا الفهـم مُسـتَبدِلاً بـه شـيئًا مختلفًـا تمامًـا. ليـس مـن الممكـن بالنسـبة لنـا أن نتحـوَّل جسـديًّا إلـى شـيء روحـيٍّ أو «إلهـيٍّ» أكثـر ممَّـا نحـن عليـه بالفعـل، ولكـن مـن خـلال حضـور روح الله السـاكن يمكننـا أن نعيـش بطريقـة

تتوافق مع إرادته إذ نتغيَّر كليًّا من خلال تجديد أذهاننا (رومية ١٢: ١-٢). إنَّ «نجاحنا»، إذا كان هذا هو المصطلح، يُقاس بإيماننا بالمسيح، وليس بإنجازاتنا؛ أو بعبارة لاهوتيَّة، نحن مبرَّرون في نظر الله بإيماننا وليس بأعمالنا.

هنا تتقاطع القداسة مع البرِّ. فالقداسة تصف ما نحن عليه بمنظار الله. وكأبنائه، تُبَنِّينا في عائلته، مُفرَزين عن العالم، ومُجهَّزين للعيش بطريقة ترضيه. والبرُّ يصف كيف يتجلَّى هذا في الناحية العمليَّة. إذ يُنظر إلى الله على أنَّه بارٌّ بسبب الطريقة التي يتصرَّف بها (التكوين ١٨: ٢٥). نفس الشيء ينطبق علينا. يجب أن يتوافق ما نفعله مع ما يتوقَّعه الله منَّا، لكن لا يمكننا التصرُّف إلاَّ في حدود قدرتنا المحدودة. ولهذا السبب، أكثر من أيِّ سبب آخر، لا يمكن لأيِّ عمل زمنيٍّ من جانبنا أن يكسِبنا الخلاص الأبديَّ. ليس محتوى أو جودة ما نقوم به هو ما يحسبنا كأبرار ولكن أن نضع إيماننا في محتوى ونوعيَّة من هو المسيح وما فعله.

إنَّ «الصلاح» هو المصطلح الذي يصف ما يحدث عندما يتصرَّف الشخص القدُّوس بطريقة بارَّة. لا يوجد مجال للشكِّ في هذا بشأن الله؛ فهو لا يستطيع أن يفعل غير ذلك. لكنَّ البشر صالحون فقط بقدر ما تدفعنا طاعتنا المتواضعة لإرادة الله إلى التصرُّف وفقًا لذلك. وهذا ممكن ليس بقوَّتنا ولكن فقط لأنَّ روحه القدُّوس يرشدنا ويقوِّينا، الروح الذي يسكن في قلوبنا بالإيمان. بعبارة أخرى، فإنَّ صلاحنا لا يأتي منَّا على الإطلاق، بل هو انعكاس لعمل الله فينا. لهذا السبب،

حتَّى عندما نفعل ما يريدنا الله أن نفعله، لا يزال يتعيَّن علينا الاعتراف بأنَّنا «عَبِيدٌ بَطَّالُونَ» لم نفعل أكثر ممَّا هو متوقَّع منَّا (لوقا ١٧: ١٠).

إنَّ القداسة والصلاح والبرَّ ليست صفات مجرَّدة تخصُّ الله ويتمُّ قياسها فينا بطريقة ما وفقًا لقدرتنا على قبولها. لكنَّها بدلاً من ذلك تصف جوانب مختلفة من علاقتنا به كمؤمنين. فـ«القداسة» تُخبِر عن مكانتنا كأبناء الله؛ ويخبر «البرُّ» عن طاعتنا الأمينة لوصاياه؛ و«الصلاح» يتكلَّم عن النتائج التي تنبع من التطابق بين من نحن وما نفعله. ليست كينونة الله هي ما تحدِّد هذا بل إرادته، التي أعلنها لنا الكتاب المقدَّس وطبَّقها على حياتنا بسكنى روحه.

إنَّنا نفهم علاقتنا مع الله بشكل أكثر وضوحًا عندما نرى ليس فقط وجه اختلافه عنَّا، ولكن أيضًا كيف يمكننا التواصل معه على الرغم من ذلك. لذلك، فإنَّ دراسة صفاته تضع الأساس المناسب لحياتنا معه.

ملحق

صفات الله في التقليد المسيحيِّ

الكنيسة الأولى (حتَّى ٥٠٠ م)

استمرَّ النهج الكتابيُّ لموضوع صفات الله لعدَّة قرون بعد الانتهاء من كتابة العهد الجديد، مع القليل من المحاولة للتحليل اللاهوتيِّ. قال أوريجانوس Origen (حوالي ١٨٥ - ٢٥٤) ما يلي:

> وفقًا للحقيقة الصارمة، فإنَّ الله غير مُستقصى وغير قابل للقياس. مهما كانت المعرفة التي يمكننا الحصول عليها عن الله -سواء عن طريق الإدراك أو بالتأمُّل- فإنَّنا ينبغي علينا بالضرورة أن نؤمن أنَّه أفضل بكثير وبدرجات

عديـدة ممَّـا نتصـوَّر أنَّـه عليـه.[1]

بعـد قـرن تقريبًـا، كتـب الفيلسـوف المسـيحيُّ لاكتانتيـوس Lactantius (حوالـي ٢٥٠ - ٣٢٥):

> يمكـن لأيِّ شـخص أن يشـكَّ فيمـا إذا كان أيُّ شـيء يمكـن أن يكـون صعبًـا أو مسـتحيلاً بالنسـبة لله، الـذي مـن خـلال عنايتـه المُصمَّمـة، وبقوَّتـه المُثبَّتـة، وبدينونتـه أكمـل تلـك الأعمـال العظيمـة والرائعـة، وحتَّـى الآن يدعمهـا بروحـه ويحكمهـا بقوَّتـه، كونـه غيـر مُسـتقصى ولا يوصَـف، ولا يعرفـه بالكامـل أحـدٌ إلاَّ نفسـه.[2]

تسـاءل أغسـطينوس أسـقف هيبـو Augustine of Hippo (٣٥٤ - ٤٣٠) أيضًـا عـن المفاهيـم الفلسـفيَّة للوجـود. وبعـد قـراءة كتـاب أرسـطو «المقـولات Categories»، خلـص إلـى مـا يلـي:

> بـدا لـي الكتـاب تصريحًـا شـديد الوضـوح عـن جوهـر الموجـودات، مثـل الإنسـان، ومـا بداخلـه، كشـكل الإنسـان، ومـا هـي طبيعـة مكانتـه...
>
> [لكـن] مـا هـي المسـاعدة التـي يمكـن أن يقدِّمهـا لـي الكتـاب إن كان هـو نفسـه يمثِّـل عقبـة أيضًـا؟ معتقـدًا أنَّ كلَّ الموجـودات، فـي المطلـق، تُفهَـم ضمـن المقـولات

1 Origen, *On First Principles* 1.1.5, in *Ante-Nicene Fathers*, ed. Alexander Roberts and James Donaldson, 10 vols. (Buffalo, NY: Christian Literature, 1885–1896; repr., Peabody, MA: Hendrickson, 1994), 4:243.

2 Lactantius, *The Divine Institutes* 1.8, in Roberts and Donaldson, *Ante-Nicene Fathers*, 7:18.

العشـرة، حاولـتُ أن أتخيَّلـك أنـت أيضًـا يـا إلهـي، إذ أنـت بسـيطٌ بشـكل رائـع وغيـر قابـل للتغييـر، كمـا لـو كنـت أيضًـا موجـودًا يتَّصـف بالعظمـة والجمـال. اعتقـدتُ أنَّهمـا فـي داخلـك كمـا لـو كانـا فـي مُسـنَد مـا، كمـا فـي حالـة الجسـد المـاديِّ، بينمـا قوَّتـك وجمالـك همـا أنـت نفسـك.[٣]

فـي العصـور القديمـة، كان يُنظر إلى صفـات الله على أنَّها تنتمي إلـى طبيعتـه الإلهيَّـة، وتـمَّ تجاهـل صفاتـه الشـخصيَّة (العلائقيَّـة) أو تصنيفهـا بشـكل مختلـف. توجـد أوَّل محاولـة للعـرض المنهجـيِّ لصفـات الله الطبيعيَّـة فـي قانـون الإيمـان الأثناسـيِّ Athanasian Creed. إذ يعكـس هيكلـه الخطابـيُّ أعـراف العالـم القديـم، فقـد تـمَّ تجميـع الأشـياء فـي ثـلاث مجموعـات، وعـادةً مـا يوضِّـح العنصـران الثانـي والثالـث العنصـرَ الأوَّل. يعـرِّف قانـون الإيمـان أقانيـم الله الثـلاث علـى أنَّهـم «غيـر مخلوقيـن» (*increatus*)، و«لا يُسـتَقصَون» (*immensus*) و«أبديُّـون» (*aeternus*). العنصـر الأوَّل يميِّـز الله الخالـق عـن خليقتـه، والعنصـر الثانـي والثالـث يفسِّـران معنـى ذلـك مـن حيـث المـكان والزمـان. فيمـا يتعلَّـق بالمـكان، فـإنَّ الله لا يُسـتقصى/غير مُحـوى (أي «غيـر قابـل لـلإدراك»)، وفيمـا يتعلَّـق بالزمـان فهـو سـرمديٌّ. بمعنـى آخـر، إنَّـه غيـر ملـزم بـأيِّ جانـب مـن جوانـب الترتيـب المخلـوق. بـدون الزمـان، لا يمكـن أن يتغيَّـر الله، لـذا فـإنَّ خلـوده يتضمَّـن ثباتـه. وبـدون المـكان، يكـون الله فـي كلِّ مـكان ولا يحـدُّه مـكان؛ كليُّ الوجـود لأنَّـه متسـامٍ.

3 Saint Augustine, *Confessions*, trans. and ed. Henry Chadwick (Oxford: Oxford University Press, 1991), 4.16.28–29.

نجد المرحلة التالية في مسألة تحليل صفات الله في لاهوت يوحنَّا الدمشقيِّ John of Damascus (حوالي ٦٧٥ - ٧٤٩). وكما هو الحال مع كاتب إقرار الإيمان الأثناسيِّ، تدرَّب يوحنَّا على الأساليب البلاغيَّة في عصره، لكنَّه طوَّرها بمزيد من التعقيد.[٤] على سبيل المثال، تبدأ جميع الصفات التي استخدمها لوصف طبيعة الله بالحرف نفسه: alpha، (يُنطَق آ). هذا ليس من قبيل الصدفة، لأنَّ البادئة اليونانيَّة (a آ) تفييد النفي حين تأتي قبل الاسم، وهذا مناسب لسرد سلسلة من الصفات التي تكون في الغالب إنكارًا لبعض الصفات الماديَّة أو غيرها.

لم يكتفِ يوحنَّا بسرد هذه الصفات بل نظَّمها بطريقة منهجيَّة. فتأتي أوَّلاً الصفات المتعلِّقة بالزمان، ثمَّ تلك المتعلِّقة بالمكان. بعد ذلك تأتي المفاهيم التي ترتبط بالوجود، وأخيرًا المفاهيم الخاصَّة بالطبيعة. لقول الأمر ببساطة، فإنَّ سرده للصفات يتوافق مع أسئلة متى؟ وأين؟ وماذا؟ وما نوع؟.

كذلك، قسَّم يوحنَّا الصفات المتعلِّقة بالوقت إلى الماضي والمستقبل، كما هو موضَّح في الجدول ١.

4 John of Damascus, *De fide orthodoxa* 1.8.

جدول ١:

ماضي		مستقبل	
anarchos	(بلا بداية)	*anolethros*	لا يفنى
aktistos	غير مخلوق	*athanatos*	لا يموت
agennētos	غير مولود	*aiōnios*	سرمديٌّ

كلُّ هذه المصطلحات، ما عدا المصطلح الأخير، هي عبارة عن صفات منفيَّة؛ فهي تخبر عمَّا لا يتَّصف به الله، لا ما يتَّصف به. نرى هنا الإبقاء على البنية الثلاثيَّة: فلأنَّ الله ليس له بداية فهو غير مخلوق وغير مولود، والفرق بين الصفتين الثانية والثالثة هو أنَّه لم يُصنَع من قبل شيء آخر بفعلٍ خارجيٍّ، ولم ينتسِل داخليًّا، أو «يولد»، إن جاز لنا القول. علاوةً على ذلك، يتمُّ اختيار الكلمات «المستقبليَّة» لتتناظر مع الكلمات «الماضية». فلأنَّ الله ليس له بداية، فلن تكون له نهاية؛ ولن يفنى. ولأنَّه غير مخلوق، فهو لا يموت؛ فالموت ينتمي إلى عالم الخليقة. وأخيرًا ، لأنَّه غير مولود، فهو أبديٌّ. أدرج يوحنَّا الصفات المتعلِّقة بالمكان كأربعة من حيث العدد (انظر الجدول ٢).

جدول ٢:

apeiros	لانهائيٌّ Infinite
aperigraptos	غير محوى Uncircumscribed
aperioristos	غير محدود Unbounded
apeirodynamos	(ذو قوَّة غير محدودة)

كلُّ هـذه الكلمـات هـي منفيَّـة مـن حيـث الشـكل، وكلُّهـا تحتـوي على إحسـاس بالمحدوديَّـة، معبَّـرًا عنهـا كـ *peir* أو ***peri***. والكلمـات الإنجليزيَّـة هـي ترجمـات بسـيطة للُّغـة اليونانيَّـة، ويمكـن جمـع الكلمـات الأربعـة معًـا كـ «غيـر محـدود»، وهـو مـا يقابـل «غيـر مُسـتَقصَى» فـي قانـون الإيمـان الأثناسـيِّ.

أمَّـا بالنسـبة لكينونـة الله الأساسـيَّة، فقـد عرَّفهـا يوحنَّـا كمـا هـو مبيَّـن فـي الجـدول ٣.

جدول ٣:

*haplēs**	بسيط
asynthetos	غير مركَّب
asōmatos	لاجسدانيٌّ
arrheustos	(بلا اندفاق)

*يبدو أنَّ haplēs (بسيط) هي استثناء للقاعدة الخاصَّة بابتداء كلِّ الصفات بـ alpha، لكنَّ هذا ينطبق فقط على الترجمة الصوتيَّة الحرفيَّة. تُسمَع h كصوت هوائيٍّ خشن [خ] وهي ليست حرف مميَّز في اليونانيَّة.

ثلاثـة مـن المصطلحـات الأربعـة التـي اسـتخدمها يوحنَّـا هـي منفيَّـة مـن حيـث الشـكل، باسـتثناء الصفـة الأولـى والأهـمِّ. إنَّ الله «بسـيط» بالمعنـى الكيميائـيِّ للكلمـة؛ فهـو ليـس مركَّبًـا مـن عنصريـن مختلفيـن أو أكثـر. الصفـات الأخـرى تشـرح فقـط جوانـب مختلفـة مـن هـذا الأمـر. فـالله لاجسـدانيٌّ، أو «عديـم الجسـد»، لأنَّ الجسـد سـيكون لـه حـدود ويهـدِّد بسـاطته اللانهائيَّـة. وهـو أيضًـا «بـلا اندفـاق»، وهـو مصطلـح يعنـي أنَّ الله ليـس غيـر مسـتقرٍّ.

أخيـرًا، فـي وصـف طبيعـة الله، اسـتخدم يوحنَّـا اللغـة الموضَّحـة فـي الجـدول ٤.

جدول ٤:

apathēs	غير قابل للتألُّم
atreptos	عديم التغيُّر
analloiōtos	عديم التبدُّل
aoratos	لا يُرى

هنـا نحـن علـى أرضيَّـة مألوفة. فجميـع الصفـات الأربعـة منفيَّة مـن حيـث الشـكل، وجميعهـا مـا عـدا الثالثـة مُسـتخدَمة بانتظـام اليـوم. لقـد وصـل تحليـل يوحنَّـا الدمشـقيِّ لصفـات طبيعـة الله (أو كينونتـه) إلـى مسـتوى مـن التعقيـد لـم يسـبق لـه مثيـل، ناهيك عـن تجـاوزه. وهـو يعتبـر شـاملاً بالنظـر إلـى إطـاره الخـاصِّ، وقـد حقَّـق مكانـةً معياريَّـة لا تـزال محفوظـة فـي الكنائـس الأرثوذكسـيَّة الشـرقيَّة. لكـن فـي العالـم الغربـيِّ (الناطـق باللاتينيَّـة) كان أداؤه أقـلَّ جـودة. لـم تُترجـم كتابـات يوحنَّـا إلـى اللاتينيَّـة لعـدَّة قـرون، وبحلـول الوقـت الـذي تمَّـت ترجمتـه فيـه، كان السـياق الـذي كتـب فيـه قـد اسـتُبدِل. فقـد كانـت قلَّـة مـن النـاس فـي أوروبَّـا الغربيَّـة فـي القـرن الثانـي عشـر هـم مـن يعرفـون أيَّ شـيء عـن الفلسـفة اليونانيَّـة القديمـة، وبالتأكيـد بالقـدر الـذي لا يكفيهـم لتقديـر دقَّـة أطروحـة يوحنَّـا. والأهـمُّ مـن ذلـك، كانـت اهتمامـات علمـاء اللاهـوت فـي العصـور الوسـطى الذيـن تحدَّثـوا عـن موضـوع صفـات الله مختلفـة إلـى حـدٍّ مـا عـن اهتمامـات يوحنَّـا. لقد طـوَّروا فكرهـم علـى امتـداد خطـوط أخـرى، ممَّـا أدَّى إلـى أنَّ أطروحتـه

عـن الموضـوع لـم تثبـت نفسـها باعتبارهـا معياريَّـة فـي الغـرب ولـم توفِّـر إطـارًا مفصَّـلاً لمزيـد مـن التطـوُّر اللاهوتـيِّ هنـاك.

العصور الوسطى الغربيَّة (٥٠٠ - ١٥٠٠)

تعـود أصـول علـم اللاهـوت النظامـيِّ فـي التقليـد الغربـيِّ إلـى كتـاب «العبـارات The Sentences» لبيتـر لومبـارد Peter Lombard (حوالـي ١٠٩٠ - ١١٦٠)، وهـو عمـل مكـوَّن مـن أربعـة مجلَّـدات كان مـن شـأنه أن يهيمـن علـى الدراسـة اللاهوتيَّـة حتَّـى بـزوغ الإصـلاح. بـدأ لومبـارد بشـرح العقيـدة المختصَّـة بمـن هـو الله، وتعامـل أوَّلاً مـع وحدانيَّـة الله ثـمَّ مـع الثالـوث. مثَّـل الآب هنـا وحدانيَّـة الله، وفـي نهايـة عـرض لومبـارد لشـخص الآب، خصَّـص فصـلاً للصفـات الإلهيَّـة.[٥] ومـن وجهـة نظـره، فـإنَّ صفـات الله الرئيسـيَّة هـي ثباتـه وبسـاطته. كلُّ شـيء آخـر ينبـع مـن هاتيـن الصفتيـن.

اعتمـد بيتـر بشـكل أساسـيٍّ علـى أغسـطينوس ليقـول إنَّ كيـان الله فريـد ومسـتقلٌّ عـن أيِّ شـيء آخـر.[٦] إنَّ الجوهـر الإلهـيَّ هـو نفسـه دائمًـا، لـذا فـإنَّ عـدم قابليَّـة الله للتغيُّـر تـدلُّ علـى سـرمديَّته أيضًـا.[٧] وهـذا بـدوره يعنـي أنَّـه عديـم المـوت، وهـو مـا أكَّـده بيتـر باقتبـاس مـن أغسـطينوس مـرَّة أخـرى.[٨] بالانتقـال إلـى بسـاطة الله،

5 Peter Lombard, *The Sentences,* bk. 1, *The Mystery of the Trinity*, trans. Giulio Silano (Toronto: Pontifical Institute of Mediaeval Studies, 2007–2010), 1.8.

6 Saint Augustine, *The Trinity*, trans. Edmund Hill, ed. John E. Rotelle (Brooklyn, NY: New City, 1991), 5.2.

٧ يدعِّم بيتر هذا باقتباس من:

Jerome, *Epistola 15* (to Damasus) 4, as well as Augustine.

8 Augustine, *The Trinity* 1.1; *Against Maximinus the Arian* 2.12.2.

تابـع بيتـر مـرَّة أخـرى تحليـل أغسـطينوس للأجسـاد، والتـي هـي كلُّهـا مركَّبـة مـن نـوع أو آخـر، وخلـص إلـى أنَّـه نظـرًا لأنَّ الله هـو الخالـق، فليـس لـه جسـد وبالتالـي فهـو ليـس كائنًـا مركَّبًـا. إذ تعنـي البسـاطة ضمنيًّـا عـدم القابليَّـة للتغيُّـر أيضًـا، إذ لا يوجـد مجـال لأيِّ تغييـر فـي كائـن بسـيط.[٩] اختتـم بيتـر أطروحتـه عـن البسـاطة الإلهيَّـة بمـا يلـي:

> ومـع ذلـك، يُدعـى الله بالفعـل، وبطـرق متعـدِّدة، عظيمًـا، وصالحًـا، وحكيمًـا، ومبـاركًا، وحقيقيًّـا، وأيُّ شـيء آخـر يبـدو أنَّـه لا يفيـه حقَّـه؛ لكـنَّ عظمتـه متطابقـة مـع حكمتـه (وهـو ليـس عظيمًـا فـي الحجـم والكتلـة بـل فـي القـدرة)، وصلاحه مطابـق لحكمتـه وعظمتـه، وحقيقتـه متطابقـة معهـا جميعًـا؛ وفيـه، لا ينفصـل كونـه مبـاركًا عـن كونـه عظيمًـا أو حكيمًـا أو حقيقيًّـا أو صالحًـا، أو عـن كونـه كائنًـا ببسـاطة.[١٠]

باختصـار، خلـص بيتـر إلـى أنَّ كلَّ مـا نقولـه عـن الله ينجمـع إلـى نفـس الشـيء فـي النهايـة؛ ومـع ذلـك، فـإنَّ إدراكنـا، وليـس جوهـره، هـو الـذي ينتـج مجموعـة متنوِّعـة مـن الكلمـات والمفاهيم التـي نسـتخدمها لوصفـه.

كان أعظـم خلفـاء لومبـارد هـو توما الأكوينـيُّ (١٢٢٦ - ١٢٧٤)، الـذي لا يـزال عملـه «الخلاصـة اللاهوتيَّـة Summa Theologiae»

9 Augustine, *The Trinity* 6.8.

10 Augustine, *The Trinity* 6.8.

يُقرأ ويحظى بالإعجاب على نطاق واسع.[١١] يتعامل كتابه «الخلاصة اللاهوتيَّة» مع طبيعة الله وصفاته مباشرة بعد المقدِّمة، ممَّا يوضِّح مدى أهميَّتها لتوما.[١٢] اختلف نهجه قليلاً عن نهج لومبارد بوضع البساطة الإلهيَّة أوَّلاً، ممَّا يجعل البساطة الإلهيَّة (لا عدم القابليَّة للتغيُّر) بمثابة المفتاح لفهم وجود الله.

بالنسبة للأكوينيِّ، تضمَّنت بساطة الله أربعة أشياء: الكمال، واللانهائيَّة، والثبات، والوحدة. تحت عنوان الكمال، أدرج الأكوينيُّ صلاح الله وجماله، والتي اعتبرها صفات تجعل كماله يبدو مرغوبًا لا مرهوبًا من قبل مخلوقاته، التي لا ترقى (ولا تستطيع أن ترقى) إليه. كما نتوقَّع، فإنَّ اللانهائيَّة الإلهيَّة تعني ضمنيًّا وجوده المطلق، وعدم قابليَّته للتغيُّر تشير ضمنيًّا إلى أبديَّته؛ وهذه هي العواقب المرتبطة بالمكان والزمان لكونه خالقًا لكلِّ الأشياء. أخيرًا، هناك وحدانيَّة البساطة الإلهيَّة، التي تشكِّل خلفيَّة كلِّ شيء آخر؛ أي معرفته وحياته وإرادته ومحبَّته وعدله (برَّه) ورحمته. وهي بدورها تدعم عنايته، وتعيينه المُسبَّق، وقدرته المطلقة، وسعادته المطلقة.

إنَّ رؤية توما للطبيعة الإلهيَّة شاملة ومتَّسقة. فكلُّ شيء فيه يتلازم أصلاً مع كلِّ شيء آخر، تمامًا كما ادَّعى أغسطينوس. فصلاح الله غير قابل للتغيُّر. وأبديَّته جميلة، وهكذا. الكلمات

١١ بفضل التشجيع البابويِّ في أواخر القرن التاسع عشر، استمتع عمل توما باحتفاء كنيسة روما الكاثوليكيَّة الذي استمرَّ حتَّى مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥). إنَّه أقلُّ شعبيَّة اليوم ولكن لا يزال له من يتمسَّكون به، حتَّى بين بعض البروتستانت المحافظين.

12 Thomas Aquinas, *Summa theologiae* 1.3–26.

التي نستخدمها مختلفة عنَّا من الناحية المفاهيميَّة، لكنَّها في الله متطابقة، وتندمج في بعضها البعض في ملء الكينونة الإلهيَّة. بالنسبة لتوما، فإنَّ صفات الله هي سماته الفريدة؛ فهي لا يمكن نقلها. كان لهذا آثار خطيرة على بعض الصفات التي ميَّزها في الله ولكن لم يتمَّ تصنيفها تقليديًّا على أنَّها **صفات** للألوهيَّة. «الصلاح» هو خير مثال على ذلك. وفق استخدام الأكوينيِّ للكلمة، فقد قصدها في المقام الأوَّل بالطريقة التي استخدمت بها كلمة «حسن» عن الخليقة في التكوين ١. فهي تشير إلى كمال جسديٍّ وبنيويٍّ؛ فطبيعة الله خالية من العيوب، وكيانه مناسب لغرضها، وهو لا ينهار أو تنفد منه القوَّة. لم يكن توما مهتمًّا في المقام الأوَّل بالبعد الأخلاقيِّ للصلاح، على الرغم من أنَّه لا يمكن تجاهل ذلك في النهاية. من المؤكَّد أنَّه لم يعتقد أنَّ الله خبيث أو شرِّير، وعرف أنَّ الله في العهد الجديد يُدعى صالحًا بالمعنى الأخلاقيِّ أكثر من أيِّ شيء آخر (راجع متَّى ١٩: ١٧؛ مرقس ١٠: ١٨).

لكن إذا كان الله صالحًا أخلاقيًّا، وإذا كان هذا الخير جزءًا من طبيعته الإلهيَّة، فكيف يمكن لأيِّ مخلوق أن يشترك فيه؟ إنَّنا لسنا غير مرئيِّين أو عديمي الموت، فكيف نكون صالحين؟ تتَّضح المشكلة التي قد يسبِّبها هذا الأمر بشكل أفضل من خلال صفة أخرى خصَّصها الأكوينيُّ لله، وهي عدله أو برُّه.[١٣] إذا كان الله عادلاً بطبيعته، فلا يمكن لمخلوقاته أن تكون كذلك،

١٣ إنَّنا نميِّز في اللغة الإنجليزيَّة بين العدالة كقانون خارجيٍّ والبرِّ كسمة داخليَّة، بحيث يكون ممكنًا من الناحية النظريَّة أنَّ القاضي الفاسد يحكم بعدل. في لغات أخرى، بما في ذلك العبريَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة، لا يوجد هذا التمييز.

الأمـر الـذي يسـبِّب بعـض المشـكلات إذا كنَّـا نعتقـد أنَّ العادليـن فقـط هـم مـن يمكـن أن يخلصـوا ويسـكنوا فـي حضـرة الله. كانـت الطريقـة الوحيـدة لحـلِّ هـذه المشـكلة هـي أن نقـول إنَّـه بفعـل النعمـة، يمكـن لله أن يغـرس برَّه فينـا ويجعلنـا مؤهَّليـن للخـلاص. يحـدث هـذا التحـوُّل فـي طبيعتنـا مـن خـلال خدمـة الكنيسـة، وخاصَّـةً مـن خـلال الأسـرار المقدَّسـة، إذ ينغـرس الـروح القدس في العناصـر العاديَّـة مثـل الخبـز والخمـر والمـاء ويتـمُّ توزيعهـا علـى المؤمنيـن كنـوع مـن العـلاج الروحـيِّ الـذي سيشـفيهم مـن الخطيَّـة ويحوِّلهـم إلـى نـوع أسـمى مـن الكائنـات. أولئـك الذيـن يحسـنون إدارة هـذا التغييـر فـي الطبيعـة هـم القدِّيسـون، وهـم الذيـن يضمنـون مكانًـا حـول عـرش الله. فـي غضـون ذلـك، يمكـن للخطـاة علـى الأرض أن يجاهـدوا مـن أجـل الكمـال الأخلاقـيِّ والروحـيِّ علـى أمـل تحقيـق المسـتوى المطلـوب مـن البـرِّ بأنفسـهم. يمكنهـم حتَّـى قيـاس تقدُّمهـم مـن خـلال تقييـم «نموِّهـم فـي النعمـة» وفقًـا للمعاييـر التـي وضعتهـا الكنيسـة، والتـي توجـد لمسـاعدة المؤمنيـن فـي تحقيـق هدفهـم. إنَّ الفكـرة القائلـة بـأنَّ أقانيـم الثالـوث قـد يكـون لديهـم صفـات شـخصيَّة يمكنهـم مشـاركتها مـع أشـخاص غيـر إلهيِّيـن لـم تخطـر ببـال الأكوينـيِّ أو أيِّ شـخص آخـر فـي العصـور الوسـطى. لذلـك، كان علـى الكنيسـة أن تنتظـر حتَّـى القـرن السـادس عشـر ولاهـوت الإصـلاح الجديـد.

الإصلاح وما بعده (١٥٠٠ - ١٨٠٠)

نشـأ مارتـن لوثـر Martin Luther علـى مـا كان يُعـرف آنـذاك

بالنظام اللاهوتيّ التقليديّ في العصور الوسطى، لكنَّه اكتشف من خلال التجربة أنَّ هناك شيئًا خاطئًا في الطريقة التي يقدِّم بها ذلك النظامُ اللهَ. لم يكن من المفترض فقط أنَّ الله كان يطلب من المسيحيِّين أن يصيروا شيئًا هم ليسوا عليه؛ بل بدا وكأنَّه كان يتوقَّع منهم أن يصبحوا شيئًا لا يمكن أن يكونوا عليه أبدًا، مهما حاولوا بصعوبة. كانت صفات الله التي من المفترض أن يشاركوها معه بعيدةَ المنال لأنَّ طبيعة الله وطبيعتهم كانتا متعارضتين بشكل متبادل.

لم يكتب لوثر أبدًا كتابًا في علم اللاهوت النظاميِّ، لكن صديقه ومساعده فيليب مِلانكثون Philipp Melanchthon (١٤٩٧ - ١٥٦٠) فعل ذلك، ويمكن اعتبار عمله تمثيلاً نموذجيًّا لنهج لوثر. في وقت مبكِّر من عام ١٥٢١، أنتج مِلانكثون كتابه Loci Communes Theologici (المواضِع اللاهوتيَّة العامَّة)، الذي مرَّ بالعديد من التنقيحات خلال حياته وأصبح الكتاب المقرَّر الدراسيَّ للأَهوت اللوثريِّ الباكر، ومضى قدمًا ليحلَّ محلَّ كتاب بيتر لومبارد «العبارات».[١٤] بدأ مِلانكثون بإدراج موضوعات اللاهوت التقليديَّة؛ أي الله، الوحدانيَّة، الثالوث، الخلق، الإنسان (قوَّة الإنسان)، الخطيَّة، وما إلى ذلك. ولكن بعد ذلك، وبشكل غير عاديٍّ، تغاضى عن الأربعة مواضيع الأولى وذهب مباشرةً إلى مناقشة الإنسان وحالته الروحيَّة. وكان مبرِّره في ذلك على النحو التالي:

يكتب بولس في كورنثوس الأولى ١: ٢١ أنَّ الله يريد أن

١٤ للحصول على ترجمة إنجليزيَّة للإصدار الأوَّل، انظر:
Wilhelm Pauck,M*elanchthon and Bucer* (Philadelphia: Westminster, 1969), 18–152.

يُعـرَف بطريقـة جديـدة، أي مـن خـلال جهالـة الكـرازة، لأنَّـه فـي حكمتـه لا يمكـن أن يُعـرَف بالحكمـة. لذلـك، لا يوجـد سـبب يجعلنـا نعمـل كثيـرًا علـى تلـك الموضوعـات الرفيعـة مثـل «الله» و«وحدانيَّـة الله وثالوثـه» و«سـرّ الخلـق» و«أسـلوب التجسُّـد». أسـألك، مـا الـذي أنجـزه المدرسـيُّون Scholastics خـلال العصـور العديـدة التـي كانـوا يدرسـون فيهـا هـذه النقـاط فقـط؟ أفـلا يصيـروا، كمـا يقـول بولـس، باطليـن فـي نزاعاتهـم (رومية ١: ٢١)، عابثيـن دائمًـا بشـأن المسـلَّمات والشـكليَّات والـدلالات والعديـد مـن الكلمـات الحمقـاء الأخـرى؟ كان مـن الممكـن ألاَّ يُلاحَـظ غباؤهـم إذا لـم تكـن تلـك المناقشـات الغبيَّـة قـد طمَسَـت لنـا فـي هـذه الأثنـاء إنجيـلَ المسـيح وبركاتـه.[١٥]

كان مـن المسـتحيل لهـذا الرفـض المتعجـرف للتعليـم العقيـديِّ عـن كينونـة الله أن يسـتمرَّ، وفـي وقـت باكـر مـن عـام ١٥٣٠، قـام إقـرار إيمـان أوغسـبورغ Augsburg، والـذي كان أوَّل إقـرار إيمـان بروتسـتانتيِّ، بالتراجـع عـن هـذا إلـى حـدٍّ مـا بإعـادة تأكيـد الأرثوذكسـيا الكلاسـيكيَّة. وبشـأن الصفـات الإلهيَّـة، جـاء فـي بنـده الأوَّل مـا يلـي: «هنـاك جوهـر إلهـيٌّ واحـد يُدعـى الله وهـو الله: سـرمديٌّ، غيـر مادِّيٍّ/لاجسـدانيٌّ، غيـر قابـل للتجزئـة، ذو قـوَّة لا تُحصـى، حكمـة وصـلاح، وهـو خالـق وحافـظ كلِّ الأشـياء، مـا

15 Pauck, *Melanchthon,* 21.

يُـرى ومـا لا يُـرى.»[١٦]

لا يوجـد شـيء غيـر عـاديٍّ هنـا، لكـنَّ الترتيـب مهـمٌّ. فالصفـات الثلاثـة الأولـى تتعامـل مـع الله كمـا هـو فـي ذاتـه، خـارج الزمـان والمـكان. وتغطّـي كلمـةُ «غيـر قابـل للتجزئـة» البسـاطةَ الإلهيَّـةَ وكلَّ مـا يتدفَّـق منهـا منطقيًّـا، علـى الرغـم مـن عـدم قـول ذلـك. تصـف الصفـات الثلاثـة التاليـة الصفـات التـي نراهـا فيـه عندمـا نفكّـر فـي خلقـه للعالـم والعنايـة بـه. فـالله كلـيُّ القـدرة، كلـيُّ العلـم، وصالـح، وهـي خصائـص تكمـن وراء التماسـك والنظـام الأخلاقـيِّ للكـون الـذي صنعـه. ينتقـل البنـد بعـد ذلـك لوصـف الثالـوث وتعريـف معنـى كلمـة «شـخص»: «ومـع ذلـك، هنـاك ثلاثـة أقانيم، أبديُّـون مـن نفـس الجوهـر والقـوَّة: الآب والابـن والـروح القـدس. ويُسـتخدَم المصطلـح ‹شـخص› لهـذا المعنـى الـذي اسـتخدمه كُتَّـاب الكنيسـة فـي هـذه الحالـة: للدلالـة ليـس علـى جـزءٍ أو صفـةٍ فـي الآخـر بـل إلـى ذلـك الموجـود فـي حـدِّ ذاتـه».[١٧]

سـرعان مـا أصبـح إقـرار إيمـان أوغسـبورغ حجـر الزاويـة فـي البروتسـتانتيَّة. فـي إنجلتـرا، دعـا توماس كرانمـر Thomas Cranmer (١٤٨٩ - ١٥٥٦) فـي البدايـة إلـى التبنِّـي الشـامل للبنـد الأوَّل منـه، لكنَّـه فـي النهايـة أعـاد تقليصـه إلـى مـا يشـكِّل الآن البنـد ١ مـن

16 Augsburg Confession, 1. See Robert Kolb and Timothy J. Wengert, eds., *The Book of Concord*: *The Confessions of the Evangelical Lutheran Church* (Minneapolis: Fortress, 2000), 37.

يُعدُّ هذا ترجمةً من النصِّ اللاتينيِّ الرسميِّ. هناك ترجمة ألمانيَّة موازية في صفحة ٣٦، لكنَّها مختلفة قليلاً وأقل موثوقيَّة وسلطة.

17 Augsburg Confession, 1; Kolb and Wengert, *Book of Concord*, 37.

المـواد التسـعة والثلاثيـن الخاصَّـة بكنيسـة إنجلتـرا.[١٨] يصـف ذلـك البنـد الله بأنَّـه «أبـديٌّ، بـلا جسـد أو أجـزاء أو آلام، ذو قـوَّة وحكمـة وصـلاح غيـر محـدود، صانـع وحافـظ كلِّ الأشـياء المرئيَّـة وغيـر المرئيَّـة. وفـي وحدانيَّـة هـذا اللاهـوت، هنـاك ثلاثـة أقانيـم، مـن جوهـر واحـد، ولهـم نفـس القـوَّة والسـرمديَّة».

تعكـس اللغـة بوضـوح إقـرار إيمـان أوغسـبورغ، لكـن مـع اختلافيـن طفيفيـن. أضـاف كرانمـر «الآلام» إلـى «الجسـد» و«الأجـزاء»، ويبـدو أنَّ هـذه هـي المـرَّة الأولـى التـي يُعتـرَف فيهـا صراحـةً بعـدم القابليَّـة الإلهيَّـة للتألُّـم بهـذه الطريقـة. وأضـاف أيضًـا أنَّ السـرمديَّة هـي صفـة الأشـخاص، ربَّمـا مـن أجـل تجنُّـب أيِّ اتِّهـام بالآريوسـيَّة.[١٩] تُقتبَـس عبـارة «بـدون جسـد أو أجـزاء أو آلام» علـى نطـاق واسـع اليـوم، لأسـباب ليـس أقلَّهـا أنَّهـا أُدرجـت فـي إقـرار إيمـان وستمنسـتر لعـام ١٦٤٦، كتعريـف موجـز للتعليـم العقيـديِّ التقليـديِّ عـن كينونـة الله والـذي أصبـح معروفًـا باسـم «الإيمـان الكلاسـيكيُّ بـالله Classical theism».[٢٠]

بحلـول الوقـت الـذي كتبَ فيـه جـون كالفِـن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) كتابه «أُسـس الديانة المسـيحيَّة Institutes of the Christian Religion»، كان تركيـز اللاهـوت البروتسـتانتيِّ قـد تحـوَّل بعيـدًا عـن أيِّ اهتمـام جـدِّيٍّ بالصفـات الإلهيَّـة التقليديَّـة، علـى الرغـم مـن حقيقـة أنَّ

18 Gerald L. Bray, *Documents of the English Reformation,* 2nd ed. (Cambridge: James Clarke, 2004), 185, 285.

١٩ كانت الأريوسيَّة هي الهرطقة الكلاسيكيَّة القديمة التي ادَّعت أنَّ الابن (وبالتالي الروح القدس) لم يوجدا أزلاً كإلهين.

20 Westminster Confession of Faith, 2.1, in Bray, *Documents*, 489.

كالفِـن كـرَّس أوَّل كتبـه الأربـع لمعرفـة الله الخالـق. افتـرض كالفِـن التعاريـف الكلاسـيكيَّة بشـكل أو بآخـر وطبَّقهـا فـي لاهوتـه دون فحصهـا عـن كثـب. وهكـذا، علـى سـبيل المثـال، اعتمـد علـى قـدرة الله الكلِّيَّـة وعلمـه الكلِّـيّ فـي تطويـر عقيدتـه عـن التعييـن المُسـبَّق، ولكـن كانـت هـذه العقيـدة، لا الصفـات التـي تأسَّسـت عليهـا، هـو مـا أثـار اهتمامـه أكثـر. بعـد كلٍّ مـن لوثـر ومِلانكثـون، ركَّـز كالفِـن علـى الطـرق التـي تـدرك بهـا العقـولُ البشـريَّة الصفـات الإلهيَّـة وادَّعـى أنَّ هـذه هـي الطريقـة التـي يريدنـا الله أن نفهمـه بهـا:

> فبمـا أنَّ كمـال النعمـة يكمـن فـي معرفـة الله، فقـد سُـرَّ الله، حتـى لا يُسـتثنى أحـد مـن وسـائل الحصـول علـى الفـرح، ليـس فقـط أن يضـع بـذرة الديـن فـي أذهاننـا، وهـو مـا تكلَّمنـا عنـه بالفعـل، بـل أن يظهـر كمالـه أيضًـا فـي بنيـة الكـون بأكملهـا، ويضـع نفسـه يوميًّـا فـي نطـاق رؤيتنـا، بحيـث لا يمكننـا فتـح أعيننـا دون الاضطـرار إلـى رؤيتـه. إنَّ جوهـره، فـي الواقـع، هـو غيـر مفهـوم، ويتجـاوز تمامًـا كلَّ الفكـر البشـريِّ: ولكـن فـي كلِّ عمـل مـن أعمالـه، فـإنَّ مجـده محفـور بحـروف شـديدة السـطوع، ومتميِّـزة للغايـة، ولامعـة للغايـة، بحيـث لا يمكـن لأيِّ شـخص، مهمـا كان غبيًّـا وأميًّـا، أن يحتكـم إلـى الجهـل كعـذر لـه.[٢١]

تـمَّ تعويـض تحفُّـظ كالفِـن فـي وصـف صفـات الله إلـى حـدٍّ مـا مـن خـلال عمل معاصريـه أندرياس هيبيريـوس Andreas Hyperius

21 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion,* trans. Henry Beveridge (Edinburgh: Calvin Translation Society, 1845), 1.5.1.

(١٥١١ - ١٥٦٤)، وفولفغانغ موسكولوس Wolfgang Musculus (١٤٩٧ - ١٥٦٣). في مؤلَّفه المخضرم «العقائد المُصلَحة فيما بعد الإصلاح Post-Reformation Reformed Dogmatics» يشير ريتشارد مولر Richard Muller إليهما، وعلى وجه الخصوص، إلى موسكولوس، الذي فهم أنَّ الطبيعة الإلهيَّة لا يمكن استيعابها في أيِّ شيء في الكون المخلوق. ركَّز موسكولوس على صفات الله العلائقيَّة؛ صلاحه ومحبَّته ولطفه ورحمته وكرامته وأمانته وحقَّه، ولم يكن لديه الكثير ليقوله عن الصفات الجوهريَّة.[٢٢] كان بيتر مارتير فيرميغلي Peter Martyr Vermigli (١٤٩٩ - ١٥٦٢) أكثر انسجامًا مع ميراث القرون الوسطى، وهو معاصر آخر لكالفِن تدرَّب على المدرسيَّة الأكوينيَّة. أدرك فيرميغلي صفة اللانهائيَّة، وعدم الاستقصاء، والبساطة، والقدرة المطلقة، معتقدًا أنَّ هذه الصفات قد تجلَّت في أعمال الله، والتي من خلالها نعرف أيضًا أنَّه رحيم وثابت وأمين وعادل وصالح.[٢٣] يتردَّد صدى نهج فيرميغلي في إقرارات الإيمان المُصلحة التي ظهرت قبل وفاته بفترة وجيزة. على سبيل المثال، ينصُّ إقرار الإيمان البلجيكيُّ لعام ١٥٦١ على أنَّه «يوجد كائن روحيٌّ واحد بسيط، نسمِّيه الله؛ وهو سرمديٌّ، غير

22 Richard A. Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics*: *The Rise and Development of Reformed Orthodoxy*, ca. 1520 to ca. 1725, vol. 3, *The Divine Essence and Attributes*, 2nd ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 2003), 205–12.

يعتمد الدكتور مولر على:

Andreas Gerardus Hyperius, *Mehodus theologiae*, 3 vols. (Basel: Johannes Oporinus, 1568), 1:71–91, 135–220, and Wolfgang Musculus, Loci communes (Basel: Johann Herwagen, 1560), 886–97.

نُشِرَت ترجمة إنجليزيَّة للعمل الأخير تحت عنوان:

Commonplaces of Christian Religion (London: Reginalde Wolfe, 1563).

23 Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:211–12, quoting Peter Martyr Vermigli, Loci communes 1.12.1.

مُستَقصى، غير مرئيٍّ، غير قابل للتغيُّر، لانهائيٌّ، قدير، حكيم، عادل، صالح، ينبوع كلِّ خير».[٢٤] وبالمثل، يصف إقرار الإيمان الهلفيتيُّ الثاني لعام ١٥٦٦ الله بأنَّه:

> واحد في الجوهر أو الطبيعة، قائم بذاته، مُكتفٍ في ذاته، غير مرئيٍّ، بلا جسد، غير محدود، سرمديٌّ، خالق كلِّ الأشياء المرئيَّة وغير المرئيَّة، هو الصلاح الأسمى، حيٌّ، يُجري ويحفظ كلَّ الأشياء، قدير ومتعالٍ في الحكمة، لطيف أو رحيم، عادل وحقيقيٌّ.[٢٥]

هذان الإقراران هما في الأساس متماثلان، على الرغم من أنَّ الإقرار الهلفيتيَّ الثاني يضيف أنَّ الله قائم بذاته، وهو تصريح واضح على ما يبدو، ولكن لا يبدو أنَّه قد قيل من قبل بوضوح. في اللغة اللاهوتيَّة، هذا يسمَّى بقيُّوميَّة الله God's aseity، وهي كلمة مُشتقَّة من المصطلح اللاتينيِّ *a se* أي قيُّوم، وكان من المقرَّر أن يصبح عنصرًا رئيسيًّا في التعليم الإصلاحيِّ.[٢٦] إنَّ احتجاب الله (عدم قابليَّته للرؤية) وثباته (عدم قابليَّته للتغيُّر) لم يحرِّكا

24 Cited in *Reformed Confessions Harmonized, with an Annotated Bibliography of Reformed Doctrinal Works*, ed. Joel R. Beeke and Sinclair B. Ferguson (Grand Rapids, MI: Baker, 1999), 6.

25 Beeke and Ferguson, *Reformed Confessions*, 6.

٢٦ يعتقد أنَّ القيُّوميَّة كانت مُمَثَّلة في التعليم المسيحيِّ الباكر من خلال مصطلح *autotheos* («الله بنفسه»)، الذي استخدمه أوريجانوس لأوَّل مرَّة منسوبًا للآب. ولعبت الكلمة دورًا هامًّا في المناقشات الكريستولوجيَّة في أوقات لاحقة، عندما ادَّعى الأرثوذكسيُّون أنَّ الابن (وبالتالي الروح القدس) هما أيضًا *autotheos*. انظر:

B. Ellis, Calvin, *Classical Trinitarianism, and the Aseity of the Son* (Oxford: Oxford University Press, 2012),

للاطِّلاع على مناقشة حول الكيفيَّة التي فُهِم بها هذا في القرن السادس عشر. جدير بالذكر أنَّ الإقرار الهلفيتيَّ الثاني ينسب القيُّوميَّة إلى الطبيعة الإلهيَّة، وليس إلى أشخاص الثالوث.

قلوب البروتستانت بالطريقة التي حرَّكها بها عدله وصلاحه، وبينما لم يتمَّ إنكار الصفات الجوهريَّة أبدًا، فإنَّ الصفات العلائقيَّة، التي لم يُذكر معظمها قبل عصر الأكوينيِّ، ستحتلُّ مركز الصدارة بشكل متزايد.

بالإجماع، يمثِّل إقرار إيمان وستمنستر ومنهاجاه للتعليم المسيحيِّ (١٦٤٦ - ١٦٤٧)، الذي يتعامل بشكل مُكثَّف مع الصفات الإلهيَّة، العلامة البارزة للأرثوذكسيا المُصلحة المُعترِفة. تعتبر المقارنة بين المنهاجَين الأطول والأقصَر للتعليم المسيحيِّ، مفيدة بشكل خاصٍّ، لأنَّها تخبرنا ليس فقط بما يعتقده لاهتيُّو وستمنستر ولكن أيضًا ما هي الأمور التي أعطوها مقام الأولويَّة. ردًّا على سؤال ما هو الله؟ يُعرِّفه منهاج التعليم المسيحيِّ الأقصر بأنَّه روح «غير محدود، سرمديٌّ، وغير قابل للتغيير، في كيانه، وحكمته، وقوَّته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وحقَّه».[٢٧] ردًّا على نفس السؤال، يفصِّل منهاج التعليم المسيحيِّ الأطول «اللانهائيّ» من خلال إضافة أنَّ هذا ينطبق على «كيانه، ومجده، وكونه مباركًا، وكماله». ثمَّ يضيف أنَّ الله «كافٍ ومكتفٍ بالكامل» ويُكمِل: «سرمديٌّ» و«غير قابل للتغيير».[٢٨] ولكن بعد ذلك يذهب ليذكر أشياء أخرى ويشرح بشكل كامل ما تمَّ تلخيصه بإيجاز في منهاج التعليم المسيحيِّ القصير: «غير مُستقصى، حاضر في كلِّ مكان، قدير، يعرف كلَّ شيء، حكيم، الأقدس، الأعدل، الأرحم والأكثر إنعامًا، طويل

27 Question 4.

28 Question 7.

الأنـاة، وفيـر فـي الصـلاح والحـقِّ.»[٢٩]

هنـا ننتقـل بشـكل غيـر محسـوس تقريبًـا مـن طبيعـة الله التي لا تُـدرَك، عبـر إعلانـه عـن ذاتـه باعتبـاره كليَّ الوجـود، وكليَّ القـدرة، وكليَّ العلـم، إلـى التطبيـق العملـيِّ لهـذه الصفـات الإلهيَّـة فـي حيـاة مخلوقاتـه.

يعبِّـر إقـرار وستمنسـتر عـن كلِّ هـذا بتفصيـل أكبـر.[٣٠] تحتـوي الصفـات المُثبتَـة التي تتبـع الصفـات المنفيَّـة على عناصـر لا توجد غالبًـا فـي مـكان آخـر، إلـى جانـب صفات أخـرى مألوفـة: يوصف الله بأنَّـه «القديـر، والأحكـم، والأقـدس، والأكثـر حريَّـة، والمطلـق».[٣١] ثـمَّ يتابـع الإقـرار بالتطبيـق العملـيِّ، الـذي يلخِّصـه علـى أنَّـه «يعمـل كلَّ الأشـياء وفقًـا لمشـورة إرادتـه الخاصَّـة غيـر القابلـة للتغييـر والأكثـر بـرًّا.» ومـن المثيـر للاهتمـام، على غيـر العـادة، أنَّ الإقـرار يشـرح بالتفصيـل الموضوعـات المعياريَّـة لوجـود الله وقدرتـه المطلقـة ومعرفتـه المطلقـة فـي فقـرة منفصلـة مخصَّصـة لهـا. لقـد نسـجها لاهتيُّـو وستمنسـتر فـي إطـار تأكيـد أوسـع على سـيادة الله على كلِّ الخليقـة والطابـع الأخلاقـيِّ الفطـريِّ لـكلِّ مـا يفعلـه: «هـو وحـده [أي الله] ينبـوع كلِّ كينونـة، ومنـه وبـه ولـه كلُّ الأشـياء؛ ولـه أكبـر قـدر مـن السـيادة عليهـا، ليفعـل بهـا، ومـن أجلهـا، وعليهـا كلَّ مـا يشـاء. ... هـو القـدُّوس فـي كلِّ مشـوراته

29 Beeke and Ferguson, *Reformed Confessions,* 7.

30 Westminster Confession of Faith, 2.1, cited in Beeke and Ferguson, *Reformed Confessions,* 7.

٣١ لسببٍ ما، يُقال أيضًا إنَّ الله «عظيم بلا حدود» و«غير مستقصى»، على الرغم من أنَّهما الشيء نفسه.

وفـي كلِّ أعمالـه وفـي كلِّ وصايـاه».[٣٢]

إنَّ الدليـل الـذي تقدِّمـه إقـرارات الإيمـان هـو غيـض مـن فيـض مـن النقـاش اللاهوتـيِّ، والـذي تـمَّ تحليـل مـداه مـن قبـل ريتشـارد مولـر. فيمـا يتعلَّـق بتصنيـف صفـات الله، يقتبـس مولـر مـن اللاهوتـيِّ الألمانـيِّ أمانـدوس بولانـوس فـون بولانسـدرف Amandus Polanus von Polansdorf (١٥٦١ - ١٦١٠) علـى أنَّـه مثـالٌ نموذجـيٌّ، ويسـرد الصفـات التـي اعتبرهـا بولانـوس جوهريَّـة:

> تنتمـي صفـات أو خصائـص الله الجوهريَّـة إلـى نظـام مـزدوج: بعضهـا أوَّلـيٌّ، والبعـض الآخـر ثانـويٌّ. الصفـات الجوهريَّـة فـي الترتيـب الأوَّلـيِّ هـي البسـاطة والكمـال؛ واللانهائيَّـة وعـدم القابليَّـة للتغيُّـر. لانهائيَّـة الله تعكـس سـرمديَّته وعظمتـه المطلقـة. إنَّ عـدم قابليَّـة الله للتغيُّـر هـي مـن خـواصِّ الجوهـر والطبيعـة أو مـن الخصائـص الجوهريَّـة، وهـي تنعكـس فـي أقضيـة الله ووعـوده.[٣٣]

بالنسـبة لبولانـوس وغيـره مـن أمثالـه، تضمَّنـت البسـاطةُ الروحانيَّـةَ والاحتجـابَ إلـى جانـب عـدم القابليَّـة للتجزئـة. ويمكـن أن يضـاف إلـى هـذا قيُّوميَّـة الطبيعـة اللاهوتيَّـة، التـي هـي جانـب آخـر مـن جوانـب كمـال الله الفطـريِّ. فـي الواقـع، كانـت هـذه الصفـات غالبًـا مـا يتـمُّ التعبيـر عنهـا وفحصهـا باعتبارهـا «كمالات» للكائـن الإلهـيِّ. وهـي تتـلازم أصـلاً فـي بعضهـا البعـض وتشـهد

32 Westminster Confession of Faith, 2.2, cited in Beeke and Ferguson, *Reformed Confessions*, 7.

33 Amandus Polanus, *Syntagma*, synopsis libri 2. See Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics*, 3:271.

على الوحدانيَّة الإلهيَّة في الكينونة. كما يمكن أن نتخيَّل، تسبَّب هذا في مشكلات لعقيدة الثالوث، والتي تمَّ إنكارها من قبل معاصرين مثل مايكل سيرفيتوس Michael Servetus (حوالي ١٥١١ - ١٥٥٣)، وكذلك ليليو سوتزيني Lelio Sozzini (١٥٢٥ - ١٥٦٢) وابن أخيه فاوستو سوتزيني Fausto Sozzini (١٥٣٩ - ١٦٠٤)، الذي أدَّى إصراره على بساطة الألوهة إلى شكل من أشكال التوحيد التي كانت تعتبر واحدة من أخطر البدع في عصرها.[٣٤] كمثال على كيفيَّة مواجهة هذا التحدِّي، يشير مولر إلى لوكاس تريلكاتيوس Lucas Trelcatius (١٥٤٢ - ١٦٠٢)، وهو عالم لاهوت هولنديٌّ ادَّعى أنَّ الأشخاص في الألوهة «لم يكونوا متمايزين في الجوهر أو الدرجة أو الحالة أو الكرامة»، بل بالأحرى «متمايزون من حيث الترتيب، والعدد، وطريقة العمل، والأسماء الشخصيَّة، والخصائص الشخصيَّة».[٣٥] كما قال عالم اللاهوت الإنجليزيُّ جون هاو John Howe (١٦٣٠ - ١٧٠٥) لاحقًا، كان من الضروريِّ الحفاظ على درجة من التمايز بين الأشخاص الإلهيِّين التي كانت «كافية للحفاظ على المُسندَات أو الصفات المميَّزة» ولكنَّها لم تكن «كبيرة لدرجة تتأسَّس على وحدانيَّة الألوهة».[٣٦] لقد كان هذا عملاً يسعى إلى إحداث توازن وجده البعض هشًّا للغاية ممَّا يحيل دون الإبقاء عليه.

أمَّا بشأن صفات الله الثانويَّة، حدَّدها بولانوس بهذه

34 Sarah Mortimer, *Reason and Religion in the English Revolution*: *The Challenge of Socinianism* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010).

35 Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:281.

36 Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:282. The quotes are from John Howe, *Works*, 2:531.

الطريقــة:

> صفـات الله الجوهريَّـة مـن الدرجـة الثانيـة هي الحيـاة وعدم المـوت والبركـة والمجـد. ... والأشـياء الصالحـة التـي يمتلكهـا الله بشـكل غيـر محـدود وغيـر مسـتقصى هـي ... الحكمـة والإرادة، القـوَّة والحريَّـة. تتكـوَّن حكمـة الله الجوهريَّـة مـن الفهـم، والمعرفـة، والفـنِّ، والحصافـة.[٣٧]

هنـا نلتقـي بعـدد مـن الصفـات، اثنتـان منهـا فقـط (عـدم المـوت والقـوَّة) كانتـا تقليديَّتيـن حقًّـا. أمَّـا الصفـات الأخـرى هـي فـي الأسـاس جديـدة كصفـات، علـى الرغـم مـن أنَّ بعضهـا، مثـل المجـد، يعـود مباشـرة إلـى الكتـاب المقـدَّس. لـم يُنظـر إلـى المجـد سـابقًا علـى أنَّـه صفـة مـن صفـات الله، ولا الصفـات الأخرى المذكـورة هنـا، إلاَّ إذا اعتبرنـا أنَّ الفهـم والمعرفـة تعنـي المعرفـة الكليَّـة، وهـو المقصـود علـى الأرجـح.[٣٨] أمَّـا مشـيئة الله وحريَّتـه، فمـن الصعـب معرفـة هـل هـي حقًّـا صفـات أم لا. لقـد اعتُبِـر كلاهمـا ضروريًّـا لكيانـه وأفعالـه، علـى الرغـم مـن وجـود قـدر كبيـر مـن النقـاش حـول مـا إذا كانـت إرادة الله مقيَّـدة بقـرارات اتَّخذهـا بالفعـل أم أنَّـه يمكنـه تغييـر رأيـه. بشـكل عـامٍّ، أكَّـد اللاهوتيُّـون المصلحـون علـى الـرأي الأوَّل، ومـع سـهولة رؤيـة هـذا كنـوع مـن التعسُّـف، إلاَّ أنَّـه فـي حقيقتـه كان اتِّسـاقًا تميَّـز بـه فهمهـم لله.[٣٩]

---

37 Polanus, *Syntagma*, synopsis libri 2. See Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:366.

٣٨ للاطِّلاع على مناقشة موسَّعة حول هذه النقطة، انظر:
Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:384–432.

39 Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:432–75.

يبدو أنَّ السبب الرئيسيَّ لإدراج إرادة الله في قائمة الصفات الإلهيَّة هو أنَّ معظم اللاهوتيِّين المصلحين اعتبروا عددًا من الأشياء الأخرى يعتمد بشكل مباشر عليها. وشمل هذا برَّ الله (عدله)، وقداسته، وصلاحه، وصدقه، وأمانته، وكلُّها صارت تُعتبر صفات إلهيَّة في حدِّ ذاتها. وعلى حدِّ تعبير كالفِن: «إنَّ إرادة الله هي القاعدة الأسمى للبرِّ، لذلك يجب اعتبار كلِّ ما يشاؤه صالحًا فقط بمجرَّد حقيقة أنَّه يرغب فيه.»[٤٠]

إلى حدٍّ بعيد، كان العمل الأكثر تفصيلاً وتأثيرًا حول صفات الله الذي تمَّ إنتاجه في عصر الأرثوذكسيا البروتستانتيَّة هو سلسلة المحاضرات غير المكتملة التي ألقاها اللاهوتيُّ البيوريتانيُّ ستيفن تشارنوك Stephen Charnock (١٦٢٨ - ١٦٨٠).[٤١] تعامل تشارنوك على نطاق واسع مع عشر صفات إلهيَّة، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات. أوَّلاً، كان هناك **الصفات المتأصِّلة في الكيان الإلهيِّ**؛ الروحانيَّة والأبديَّة والثبات/عدم التغيُّر. ثمَّ يأتي الإظهار الكلاسيكيُّ **لهذه الصفات؛** الوجود المُطلَق، والعلم المُطلَق (يُعامَل على أنَّه المعرفة والحكمة كلاهما)، والقدرة المطلقة. أخيرًا، كان هناك أربع صفات

40 Calvin, Institutes, 3.23.2. See Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics,* 3:477–589.

41 Stephen Charnock, *Several Discourses upon the Existence and Attributes of God* (London: Newman, 1682).

يوجد أحدث إصدار في:

The Works of Stephen Charnock, 5 vols. (Edinburgh: Banner of Truth Trust, 2010), vols. 1–2.

انظر أيضًا الملخَّص المفيد لتعليم تشارنوك في:

Daniel Chamberlain, *A Portrait of God*: *Stephen Charnock's "Discourses upon the Existence and Attributes of God" Summarized for the 21st Century* (Broken Arrow, OK: Amazon, 2011).

علائقيَّـة؛ القداسـة، والصـلاح، والسـيادة، وطـول الأنـاة، وهـذه الصفـة الأخيـرة غيـر مألوفـة فـي قائمـة مـن هـذا النـوع وربَّمـا ينفـرد بهـا تشـارنوك.

فـي كلِّ فئـة مـن هـذه الفئـات، يبـدو أنَّ الصفـة الأولـى هـي التـي تحـدِّد نغمـة الصفـات التاليـة، بمـا يتماشـى مـع الممارسـة البلاغيَّـة التقليديَّـة. تغطِّـي روحانيَّـة الله كلَّ صفاتـه المتعلِّقـة بالمـكان، لأنَّـه كـروح لا يمكـن تقييـده بـأيِّ شـكل مـن الأشـكال. إنَّ سـرمديَّته وعـدم قابليَّتـه للتغيُّر/ثباتـه يغطِّيـان الجوانـب المتعلِّقـة بالزمـن فـي روحانيَّتـه ويمكـن القـول إنَّهمـا تنبعـان مـن ذلـك. يتـمُّ تقديـم المظاهـر الثلاثـة بترتيـب منطقـيٍّ؛ لأنَّ الله فـي كلِّ مـكان (كلـيُّ الوجـود) ويعـرف كلَّ شـيء (كلـيُّ المعرفـة)، لـذا يمكنـه أن يفعـل مـا يشـاء (قدرته مطلقـة). الفئـة الثالثـة، الصفـات العلائقيَّة، كانـت أقـلَّ تحديـدًا، لأسـباب مـن أهمَّهـا أنَّنـا نعلـم أنَّ تشـارنوك لـم يكمـل أطروحتـه، لكـنَّ الحيـود العـامَّ واضـح. إنَّ قداسـة الله الفطريَّـة هـي أسـاس صلاحـه العملـيِّ الـذي يتجلَّـى فـي سـلطانه الكونـيِّ الشـامل، أو سـيادته. يبـدو أنَّ «طـول الأنـاة» يبـدأ قسـمًا آخـر، لأنَّـه يبـدو أنَّـه صفـة تتجلَّـى فقـط بعـد سـقوط الجنـس البشـريِّ فـي الخطيَّـة، ولا يصبـح لهـا مغـزى إلاَّ فـي هـذا الإطـار.

تجمـع أطروحـة تشـارنوك لصفـات الله بيـن الاهتمـام الكلاسـيكيِّ بالفهـم الصحيـح لجوهـره الداخلـيِّ وطبيعتـه مصحوبًـا بتأكيـد عصـر مـا بعـد الإصـلاح علـى العواقـب العمليَّـة التـي تنبـع ليـس فقـط مـن علاقـة الخالـق بمخلوقاتـه كمـا صنعهـا فـي الأصـل، ولكـن أيضًـا مـن الخالـق والفـادي تجـاه تلـك المخلوقـات

التـي تمـرَّدت عليـه.

دفاع الأرثوذكسيا الكلاسيكيَّة (١٨٠٠ - ١٩٥٠)

علـى الرغـم أنَّ كالفِـن لـم يكـن بإمكانـه أن يعـرف ذلـك، فـإنَّ تركيـزه علـى إرادة الله كان لا بـدَّ أن تكـون لـه عواقـب غيـر مقصـودة. اقتنـص السوسـينيانيُّون Socinians كلماتـه وقلَّصـوا فعليًّـا معرفـة الله إلـى المعرفـة المختصَّـة بإرادتـه. عندمـا تـمَّ الجمـع بيـن ذلـك والاعتقـاد بـأنَّ الله هـو الكائـن الأسـمى المطلـق، كان هنـاك نـوع مـن الامتـزاج بيـن الألوهـة والأخـلاق. كانـت النتيجـة فـي الواقـع شـكلاً جديـدًا للخـلاص بالأعمـال، بشـرط أن تكـون الأعمـال مبنيَّـة علـى العقـل والمنطـق، وهـو مـا نُصِّـب باعتبـاره الجوهـر المطلـق، وبالتالـي باعتبـاره الله. لقـد تـمَّ اختـزال «الله» إلـى كونـه قاعـدة الترابـط المنطقـيِّ التـي يقـوم عليهـا الكـون المـاديُّ. والعيـشُ وفقًـا لقوانينـه كان يعنـي بلـوغ درجـات الصـلاح والقداسـة والبـرِّ. وأيُّ شـيء يتجـاوز ذلـك كان إمَّـا زائـدًا أو خاطئًـا.

فـي محاولـة لفهـم هـذا، صنَّـف فريدريـك شـلايرماخر Friedrich Schleiermacher (١٧٦٨ - ١٨٣٤) الصفـات الإلهيَّـة وفقًـا لثلاثـة معاييـر قائمـة علـى الإدراك الذاتـيِّ لـدى الإنسـان عـن الله وليـس علـى أيِّ إعـلان ذاتـيٍّ موضوعـيٍّ منـه. كانـت المعاييـر الثلاثـة هـي الخلـق والخطيَّـة والفـداء، والتـي عالجهـا شـلايرماخر كلٌّ علـى حِـدى، وقسَّـم الصفـات الإلهيَّـة وفقًـا لذلـك. كان المعيـار الأوَّل مرتبطًـا ارتباطًـا وثيقًـا بالتمييـز الكلاسـيكيِّ بيـن الخالـق ومخلوقاتـه. لقـد رأى شـلايرماخر أنَّـه يعتنـق العقائـد التقليديَّـة بشـأن سـرمديَّة

الله، ووجـوده المطلـق، وقدرتـه المطلقـة، وعلمـه المطلـق، بـكلِّ مضامينها المشـتقَّة.[٤٢] أمَّـا الفئـة الثانيـة مـن الصفـات الإلهيَّـة فقـد تشـكَّلت فـي ذهنـه بوجـود الخطيَّـة فـي حياتنـا. عـلاوةً علـى ذلـك، فإنَّنـا نـدرك أنَّ الله قـدُّوس وصالـح وبـارٌّ بطـرق تديننـا مـا لـم نتُـب ونثـق بـه للخـلاص.[٤٣] أخيـرًا، كانـت هنـاك الصفـات الإلهيَّـة المرتبطـة بالفـداء. وتمثَّلَـت فـي أشـياء مثـل المحبَّـة والحكمـة، التـي تظهَـر لأذهاننـا عندمـا يتـمُّ التغلُّـب علـى الخطيَّـة وتكـون أرواحنـا متوافقـة مـع روح الله.[٤٤]

أصبحـت هـذه المسـيحيَّة الأخلاقيَّـة فـي جوهرهـا مسـيطرةً فـي القـرن التاسـع عشـر وشـكَّلت العمـود الفقـريَّ لمـا نفكِّـر فيـه الآن علـى أنَّـه ليبراليَّـة لاهوتيَّـة، علـى الرغـم مـن أنَّ هـذا لـم يكـن سـوى جانـب واحـد منهـا. كان إسـحاق أوغسـت دورنـر Isaak August Dorner (١٨٠٩ - ١٨٨٤) أحـد أكثـر ممثِّلـي هـذه المدرسـة الفكريَّـة إثـارةً للاهتمـام. وخلُـص إلـى أنَّ الله يجـب أن يمتلـك الاتِّسـاق والوحـدة والبسـاطة واللانهائيَّـة علـى أسـاس «الدليـل» الأنطولوجـيِّ لوجـوده باعتبـاره الكائـن النهائـيَّ المطلـق. كانـت نقطـة ضعـف نهـج دورنـر هـو أنَّـه إذا فقـدت تلـك البراهيـن مصداقيَّتهـا، فـإنَّ الصفـات الإلهيَّـة المرتبطـة بهـا تفقـد مصداقيَّتهـا بالتبعيَّـة. يبـدو أنَّ دورنـر قـد نفـد زخمـه بعـد معالجتـه المكثَّفـة للصفـات المرتبطة بالدليـل الأنطولوجـيِّ، لأنَّ بقيَّـة الصفـات تعاملـت فـي الغالـب مـع

42 Friedrich Schleiermacher, *The Christian Faith* (London: Bloomsbury, 2016), 194–232 (secs. 50–56).

43 Schleiermacher, *Christian Faith*, 325–54 (secs. 79–85).

44 Schleiermacher, *Christian Faith,* 723–37 (secs. 164–69).

حيـاة الله فـي ذاتـه، وبـرّه (العدالـة)، وصفاتـه الأخلاقيَّـة.[٤٥]

لـم يسـتطع اللاهوتيُّـون الأرثوذكسـيُّون المُصلَحـون الجلـوسَ وتـرك هـذه الأفـكار الغريبـة تهيمـن علـى المجـال. فكتـب تشـارلز هـودج Charles Hodge (١٧٩٧ - ١٨٧٨)، عالـم اللاهـوت العظيـم ببرينسـتون، دفاعًـا مطـوَّلاً عـن العقيـدة المُصلحـة الكلاسـيكيَّة للصفـات الإلهيَّـة، وهـو مـا ظـلَّ لفتـرة طويلـة بمثابـة العمـل المرجعـيِّ القياسـيِّ.[٤٦] كان هـودج مـدركًا للعديـد مـن المناهـج المختلفـة التـي اتَّبعهـا أسـلافه فـي موضـوع الصفـات الإلهيَّـة وكان متشـكِّكًا فيهـا:

> موضوعـات قليلـة فقـط هـي التـي قـد تقتضـي فكـرًا وجهـدًا مبـذولاً أكبـر مـن هـذا. ومـع ذلـك، ربَّمـا لـم تكـن المنفعـة متناسـبة مـع الجهـد المبـذول. إنَّ هـدف التصنيـف هـو الترتيـب، ومبتغـى النظـام هـو الوضـوح. وبقـدر مـا يتـمُّ بلـوغ هـذه الغايـة، فهـذا حسـن. لكـنَّ التنـوُّع الكبيـر فـي الأساليب التـي تـمَّ اقتراحهـا، يمثِّـل دليـلاً علـى أنَّـه لا توجـد طريقـة واحـدة للترتيـب فيهـا مـا يكفـي مـن المزايـا لجعلهـا تحظـى بقبـول عـامٍّ.[٤٧]

بعـد تنـاول الخيـارات الرئيسـيَّة المتاحـة بإيجـاز، اسـتقرَّ هـودج علـى الترتيـب الموجـود فـي منهـاج وستمنسـتر المطـوَّل للتعليـم

45 Isaak August Dorner, *A System of Christian Doctrine,* trans. Alfred Cave and J. S. Banks, 4 vols. (Edinburgh: T&T Clark, 1880–1882), 1:187–343.

46 Charles Hodge, *Systematic Theology,* 3 vols. (New York: Charles Scribner, 1871; repr., Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1940), 1:368–441.

47 Hodge, *Systematic Theology,* 1:374.

المسيحيِّ. لقد فسَّر هودج هذا الترتيب على أنَّه مُصنَّف وفقًا لتكوين طبيعتنا. يوجد لدى الإنسان طبيعة أو جوهر الروح أو النفس، والعقل، والإرادة. ولذا قيل إنَّه من ثمَّ يمكننا بشكل طبيعيٍّ ترتيب صفات الله تحت ثلاثة عناوين. أوَّلاً، تلك المتعلِّقة بجوهره؛ ثانيًا، تلك المتعلِّقة بفكره؛ وثالثًا، تلك التي تشير إلى إرادته، وتؤخَذ كلمة «إرادة» هنا بمعناها الأكثر شمولاً.[٤٨]

بدأ هودج بمفهوم الروحانيَّة، التي اعتبرها تعريفًا لكينونة الله وليس كواحدة من صفاته، والتي واصل تحديدها على أنَّها اللانهائيَّة، والسرمديَّة، وعدم التغيُّر. ثمَّ جاءت صفات عقل الله وهي المعرفة والحكمة. وثالثًا، كانت هناك صفات إرادته؛ القوَّة، والقداسة، والعدالة، والصلاح (الذي يشمل المحبَّة)، والحقُّ. أخيرًا، اختتم هودج نقاشه بتأكيد السيادة الإلهيَّة، والذي يبدو أنَّه مصطلح واسع. من خلال تبنِّي هذا التصنيف، حاول هودج تجنُّب التعارضات الثنائيَّة المتعارف عليها من صفات النفي/الإيجاب والصفات القابلة/غير القابلة للتشارُك، والتي اعتقد أنَّها لا تنصف الطريقة التي يعلن بها الله عن نفسه في الكتاب المقدَّس. ومع ذلك، يمكن التساؤل بشأن ما إذا كان ترتيبه المبنيُّ على صورة الله في الإنسان كان بمثابة إضافة من شأنها التحسين. ما يظهر لنا هو أنَّ هودج، الأرثوذكسيَّ التقليديَّ بلا شكٍّ، تأثَّر مع ذلك بالروح الإنسانيَّة لعصره، حتَّى لو كان ذلك فقط بالطريقة التي اختار بها تقديم مادَّته.

واحدة من أكثر الاستجابات فعاليَّة في مواجهة التيَّارات

48 Hodge, *Systematic Theology,* 1:375.

الليبراليَّة في القرن التاسع عشر جاءت من هِرمان بافِنك Herman Bavinck (١٨٥٤ - ١٩٢١)، الذي راجع المقاربات الرائدة في عصره ودمَّر افتراضاتها المُسبَّقة. ويمكن قياس الأهمِّيَّة التي أعطاها بافِنك للصفات الإلهيَّة من خلال حقيقة أنَّ مناقشة هذه الصفات تشغل حوالي ثلث كتابه عن عقيدة ماهيَّة الله، وهو الجزء الثاني من كتابه في اللاهوت النظاميِّ المؤلَّف من أربعة مجلَّدات.[٤٩] بدأ بافِنك بإعادة التأكيد على أولويَّة البساطة الإلهيَّة عندما كتب، «بوجهٍ عامٍّ ... كان التعليم [المسيحيُّ] هو أنَّ الله ‹بسيط›، أي خالٍ تمامًا من جميع أنواع التركيب، وبالتالي لا يمكن للمرء أن يميِّز بين كيانه وصفاته».[٥٠] وهو قد دقَّق هذا التصريح بقوله إنَّ الصفات التي نراها متعدِّدة تعكس جوانب مختلفة من الكيان الإلهيِّ كما يبدو لنا، وأنَّ الصفة الأساسيَّة التي هي البساطة تهدف إلى منعنا من عزل أحد هذه الجوانب على حساب الجوانب الأخرى، وهو ما يميل العقل البشريُّ الساقط إلى فعله. بعد التفكير في طرق مختلفة لتصنيف الصفات، قرَّر أخيرًا اعتمادَ التمييز بين الصفات غير القابلة والقابلة للتشارُك، لأنَّه كان يعتقد أنَّ بعض الصفات الإلهيَّة تجد صدًى في البشر. لكنَّه كان حذرًا جدًّا حيال ذلك وذكَّر قرَّائه قائلاً: «الجميع يعترف بأنَّ الصفات القابلة للتشارُك هي

49 Herman Bavinck, *Reformed Dogmatics*, 4 vols. (Grand Rapids, MI: Baker, 2003), نشر أصلاً بالهولنديَّة:

Gereformeerde Dogmatiek (Kampen: Bos, 1895).

ترجَم الجزء الثاني:

Hendricksen, published as *The Doctrine of God* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1951; repr., Edinburgh: Banner of Truth, 1977; Grand Rapids, MI: Baker, 1979).

50 Bavinck, *Reformed Dogmatics,* 2:118.

نفسها لا يمكن تشارُكها بنفس طريقة وجودها في الله، وهي في هذا تتماثل تمامًا مع الصفات غير القابلة للتشارُك».[٥١]

أشار بافِنك، أوَّلاً، أنَّه يجب التمييز بين صفات الله التي لا علاقة لها بنا، مثل احتجابه، وتلك التي لها علاقة بنا مثل قداسته. ثانيًا، أيًّا من هذه الفئات ليس صارمًا من حيث التصنيف. إنَّ صفات الله الخفيَّة «المنفيَّة» غير القابلة للتشارُك تتجاوز الخبرة البشريَّة، لكنَّها ليست مجهولة تمامًا، لأنَّها لو كانت كذلك، لما كنَّا عرفنا عنها شيئًا. من ناحية أخرى، قد تجد الصفات «المُثبَتَة» المُعلَنة القابلة للتشارُك تشابهات في حياة الإنسان، لكنَّها لا تزال تختلف جوهريًّا عن أيِّ شيء معروف لنا. عندما قال الله لشعبه أن يكونوا قدِّيسين كما هو قدُّوس، كان يعرف أنَّ القداسة البشريَّة لها معنى فقط في سياق الطبيعة البشريَّة المحدودة (اللاويين ٢٠: ٧؛ بطرس الأولى ١: ١٦). إذ يمكن أن تكون نسبيَّة وغير كاملة، ممَّا يعني أنَّه لا يمكن أن تكون حقًّا هي نفسها قداسة الله. كما خلص بافِنك:

> في الواقع، مع كلِّ صفة مُثبَتَة ... يجب أن نظهر أنَّها منفيَّة في الوقت نفسه؛ بقدر ما تتعلَّق تصنيفات الكينونة والحياة والروح والمعرفة والبرِّ والقداسة (إلخ) بالله بطريقة مختلفة عن تعلُّقها بالكائنات المخلوقة ... إنَّ الصعوبة الكامنة في هذا التقسيم طبيعيَّة وبالتالي لا يمكن التغلُّب عليها. في عقيدة ماهيَّة الله، ليس لدينا خيار سوى التمسُّك بكلٍّ مِن تساميه عن العالم وقرابته

51 Bavinck, *Reformed Dogmatics,* 2:132.

منه في الوقت نفسه. إذا كان هذا صحيحًا، فلا يهمُّ ما هي الكلمات التي نستخدمها لوصف هاتين المجموعتين من الصفات؛ سواء كانت منفيَّة ومُثبَتة، أو ساكنة وفاعلة، أو غير قابلة للتشارُك وقابلة للتشارُك، أو أيَّة تجميعة أخرى.[٥٢]

مع هذا التحذير المهمِّ، سرد بافِنك ما اعتبره صفات الله «التقليديَّة» غير القابلة للتشارُك بالطريقة التالية:

١. استقلاليَّة، كفاية ذاتيَّة، قيُّوميَّة.

٢. عدم التغيُّر.

٣. اللانهائيَّة، في كلٍّ من الزمان (السرمديَّة) والمكان (العظمة الهائلة، الوجود المطلق).

٤. الوحدانيَّة، من حيث العدد (الوحدة) والنوعيَّة (البساطة).[٥٣]

لا شيء من هذا جديد، ومعظمها يمكن تتبُّعه بطريقة أو بأخرى رجوعًا إلى العصور القديمة. النقطة الوحيدة التي يجب ملاحظتها هي أنَّ بافِنك، تبعًا للسابقة التي وضعها علماء اللاهوت المصلحون السابقون، فضَّل كلمة «استقلال» على «قيُّوميَّة»، لأنَّه، كما قال: «بينما تعبِّر القيُّوميَّة فقط عن اكتفاء الله الذاتيِّ بشأن وجوده، فإنَّ ‹الاستقلال› له معنى أوسع ويشير إلى أنَّ الله مستقلٌّ في كلِّ شيء: في وجوده وفي

52 Bavinck, *Reformed Dogmatics,* 2:136.

53 Bavinck, *Reformed Dogmatics,* 2:151–77.

كمالـه وفـي قراراتـه وفـي أعمالـه».[٥٤]

عندمـا انتقـل إلـى الصفـات القابلـة للتشـارُك، اكتشـف بافِنـك مـا لا يقـلُّ عـن أربـع عشـرة منهـا، تنتمـي إلـى مـا يصـل إلـى خمـس فئـات مختلفـة، وكلُّهـا مشـتقَّة فـي النهايـة مـن صـورة الله ومثالـه اللذيـن يظهـران فـي البشـر. وفقًـا لمخطَّـط التصنيـف الخـاصِّ بـه، فهـي كمـا يلـي:

١. صفات الحياة والروح: الروحانيَّة، الاحتجاب.

٢. صفـات الكيـان الواعـي بذاتـه: المعرفـة (كلـيُّ العلـم)، الحكمـة، الصـدق.

٣. صفات الأخلاق: الصلاح، البرُّ، القداسة.

٤. صفات السيادة: الإرادة، الحريَّة، القدرة المطلقة.

٥. صفات البركة: الكمال، البركة، المجد.[٥٥]

توفِّـيَ بافِنـك قبـل أن يتمكَّـن مـن التعامـل مـع كارل بـارت Karl Barth (١٨٨٦ - ١٩٦٨)، وهـو عالـم لاهـوت سويسـريٌّ ألمانـيٌّ مـن المحافظيـن الجـدد خـاض معركـة مـع ليبراليَّـة القـرن التاسـع عشـر وتـرك بصماتـه علـى جميـع الأفـكار اللاهوتيَّـة اللاحقـة. بخيـره وشـرِّه، يمثِّـل إرث بـارت حـدًّا فاصـلاً فـي التفكيـر اللاهوتـيِّ، ولا يمكـن فهـم المشـهد الحديـث دون أخـذه فـي الاعتبـار. بالنسـبة لبـارت، تأتـي كلُّ معرفـة بشـريَّة عـن الله مـن إعـلان الله عـن نفسـه.

54 Bavinck, *Reformed Dogmatics*, 2:152.

55 Bavinck, *Reformed Dogmatics*, 2:178–255.

تـمَّ إعطـاء هـذا الإعـلان جزئيًّـا مـن خـلال أنبيـاء شـعب إسـرائيل القديـم ولكـن بشـكل كامـل وأخيـر فـي تجسُّـد ابـن الله يسـوع المسـيح (العبرانيِّـن ١: ١). والكتـاب المقـدَّس هـو سـجلٌّ ذلـك الإعـلان، وهـو المصـدر الوحيـد لتفكيرنـا اللاهوتـيِّ. أمَّـا الفلاسـفة واللاهوتيُّـون الذيـن حاولـوا تخيُّـل الله مـن خـلال «دليـل» النظـام المخلـوق فقـد أخطـأوا لأنَّهـم حاولـوا الاسـتقراء مـن المحـدود إلـى اللامحـدود، وهـو مـا لا يمكـن فعلـه. فمهمـا كانـت العلاقـة بيـن الله وخليقتـه، فهـو يؤسِّسـها ويعلـن عنهـا فـي المسـيح؛ الـذي هـو الحقيقـة الموضوعيَّـة الكبـرى التـي يجـب قيـاس كلِّ نظريَّـات اللاهـوت البشـريَّة علـى أساسـها.[٥٦] يكشـف الله عـن نفسـه علـى أنَّـه غيـر مُسـتَقصَى، ولكـن يمكـن أن يُعـرف لأنَّـه يريـد الإعـلان عـن نفسـه.[٥٧] والكلمـات التـي نسـتخدمها لوصفـه لا تتمتَّـع بدقَّـة مطلقـة، لكنَّهـا مناسـبة لاحتياجاتنـا لأنَّ الله نفسـه أعطاهـا لنـا، لغـرض محـدَّد هـو أنَّنـا يجـب أن نسـتخدمها لفهمـه.[٥٨]

إنَّ قلـب إعـلان الله عـن ذاتـه هـو تجسُّـد يسـوع المسـيح، حيـث فيـه حـلَّ مـلء اللاهـوت جسـديًّا (كولوسـي ٢: ٩). فـي المسـيح نعـرف الله كشـخص، لكـن فـي الوقـت نفسـه نفهـم أنَّ هنـاك سـرًّا خفيًّـا فيـه يفـوق إدراكنـا. إنَّ إرسـال الله ابنـه إلـى العالم هـو فعـلُ نعمـةٍ يُظهِـر بـه كمـال محبَّتـه وحريَّتـه. فهـو يحبُّنـا دون

٥٦ هذا الملخَّص للاهوت بارت يتبع الخطوط العريضة الواردة في:
Geoffrey W. Bromiley, *Introduction to the Theology of Karl Barth* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1979).
ترجَم بروميلي أعمال بارت عن عقائد الكنيسة ويُعدُّ مرجعًا معتمدًا لهذا الفكر في الإنجليزيَّة.

57 Karl Barth, *Church Dogmatics,* 12 vols. (Edinburgh: T&T Clark, 1936–1969), 2.1.67.

58 Barth, *Church Dogmatics,* 2.1.179–204.

قيد أو شرط وبشكل كامل، وكلُّ شيء آخر نقوله عنه يجب أن يقال مربوطًا بهذه الحقيقة الساحقة.

هل ينصف تحليل بارت الواقع الذي يحاول وصفه؟ تختلف الآراء هنا، ولكن ربَّما كان مترجمه جيفري بروميلي Geoffrey Bromiley (١٩١٥ - ٢٠٠٩) هو الأكثر توازنًا. كتب بروميلي:

> هل يمكن للمرء أن يقول، كما يقول بارت، إنَّه عند وصف الله بأنَّه محبَّة وبرٌّ، أو بالحريَّة والقوَّة، فإنَّه يمكن إخضاع البرِّ للمحبَّة والقوَّة تحت الحريَّة؟ هل يمكن أخيرًا التمسُّك بأيَّة مجموعة من الكمالات، سواء في سلسلتين أو أكثر، عندما يتمُّ التأكيد بشكل جدِّيٍّ وصحيح على أنَّ كمالات الله تنبع من كينونته وأنَّه لا يمتلكها فقط، وأنَّه ليس هذا أو ذاك الكمال فحسب، بل هو كلُّ كمال؟ إذا تسلَّل عنصر ما بشكل عشوائيٍّ بينما هو قد خصَّ المحبَّة والحريَّة كمفهومين رئيسيَّين، فربَّما تكون العشوائيَّة هنا هي الأسلوب المُتَّبَع. ومن المؤكَّد أنَّ الأسلوب المتَّبع لا يسفِر بأيِّ حال من الأحوال عن نتائج غير مبهرة. والأهمُّ من ذلك من وجهة نظر بارت ... أنَّ الله مُعلِن عن ذاته باعتباره إله المحبَّة وإله الحريَّة، جوهريًّا وتدبيريًّا. ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون من الخطأ، حتَّى لو لم يكن من الضروريِّ للغاية، رؤية الكمالات الأخرى من وجهة نظر محبَّة الله الحرَّة أوَّلاً، ثمَّ حريَّة الله التي هي أيضًا محبَّة.[٥٩]

59 Bromiley, *Introduction*, 73–74.

لقد حكم بروميلي أنَّ بارت عمل ضمن الإطار العريض للاعتقاد الأرثوذكسيِّ التقليديِّ لكنَّه ركَّز على اثنتين من صفات الله القابلة للتشارُك -المحبَّة والحريَّة- والتي أعطاها الأولويَّة واستخدمها كعدسة يقرأ من خلالها كلَّ الكمالات الإلهيَّة الأخرى. وكما أشار كورنيليوس فان تيل Cornelius Van Til (١٨٩٥ - ١٩٨٧)، أحد منتقدي بارت، «إنَّ الرفيق المُلازم لحقيقة أنَّ الله حرٌّ في محبَّته هي فكرة أنَّه عند مناقشة صفات الله، يجب علينا دائمًا إخضاع تلك الصفات التي تدين الإنسان لتلك التي من شأنها أن تخلِّصه».[٦٠] هل هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي علينا فعله؟ مهما كانت النتيجة التي توصَّلنا إليها، لا يمكن أن يكون هناك شكٌّ في أنَّ التركيز في اللاهوت الحديث قد تحوَّل من الاهتمام التقليديِّ بالله كما هو في ذاته (الصفات غير القابلة للتشارُك) إلى الله كما يبدو لنا. لم يشرع بارت في هذا التحوُّل، لكنَّه أكَّده، وبربطه بإعلان الله الموضوعيِّ عن نفسه في يسوع المسيح، قدَّم قناةً يمكن من خلالها التوفيق بين ذلك التحوُّل وبين اللاهوت المُصلَح التقليديِّ. لكنَّ مسألة نجاحه في هذا لا تزال قيد المناقشة.

المشهد المعاصر (منذ ١٩٥٠)

في الآونة الأخيرة، كان هناك عدد من المحاولات من قبل علماء اللاهوت المصلحين لشرح الصفات الإلهيَّة بطريقة منطقيَّة. يتَّبع البعض منهم، مثل وين غرودم Wayne Grudem

60 Cornelius Van Til, *Christianity and Barthianism* (Philadelphia: Presbyterian and Reformed, 1962), 39.

ومايـكل هورتـون Michael Horton، التمييـز التقليـديَّ بيـن الصفات غيـر القابلـة للتشـارُك والصفـات القابلـة للتشـارُك، علـى الرغـم مـن أنَّهـم توصَّلـوا إلـى تصنيفـات مختلفـة نوعًـا مـا.[٦١] قـارن قوائمهـم فـي الجـدول ٥.

جدول ٥:

غرودِم	هورتون
	البساطة
الاستقلاليَّة	القيُّوميَّة
عدم إمكانيَّة التغيُّر	عدم القابليَّة للتغيُّر
عدم القابليَّة للتألُّم	عدم القابليَّة للتألُّم
اللانهائيَّة	
الشخصانيَّة	
السرمديَّة	السرمديَّة (الوجود المُطلق)
الوجود المُطلق	
الوحدانيَّة	

معظـم هـذه الصفـات مألوفـة، ولا يحـاول أيٌّ مـن اللاهوتيِّيْـن أن يدَّعـي الريـادة. ويبـدو أنَّ قائمـة غـرودِم أقـرب إلـى بافِنـك وقـد يعتمـد عليـه، إمَّـا بشـكل مباشـر أو غيـر مباشـر، ولكـن بعـض الإضافـات تسـتحقُّ الذكـر. أوَّلها هو عـدم القابليَّة للتألُّـم، وعادةً ما يتـمُّ تصنيفهـا تحت عـدم القابليَّـة للتغيُّر (تسـمَّى هنا عـدم إمكانيَّة

61 Wayne Grudem, *Systematic Theology*: *An Introduction to Biblical Doctrine* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1994), 156–225; Michael Horton, *The Christian Faith*: *A Systematic Theology for Pilgrims on the Way* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2011), 223–72.

التغيُّـر Unchangeableness)، ولكنَّها تُمنح هنا مكانة مستقلَّة، ربَّما بسبب الأهمِّيَّة الجديدة التي اكتسبتها في علم اللاهوت الحديث. قد يُنظر إلى السرمديَّة والوجود المطلَق على أنَّهما جانبان من اللانهائيَّة، لكن الشخصانيَّة ليست في محلَّها هنا. ليست هذه هي أوَّل مرَّة ترد فيها تلك الصفة في تاريخ الصفات الإلهيَّة، لكنَّ اللاهوتيِّين الأرثوذكسيِّين قاوموا اعتبارها واحدة من الصفات. إنَّ الله ليس شخصانيًّا بنفس الطريقة التي هو بها غير محدود أو مُنزَّه عن التألُّم، لأنَّه إذا كان كذلك، فإنَّ منطق بساطة طبيعته يعني أنَّه لا يمكن أن يكون أكثر من شخص واحد. لا تسمح لنا عقيدة الثالوث بقول ذلك، وبالتالي لا يمكن أن تكون شخصيَّة الله (أو الأفضل، «شخصانيَّته») جانبًا من جوانب طبيعته.

إنَّ قائمة هورتون أقصر، وبالمقارنة مع تلك الخاصَّة بأسلافه المُصلحين، يبدو أنَّها غير كاملة إلى حدٍّ ما. وهو يبدأ بمصطلح «البساطة»، وهو مصطلح يعتبره غرودِم مضلِّلاً ويستبدل به مصطلح «الوحدانيَّة»، والذي تمَّ وضعه بشكلٍ تقليديٍّ في نهاية قائمة الصفات الإلهيَّة غير القابلة للتشارُك، وهو أمر يحترمه غرودِم. يفضِّل هورتون أيضًا «القيُّوميَّة» على «الاستقلال»، وبالمثل يُدرِج عدم القابليَّة للتألُّم، ومن المؤكَّد تقريبًا أنَّه يفعل ذلك لنفس الأسباب التي لدى غرودِم. وهو يتغاضى عن صفة اللانهائيَّة ولكن ربَّما كان هذا بسبب اعتقاده أنَّها مرادف تقريبًا للسرمديَّة والوجود المُطلَق.

عندما ننظر إلى قوائم الصفات القابلة للتشارُك الخاصَّة به، فإنَّ أوَّل ما نلاحظه هو أنَّها أطول بكثير وأكثر تنوُّعًا من القوائم

المقابلـة للصفـات غيـر القابلـة للتشـارُك، وتبقـى قائمـة غـرودِم مرَّة أخـرى أكثـر تفصيـلاً (انظر الجـدول ٦).

جدول ٦:

غرودِم	هورتون
الروحانيَّة	
الاحتجاب	
المعرفة (العلم المُطلَق)	العلم المُطلَق
	القدرة المطلقة*
الحكمة	
الشخصانيَّة	
الصدق (والأمانة)	
الصلاح	الصلاح
المحبَّة	المحبَّة
الرحمة (النعمة، الصبر)	الرحمة
القداسة	القداسة
السلام (أو النظام)	
البرُّ (أو العدل)	البرُّ
	العدل
الغيرة	الغيرة
الغضب	الغضب
الإرادة	
الحريَّة	
القدرة المطلقة (القوَّة، السيادة)	
الكمال	

البركة
الجمال
المجد

* يضع غرودِم هذه الصفة نحو الأسفل في قائمته.

إذا كان منطـق قائمـة غـرودِم للصفـات غيـر القابلـة للتشـارُك غامضًـا، فسـيكون تمييـز قائمـة الصفـات القابلـة للتشـارُك أكثـر صعوبـة. ربَّمـا يكـون مـن الأفضـل أن نقـول إنَّ الأربعـة الأولـى يقصـد منهـا أن تتوافـق مـع مـا أسـماه هـودج سـمات العقـل، علـى الرغـم مـن أنَّ سـبب وضـع الروحانيَّـة هنـا هـو لغـز بالنسـبة لنـا. تظهـر الشـخصانيَّة مـن جديـد، بعـد أن سـبق ذكرهـا كواحـدة مـن الصفـات التـي لا يمكـن تشـارُكها، لكـنَّ وجودهـا هنـا مربـك. أمَّـا بـدءًا مـن صفـة الصـدق فصاعـدًا فإنَّـه يبـدو أنَّنـا نتعامـل مـع مـا كان سـيطلق عليـه هـودج صفـات إرادة الله، والكثيـر منهـا يصبـح مألوفًـا علـى الفـور. يتـمُّ التعامـل مـع المحبَّـة بشـكل منفصـل عـن الصـلاح، ولكـن كمـا يلـي بعـد ذلـك مباشـرة، فـإنَّ إرث هـودج أكثـر عمقًـا ممَّـا قـد يبـدو. يتـمُّ إدراج الغيـرة والغضـب ويبـدو أنَّهما ابتـكارات فـي قائمـة الصفـات الإلهيـة، علـى الرغـم مـن أنَّهـا بالتأكيـد مـن سـمات إلـه الكتـاب المقـدَّس. ويبـدو أنَّ العناصـر القليلـة الأخيـرة، مـن الكمـال فصاعـدًا، قـد تـمَّ إدراجهـا بـدون ترتيـب معيَّـن، وقـد يتـمَّ التسـاؤل بشـأن وضعهـا أصـلاً كصفـات.

إنَّ قائمـة هورتـون أقصـر بكثيـر، لكنَّهـا تتبـع غـرودِم بشـكل وثيـق، بمـا فـي ذلـك حتَّـى الغيـرة والغضـب، بحيـث لا يمكـن اعتبارهـا مسـتقلَّة، علـى الرغـم مـن أنَّـه مـن المفهـوم أنَّـه وضـع

القـدرة المطلقـة فـورًا بعـد العلـم المطلَـق، وهـو مـا لـم يفعلـه غـرودِم. كمـا يميِّـز هورتـون أيضًـا بيـن البـرِّ والعـدل. وعـلاوةً علـى ذلـك، لا يـزال المخطَّـط العـام لتصنيـف هـودج محسوسًـا، وإلـى هـذا الحـدِّ يمكـن القـول بـأنَّ كلا اللاهوتيَّيـن اسـتندوا إلـى التقليـد المُصلَـح لبرينسـتون القديمـة.[٦٢]

علـى مسـار مختلـف تمامًـا، ابتكـر ميـلارد إريكسـون Millard Erickson مـا يُعتَقَـد أنَّـه تمييـز أساسـيٌّ بيـن صفـات عظمـة الله وبيـن صفـات صلاحـه، وصنَّفهـا علـى النحـو المبيَّـن فـي الجـدول ٧.[٦٣]

يبـدو أنَّ إريكسـون قـد تجاهل صفـات الله غير القابلة للتشـارُك بالكامـل تقريبًـا واسـتبدلها بعـدد مـن الفئـات الخاصَّـة بـه، والتـي لا يـزال معناهـا الدقيـق غيـر واضـح. علـى سـبيل المثـال، كيـف يختلـف الثبـات، وهـي صفـة مـن صفـات عظمـة الله، عـن الأمانـة والمثابـرة، وكلاهمـا يُعامـل كدليـل علـى صلاحـه؟ ولمـاذا يعتبـر الصـدق صلاحًـا وليـس مـن العظمـة؟ ألا يمثِّـل امتـدادًا لكليهمـا؟ إنَّ تصنيـف إريكسـون أوَّلـيٌّ وغيـر عـاديٍّ.

٦٢ «برينسـتون القديمـة» هـو الاسـم الـذي يُطلَـق علـى نـوع اللاهـوت المُصلَـح الـذي سـاد فـي كليَّـة لاهـوت برينسـتون Princeton Theological Seminary مـن وقـت تشـارلز هـودج حتَّـى عـام ١٩٢٩، عندمـا أدَّت عمليَّـة إعـادة التنظيـم داخـل الكليَّـة إلـى رحيـل عـدد مـن أعضـاء هيئـة التدريـس، الذيـن أسَّسـوا فـي وقـت لاحـق كليَّـة لاهـوت وستمنسـتر.

63 Millard J. Erickson, *Christian Theology*, 2nd ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 1983), 289–326.

جدول ٧:

العظمة	الصلاح
الروحانيَّة	القداسة
الشخصانيَّة	البرُّ
الحياة	العدل
اللانهائيَّة	الأصالة
الثبات	الموثوقيَّة
	الأمانة
	الإحسان
	النعمة
	الرحمة
	المثابرة

بعد سنوات قليلة من ظهور أعمال غرودِم وإريكسون، نشر وولفهارت بانبِرغ Wolfhart Pannenberg (١٩٢٨ - ٢٠١٤) مجلَّداته الثلاثة في علم اللاهوت النظاميِّ Systematic Theology، وفيها خصَّص جزءًا من فصل للصفات الإلهيَّة، وفصلها أيضًا إلى قسمين. القسم الأوَّل صنَّفه على أنَّه لانهائيَّة الله، ويحتوي على قداسته، وسرمديَّته، وقدرته المطلقة، ووجوده المطلق. وخصَّص الجزء الثاني لمحبَّة الله بما في ذلك الوحدانيَّة الإلهية.[٦٤] على غرار خطوط بانبِرغ، سار روبرت ريمون Robert Reymond (١٩٣٢ - ٢٠١٣)، الذي اختار ثلاث صفات أساسيَّة (وغير

64 W. Pannenberg, *Systematic Theology*, 3 vols. (Edinburgh: T&T Clark, 1991), 1:397–448.

نُشِر الأصل الألماني بعنوان:

Systematische Theologie, 3 vols. (Gttingen: Vandenhoeck und Ruprecht, 1988).

قابلـة للتشـارُك مـن الناحيـة التقليديَّـة) -اللانهائيَّـة، والسـرمديَّة، وعـدم القابليَّـة للتغيُّـر- وطبَّقهـا علـى كيـان الله، وحكمتـه، وقوَّتـه، وقداسـته، وعدلـه، وصلاحـه، وحقَّـه، بهـذا الترتيـب.[٦٥]

الخلاصة

بينمـا يعكـس المشـهد الحالـيُّ إرثَ الماضـي غالبًـا، فـإنَّ اللاهوتيِّيـن المعاصريـن لا يرتبطـون بأسـلافهم بالطريقـة التي ارتبط بهـا تشـارلز هـودج بمعاييـر وستمنسـتر، وقـد شـعروا بحريَّـة أكبـر فـي تجربـة التصنيفـات والتعريفـات الجديـدة للصفـات الإلهيَّـة. قد يعكـس هـذا الاختـلاف التأثيـر المتضائـل للمعاييـر الطائفيَّـة لعصـر سـابق، وهـي معاييـر تبـدو الآن قديمـة وغيـر مناسـبة لمعالجـة مخـاوف العالـم الحديـث. ومهمـا كان السـبب، مـن العـدل أن نقـول إنَّ دراسـة الصفـات الإلهيَّـة تبـدو أكثـر تشـتُّتًا وغيـر حاسـمة اليـوم. وتظـلُّ مسـألة وجـود الله موضوعًـا حيًّـا للنقـاش. وقـد كتـب فلاسـفة مثـل نيكـولاس وولترسـتورف Nicholas Wolterstorff وألفِـن بلانتينغـا Alvin Plantinga وريتشـارد سـوينبرن Richard Swinburne وبـول هِلـم ووِليـام لين كريـغ على نطـاق واسـع عـن المشـكلات المرتبطـة بالإيمـان بـالله ووجـود الله. وعلـى الرغـم مـن أنَّهـم ربَّمـا لـم ينجحـوا فـي هزيمـة خصـوم مثـل ريتشـارد دوكينـز Richard Dawkins وكريسـتوفر هيتشـنز Christopher Hitchens

65 Robert L. Reymond, *A New Systematic Theology of the Christian Faith* (Nashville: Thomas Nelson, 1998), 168–203.

وصموئيل هاريس Samuel Harris، إلاَّ أنَّهم لم يتمَّ إسكاتهم.[٦٦]

غالبًا ما يركِّز الاهتمام بالصفات الإلهيَّة على صفات معيَّنة، مثل السرمديَّة، وخاصَّةً عدم القابليَّة للتألُّم، والتي استحوذت على الكثير من الاهتمام في السنوات الأخيرة، في تناقض صارخ مع الإهمال الذي عانت منه عادةً في الماضي. إنَّ ما يسمَّى بالصفات القابلة للتشارُك، مثل القداسة، والبرِّ، والصلاح، و-قبل كلِّ شيء- المحبَّة، لم يفلت من اهتمام الملحدين المعاصرين، الذين يشغلهم بشكل خاصٍّ التناقض الواضح بين إله المحبَّة ذي السيادة وعالمٍ خاضع للمرض والفساد والموت. بطريقة أو بأخرى، تظلُّ صفات الله محور النقاش، ويجب على المسيحيِّين الاستمرار في معالجة اهتمامات عصرنا بكينونة وطبيعة الله الذي نعبده ونعترف به.

٦٦ انظر مثلًا:
Nicholas Wolterstorff, *Divine Discourse*: *Philosophical Reflections on the Claim That God Speaks* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995); Alvin Plantinga, *God, Freedom, and Evil* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1974); Plantinga, *Does God Have a Nature?* (Milwaukee: Marquette University Press, 1980); Richard Swinburne, *The Coherence of Theism* (Oxford: Clarendon, 1977); Swinburne, *The Existence of God* (Oxford: Clarendon, 1979); Paul Helm, *Eternal God*: *A Study of God without Time*, 2nd ed. (Oxford: Oxford University Press, 2010); William Lane Craig, *God over All*: *Divine Aseity and the Challenge of Platonism* (New York: Oxford University Press, 2016).

لمزيد من القراءة

Bartholomew, David J. *God, Chance and Purpose*: *Can God Have It Both Ways?* Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

Craig, William Lane. *God over All*: *Divine Aseity and the Challenge of Platonism*. New York: Oxford University Press, 2016.

Dolezal, James, E. *All That Is in God*: *Evangelical Theology and the Challenge of Classical Christian Theism*. Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2017.

Dolezal, James E. *God without Parts*: *Divine Simplicity and the Metaphysics of God's Absoluteness*.

Eugene, OR: Pickwick, 2011.

Dorner, Isaak August. *Divine Immutability: A Critical Reconsideration*. Minneapolis: Fortress, 1994.

Epperly, Bruce G. *Process Theology: A Guide for the Perplexed*. London: T&T Clark, 2011.

Evans, C. Stephen. *Exploring Kenotic Christology: The Self-Emptying of God*. Oxford: Oxford University Press, 2006.

Helm, Paul. *Eternal God: A Study of God without Time*. 2nd ed. Oxford: Oxford University Press, 2010.

Plantinga, Alvin. *Does God Have a Nature?* Milwaukee: Marquette University Press, 1980.

Plantinga, Alvin. *God, Freedom, and Evil*. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1974.

Stead, Christopher. *Divine Substance*. Oxford: Clarendon, 1977.

Swinburne, Richard. *The Coherence of Theism*. Oxford: Clarendon, 1977.

Swinburne, Richard. *The Existence of God*. Oxford: Clarendon, 1979.

Weinandy, Thomas G. *Does God Suffer?* Edinburgh: T&T Clark, 2000.

Wolterstorff, Nicholas. *Divine Discourse: Philosophical Reflections on the Claim That God Speaks*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

الفهرس العام

«القدير»، ٢٩، ١١٨، ١٦١

«أنا هو»، ٣٤

«يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا / أعظم من منتصرين»، ١٣٧

autotheos، ١٦١

hypostasis، ٣٣، ١٠٥

ousia، ٢٢، ٢٣، ٣٣، ٣٤

الآب، ١٠٢

إرسال الابن، ١١٦-١١٧

ملء الكيان الإلهيّ، ١٠٣

إبراهيم، ٢٧، ١٠٤

الابن

ألوهيَّته، ٦٤

كـ autotheos، ١٦١ح٢٦

ملء الكيان الإلهيّ، ١٠٣

مولود من الآب ٦٤

الاحتوائيَّة Panentheism، ٨٠

أحشويروش (زركسيس)، ٨٤

الاختيار، ١٢٥

الإرادة البشريَّة الحرَّة، ٩٠، ٩٣

إرادة الله، ٩١-٩٧، ١٦٥-١٦٧. انظر أيضًا عقل الله وإرادته

إرادة حرَّة. انظر الإرادة البشريَّة الحرَّة

أرسطو، ١٤٤

إرميا، ٦٣، ٧٦، ٨٤، ٩١

إريكسون، ميلارد، ١٨٤

الأريوسيَّة، ٦٤، ١٥٨

الإساءة للأطفال، اعتبار إرسال الابن نوعًا منها، ١١٦

الاستعارات الجسديَّة لوصف الله، ٤٠

الاستقلال، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١
إصلاح، ١٧، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٨
أغسطينوس، ١٤٤، ١٥٠-١٥٢
إقرار الإيمان البلجيكيّ/البلجيّ، ١٦٠
إقرار الإيمان الهلفيتيّ الثاني، ١٦١
إقرار إيمان أوغسبورغ، ١٥٦-١٥٨
إقرار إيمان وستمنستر ومنهاجاه للتعليم المسيحيّ، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٧١، ١٨٤، ١٨٦
الآلام، ١٥٨
أمراض مزمنة، ١٢٩
اندفاق، ١٤٨
الانفصال، شكلٌ من القداسة، ١١٨
أوريجانوس، ١٤٣، ١٦١
إيليًّا، ٧٦، ١٣٥
الإيمان الكلاسيكيّ بالله، ١٥٨
الإيمان، ٧٨
أيُّوب، ٢٩، ٦١، ٧٤، ٨٩، ٩٦
بارت، كارل، ١٧٦-١٧٩
بارثولُميو، ديفيد، ٩٤
بافِنك، هِرمان، ١٧٣-١٧٦، ١٨٠
بانِنبِرغ، وولفهارت، ١٨٥
بدعة الطبيعة الواحدة (المونوفيزيّة)، ٣٨
البرّ/الاستقامة، ١٢٤-١٢٦
براسنِت، برتراند، ٥٠، ٥١
برج سلوام، ١٣٠
بروماييلي، جيفري، ١٧٧-١٧٩
البساطة، ٣٥-٣٩
بلانتينغا، ألفِن، ١٨٦
بلعام، ٤٨
بولانوس، أماندوس، ١٦٤، ١٦٥
بولس
بشأن عدم قابليَّة الله للتألُّم، ٤٨-٤٩
بشأن مشيئة الله، ٩١
بيتر لومبارد، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥
بيتينغر، نورمان، ٤١
بيلاطس، ٧٨، ٧٩، ١٢٩، ١٣٠
تبنِّي، ٩٩
التجسُّد، ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٤٨، ٧١، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨-١١١، ١٥٦، ١٧٧
التجلِّي، ١٠٣
ترتليان، ١٠٥، ١٠٦
تريلكاتيوس، لوكاس، ١٦٥
تسامي، ٣٤، ١٣٥، ١٧٤
التسعة والثلاثون بندًا لكنيسة إنجلترا، ١٥٨

تشارنوك، ستيفن، ١٦٧-١٦٨
تقديس، ١١٥
التمييز بين الخالق والمخلوق؛ ٢٤، ٤٤، ٥٤، ٥٥، ٦٩، ٩٩، ١١٩
التوحيد، ١٠٢، ١٦٥
توكفيل، ألكسيس دي، ٨٩، ٩٠
توما الأكويني، ٨٥، ١٥١-١٥٣
الثالوث، ١٠٠-١٠١
أشخاصه يتشاركون في العقل والإرادة، ١١١
كمجتمع من المحبَّة، ١١١
وكمجتمع من الشخصانيَّة، ١٥٤-١٥٥، ١٥٧
الثبات، ٤١-٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٢، ١٦١، ١٦٧
ثورة صناعيَّة، ٥٠
جوهر/طبيعة، ٢٢-٢٣، ٣٣، ٤١، ١٠٦ح٣
الحرب العالمية الأولى والثانية، ٥٠، ٥١
حنانيا وسفيرة، ١٢٧
الحياة الأبديَّة
كعطيَّة غير مُستَحقَّة، ١٣٠
لدى الشخص المسيحيِّ، ٢٢، ٦٨
لدى الله، ٦٨-٧٢
الخلق، ٢٤-٢٥
الخليقة الجديدة، ٦٨
دانيال، ٨٤، ٨٥
دليل علميّ، ٧٧، ٧٨، ٩٠
دورنر، إسحاق أوغست، ١٧، ٥٨-٥٩
دوستويفسكي، فيودور، ٩٠
دوكينز، ريتشارد، ١٨٦
الرواقيَّة، ٤٥، ٤٦
الروح القدس
ألوهيَّته، ٦٤
ملء الكيان الإلهيّ، ١٠٣
الروحانيَّة، ٣٩
الروحانيَّة، تهميشها، ١٣٤
رؤية الله البهيَّة، ٤٤
ريمون، روبرت، ١٨٥
الزمان، وصفات الله، ٦١-٧٢، ٨٩-٩٠، ١٤٥-١٤٦، ١٥٦
السبت، ١٢٠
ستيد، كريستوفر، ٢٢
سدوم وعمورة، ١٢٩
السرمديَّة، ٦٨-٧٢
السماء الجديدة والأرض الجديدة، ٨٦، ١٣٤
سوتزيني، فاوستو، ١٦٥

سوتزيني، ليليو، ١٦٥

السوسينيانيّون، ١٦٩

سوينبرن، ريتشارد، ١٨٦

سيرفيتوس، مايكل، ١٦٥

الشخصيَّة، ٢٤، ١٠٠-١٠١، ١٠٥-١٠٦، ١٥٤-١٥٥، ١٨١

الشفاء الروحيّ، ١٣٦

الشكلانيَّة/المواداليَّة، ١٠٩

شلايرماخر، فريدريك، ١٦٩

الصفات الجوهريَّة، ١٨، ٣٠، ٣١، ٣٣-٩٧، ١٠٦، ١٣٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦

الصفات العلائقيَّة، ٩٩-١٣١

صفات الله

إظهاراتها، ١٦٧-١٦٨

أهمِّيَّتها، ١٣٣-١٤٠

تخترق بعضها البعض، ٣٦

تُلازِم الطبيعة الإلهيَّة، ١٥٢، ١٦٤

الصفات الجوهريَّة، ١٧، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٧٦، ١٠٦، ١٣٦، ١٦٢، ١٦٤-١٦٦،

الصفات الشخصيَّة، ١٧، ٢٩، ١٠٣

الصفات الطبيعيَّة، ١٠٣

الصفات العلائقيَّة، ١٧، ٣٠-٣١، ٩٩-١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٥، ١٦٨

الصفات القابلة للتشارُك، ٢٨، ١٠٩، ١٧٢-١٧٦، ١٧٩-١٨٠، ١٨٢-١٨٣، ١٨٧

في المكان، ٣١، ٧٢-٧٥

وفي الزمان، ٣١، ٦١-٧٢، ١١٢

متأصِّلة في الكيان الإلهيِّ، ٨٩، ١٦٧

المتعلِّقة بالفداء، ١٦٩-١٧٠

الصفات المُثبَتَة، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٥. انظر أيضًا الصفات القابلة للتشارُك

الصفات المنفيَّة،١٤٧، ١٦٣، ١٧٤-١٧٥. انظر أيضًا صفات غير قابلة للتشارُك

صفات غير قابلة للتشارُك، ١٧، ١٥٢، ١٧٢-١٧٥، ١٧٩-١٨٣، ١٨٦-١٨٧

الصلاح، ١٢٦-١٣١

صورة الله ومثاله، ٦٩، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١١٥، ١٧٢، ١٧٦

طول الأناة، ١٦٢-١٦٣، ١٦٨

العجل الذهبيّ، ٦٢

العدالة، انظر البر/الاستقامة

عدم الموت، ٢٧، ٣٦، ٣٩، ٦٦-٦٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٦٦

العصور الوسطى الغربيَّة، ١٤٩، ١٥٠-١٥٤

عقل الله وإرادته، ٩٣، ١٠٩، ١١٢- ١١٥، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٧٢

العقلانيَّة، ١١١، ١١٥

العلاقة مع الله، ١٣٥، ١٤٠

عهد، ١٠٤

غالوت، جان، ٥٢
غرودِم، وِين، ١٧٩، ١٨٠-١٨٥
غضب الله، ١٢٥
الغنوسيَّة، ٥٤
غيرة الله، ١١٩، ١٨٢، ١٨٣
فان تيل، كورنيليوس، ١٧٩
الفداء والصفات الإلهيَّة، ١٦٩-١٧٠
الفريسيُّون، ١١٩
الفكر الهلنستيّ. انظر الفلسفة اليونانيَّة
الفلسفة اليونانيَّة، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٦، ٣٣، ٤١، ٤٥، ١٤٥
فيرميغلي، بيتر مارتير، ١٦٠
فيلو السكندريّ، ٥٤
القابليَّة للتألُّم خارجيًّا، ٥٣
القابليَّة للتألُّم داخليًّا، ٥٣
القابليَّة للتألُّم شعوريًّا، ٥٣
القابليَّة للتغيُّر، ٦٠
قانون الإيمان الإثناسيّ، ١٤٥-١٤٨
القتل الرحيم، ١٠١
القداسة، ١١٧-١٢٣
قربان، ٣٩، ١٢١
القيامة، ٣٩، ٤٤، ٦٧، ١٠١
القيُّوميَّة، ٦٥-٦٦، ١٦١
كالفِن، جون، ٣٩، ١٥٨-١٦٠، ١٦٧، ١٦٩
الكتاب المقدَّس
كإعلان الله الذاتيِّ عن نفسه، ٢٦
وضوحه، ١١٤
كرانمر، توماس، ١٥٧-١٥٨
كريغ، وِليام لِين، ٧٠، ١٨٦
الكمالات الإلهيَّة، ١٦٤، ١٧٨، ١٧٩
الكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة، ١٤٩
كنيسة الإسكندريَّة، ٣٨
الكنيسة الأولى، كلامها عن صفات الله، ١٤٣-١٥٠
اللاجسدانيَّة، ٣٩، ٤١
اللازمانيَّة، ٦٩-٧٠
اللافناء، ٦٥-٦٦
لاكتانتيوس، ١٤٤
اللامخلوقيَّة، ٦٢-٦٣
اللامولوديَّة، ٦٣-٦٥
اللانهائيَّة، ٧٣
لاهوت الإرادة الحرَّة Open theism، ٥٩
اللاهوت الحديث، ١٥، ٦٥، ١٧٩، ١٨١
الله
«ليس له بداية»، ٦١-٦٢
احتجابه، ١٦-١٧، ٢٧-٢٨، ٨٤-٨٥،

١٣٤، ١٤٨-١٤٩

إعلانه عن ذاته، ٢٦، ١٧٧

برّه، ١٢٤-١٢٦، ١٣٩-١٤٠، ١٥٣-١٥٤

بساطته، ٣٥-٣٩، ٦٠، ١١٧، ١٥٠-١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١

بلا اندفاق، ١٤٨

تساميه، ١٣٤، ١٤٥

ثباته، ٤١-٤٢، ١٤٨

حريَّته، ١٧٨-١٧٩

روحانيَّته، ١٦٨، ١٧٢

سرمديَّته، ٦٨-٧٣، ٧٤، ١٣٦، ١٤٥

سيادته، ١٦٣، ١٧٢

شخصانيَّته وطبيعته، ١٠١-١٠٣

صلاحه، ١٢٦-١٣١، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ١٦٩

طول أناته، ١٦٨

عدالته، انظر الله، برّه

عدم استقصائه، ٧٣-٧٥، ٨٤، ١٤٦-١٤٧

عدم قابليَّته للتألُّم، ٤٥-٥٨، ١٣٥-١٣٦، ١٤٩، ١٥٧-١٥٨

عدم قابليَّته للتجزئة، ٤٢-٤٤

عدم قابليَّته للتغيُّر؛ ٢٩، ٤٢، ٥٨-٦١، ١٠٦، ١٣٦، ١٥٠، ١٥١، ١٦١، ١٦٤، ١٦٨، ١٨٠، ١٨٥

عدم موته، ١٦، ٢٩

عديم التبدُّل، ١٤٩

عظمته، ١٨١-١٨٢

علاقته بالخليقة، ١٥٦-١٥٧

علمه المُطلَق، ٨٨-٩٧، ١٦٨

قداسته، ١١٠، ١١٧-١٢٣، ١٣٨-١٣٩، ١٦٨

قدرته المُطلقة، ٨٥-٨٨، ١٣٧، ١٦٨

قيُّوميَّته، ٦٥، ١٦١، ١٦٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١

كخالق، ٢١-٢٢، ٥٣-٥٤، ٩٩، ١٥٣. انظر أيضًا التمييز بين الخالق والمخلوق

كفادٍ لشعبه، ٩٩

ككائن شخصيٍّ، ١٠٤-١١١، ١٨١

ككائن عقلانيٍّ، ١١١-١١٥

ككائن، ٢١-٢٤

كماله، ١٥٢

لاجسدانيَّته، ٣٩-٤١، ٥٠، ٧٤، ٨٤-٨٥، ١٤٨

لامخلوقيَّته، ٦٢-٦٣

لانهائيَّته، ٧٢-٧٣، ٨٤-٨٥، ١٣٤، ١٥٢، ١٧٥-١٧٦

محبَّته، ١٣٥-١٣٦، ١٧٨-١٧٩

معرفته المُسبَّقة، ٨٩-٩٣

وجوده المُطلَق، ٨٢-٨٥، ١٣٤، ١٤٥، ١٦٨

وجوده في النار والسحابة، ٢٥

وحدانيَّته، ١٧٥-١٧٦. انظر أيضًا الله، بساطته

يفهم معاناتنا، ١٣٦

لوثر، مارتن، ١٣٨، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩

ما هو الله، ٩٩، ١٦٢

المجمع الفاتيكانيّ الثاني، ١٥٢

مجمع خلقيدونية، ٣٨

محبَّة، ١٠٣

المحدود لا يمكن أن يحوي اللامحدود، ٣٤

المسلمون بشأن شخصانيَّة الله، ١٠٢، ١٠٣

المسيحيَّة الأخلاقيَّة، ١٦٩-١٧١

معاناة، ٥٤-٥٨، ١٣٥-١٣٦

المكان، وصفات الله، ٧٢-٧٥، ١٤٧، ١٦٨

مِلانكثون، فيليب، ١٥٥، ١٥٩

من هو الله، ٩٩

الموحِّدون، ٢٥، ١٠٢

موسكولوس، فولفغانغ، ١٦٠

مولتمان، يورغن، ٥١

مولر، ريتشارد، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥

ناموس الله، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣

نبوخذ نصَّر، ٨٤

النزعة المادِّيَّة، ١٣٣، ١٣٤

النظرية الكينونيَّة/الإخلائيَّة، ١٠٤، ١٠٩

نعمان، ٨٢، ٨٣

نيلسون، هوراشيو، ٦٦

هاريس، صموئيل، ١٨٦

هاو، جون، ١٦٥

هِبِر، ريجنالد، ١١٨

هِلم، بول، ٧٠، ١٨٦

هودج، تشارلز، ١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦

هورتون، مايكل، ١٨٠-١٨٤

الهولوكوست، ٥١

هيبيريوس، أندرياس، ١٥٩

هيتشنز، كريستوفر، ١٨٦

الوثنية، ١٥، ٢٢، ٢٨، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٦٢، ٨٢، ٨٦، ١٣٥

الوثنيَّة، ٣٩، ٤٠، ١١٨-١١٩

وجه الله، ٤٣

وجود جسد المسيح في كلِّ مكان، ٣٨

وحدة الوجود Pantheism، ٨٠

الوحي، وكلام كارل بارت عنه، ١٧٧

الوصية الثانية، ٢٧، ١١٩

وفاة الأبرياء، ١٢٩-١٣٠

وولترستورف، نيكولاس، ١٨٦

وولف، جيمس، ٦٦

ويناندي، توماس، ٥١، ٥٣-٥٥

يربعام وعجوله الذهبيَّة، ٦٣

يسوع المسيح

أخضع الإرادة البشريَّة للإرادة الإلهيَّة، ١١٢

ذبيحته الكفَّاريَّة، ١٠٧، ١٢٣، ١٣٦-١٣٧

صلبه، ٥٢، ٦٦، ٧٨، ٧٩، ١١٦، ١٢٣، ١٣٧

طاعته، ١٢٣، ١٢٦

معاناته وموته، ٤٦

يعقوب وعيسو، ١٢٤-١٢٥

اليهود، بشأن شخصانيَّة الله، ١٠١-١٠٢

اليهوديَّة الربِّينيَّة، ١٢١

يهوه، ٢١

يوحنَّا الدمشقيُّ، ١٨، ١٤٦-١٤٩

يونان، ٦٣، ٧٥-٧٦، ٨٣-٨٤